

أساليب التوكيد في أدب الرافعي





تأليف
فاطمة حسين السيد

أساليب التوكيد
في أدب الرافعي

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
أ.د. أسامة طلعت
رئيس مجلس الإدارة

حسين، فاطمة حسين السيد حسين.
أساليب التوكيد في أدب الرافعي/تأليف فاطمة حسين السيد حسين . - القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٢٤.
٤٢٨ص ؛ 24 سم.
تدمك 7 - 1574- 18 - 977 - 978
١ - الأدب العربي - تاريخ ونقد.
٢ - اللغة العربية - النحو
أ - العنوان.

٨١٠,٩

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٠٥٧/ ٢٠٢٤

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1574 - 7

دار الكتب والوثائق القومية

أساليب التوكيد
في أدب الرافعي

تأليف
فاطمة حسين السيد حسين
ماجستير في قسم النحو والصرف والعروض
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م)



أساليب التوكيد
في أدب الرافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدا يبلغ رضاه، ويوافي نعمه، ويكافئ مزيد فضله. وصلاة وسلاما دائمين متلازمين علىٰ سيد الخلق أجمعين، نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين. وبعد: فإن التوكيد ظاهرة شائعة في اللغة العربية، وهو "معدود في الفصاحة والبراعة"[٢] عند أصحابها، ويأتي التوكيد ليعبر عن المعاني الكامنة في نفس المتكلم الذي يحرص علىٰ إثبات قوله، أو إظهار معتقده، أو إيصال رسالة إلىٰ المخاطب في صورة مقررة، إلىٰ غير ذلك. كما أنه يأتي مراعيا لحال المخاطب، ومدىٰ قبوله لقول المتكلم، ويأتي تلبية لحاجة الكلام نفسه إليه، كأن يحتوي الكلام علىٰ معنىٰ غريب، أو رأي غير مُجمَع علىٰ الأخذ به.

وقد جاء هذا المصنف في (**أساليب التوكيد في أدب الرافعي**) للوقوف علىٰ أساليب التوكيد المختلفة التي وردت في أدب الرافعي، ودراسة أثرها في المعنىٰ، وتتبع أهمية هذا الموضوع من ناحية أنه يمثل جانبا رئيسا من جوانب الاستخدام

---

(٢) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسىٰ البابي الحلبي، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ٢/ ٣٨٤.

اللغوي عند الرافعي باعتباره نموذجا من الفصحىٰ المعاصرة المرتبطة بالتراث ارتباطًا وثيقًا.

وكان من بين ما دفعني لكتابة هذا المصنف:

* إيماني العميق بأن أجدىٰ دراسة للنحو وأثمرها ما ارتبط بنص عربي، سواء أكان نصا قرآنيا أم نصا أدبيا؛ لأنه يُشعر الدارس بمدىٰ فائدة دراسة النحو وقواعده حين يكتشف جماليات النص في ظل هذه القواعد، كما أنه يُذهب عنه حينئذ الجفاف الذي يكتنف القواعد النحوية لغلبة الطابع المنطقي عليها. إضافة إلىٰ هذا وذاك، يتمكن الدارس من فهم النحو بصورة يسيرة وصحيحة، إذ يكون النحو- مع هذا النوع من الدراسة- هو"معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلِم لتأدية أصل المعنىٰ مطلقا"[1]، ويقصد بكيفية التركيب"تقديم بعض الكلِم علىٰ بعض، ورعاية ما يكون من هيئات إذ ذاك"[2].

* أن التوكيد بمختلف صوره يشكل موضوعا بارزا في كتابات الرافعي؛ إذ يعد عنصرا شائعا وفاعلا في استخداماته اللغوية، وهو ما أغراني بوجود مادة غنية وخصبة تصلح لأن تقيم مؤلَّفا متعدد الأبواب والفصول.

* ما أُثر عن الرافعي من مآثر عديدة، مما يجعل شرفا علميا لي أن أتناول تراثه الأدبي العظيم بالدرس والتحليل، فلقد"كان لأديب العربية مصطفىٰ صادق

---

(١) مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد المعروف بالسكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق حمدي محمدي قابيل، قدم له وراجعه مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، د.ت، ص٧٥.

(٢) السابق ص٧٥.

الرافعي شأن عظيم في مضمار حياة الأمة والفكر في العصر الحديث"[١]؛ إذ كان"أديب الفكرة الإسلامية دون منازع، في فترة زمنية كان النيل من العقيدة دربا يستهوي كثيرا من أدباء العصر كي يسيروا فيه، وكان التحامل على اللغة العربية، ومحاولة طمس معالمها، ظاهرة من مظاهر التجديد حسبما تخيل بعض المتأدبين"[٢]، ومِنْ ثَمَّ جنّد الرافعي قلمه للتصدي لهؤلاء، والدفاع عن اللغة العربية فارسا من فرسان الكلمة والموقف. وفي ميدان الإصلاح الاجتماعي: كان الرافعي "أصيل الفكرة ... المستمِدّ من استقامة تفكيره، المنطلِق من ثقافة دينية ربطت في سماحة ويسر بين السلوك الاجتماعي والأدب الديني"[٣]. وفي مجال الكتابة البيانية: نستطيع أن نسجل أن كاتبنا كان مدرسة وحده في فن الكتابة وأسلوبها، وكان إمام مدرسة التجويد في الفكرة والأسلوب، مع التزام الصفة الإسلامية، والمحافظة على الجملة القرآنية[٤]. وهكذا"كان الرافعي الكاتب، وكذلك كانت الكتابة العربية عنده بيانا من بيان، وروعة خالدة تذهب في النفس مذاهب من التأمل والإعجاب، وإن أخذت القارئ العربي إلى الصبر والروية ومعاودة القراءة مرات"[٥]. وفي مجال الشعر: فالرافعي قد بدأ

(١) الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، تأليف مصطفى نعمان البدري، دار الجيل، بيروت ودار عمار، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص١٢، ١٣.

(٢) مصطفى صادق الرافعي كاتبًا عربيًّا ومفكرًا إسلاميًّا، د. مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص١١.

(٣) مصطفى صادق الرافعي كاتبًا عربيًّا ومفكرًا إسلاميًّا، د. مصطفى الشكعة، ص٢٥.

(٤) انظر السابق ص٣٢.

(٥) الرافعي الكاتب ص٣٥٤.

شاعرًا، وانتهى كاتبًا، وفي شعره قد"طرق أبواب الشعر المختلفة من تقليدية ومحدثة، وهو في كل ذلك مهتاج النفس، وافر الموسيقى، رائع البيان"(١).

وفي مضمار البحث والتصنيف:"يظهر الرافعي بصفته المؤلف الثبت"(٢)، هذا وقد تمكن الرافعي من الجمع بين المحافظة على اللغة العربية وأسرارها، والتجديد الحق في الموضوع والأسلوب والمفردات(٣). وقد شهد له الأدباء بتفرده وتميز أسلوبه، يقول عنه الأستاذ أحمد حسن الزيات:"رحم الله الرافعي، لقد كان في الكُتَّاب طريقة وحده، وحَسْبُ الكاتب مَزيَّة ألا يكون لأسلوبه ضَريع في الأدب كله ..."(٤)، وعنه قال العقاد:"إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثله لكاتب من كُتَّاب العربية في صدر أيامها"(٥). وإذا علمنا ما كان بينه وبين العقاد من معارك فكرية ثبت لنا أن هذا الإطراء شهادة صدق في حق هذا الأديب المبدع.

وسوف يتناول هذا المصنف المؤلفات الأدبية للرافعي، وهي:

١- ديوان الرافعي: وهو في ثلاثة أجزاء. شرحه محمد كامل الرافعي، وطبع بالمطبعة العمومية بمصر، الجزء الأول ١٣١٩هـ- ١٣٢٠هـ، الجزء الثاني ١٣٢١هـ، الجزء الثالث ١٣٢٢هـ - ١٣٢٣هـ.

٢- ديوان النظرات: ولم يصدر منه إلا جزء واحد، وطبع بمطبعة الجريدة بمصر سنة ١٩٠٨م.

---

(١) مصطفى صادق الرافعي كاتبًا عربيًّا ومفكرًا إسلاميًّا ص٢٧.

(٢) الرافعي الكاتب ص٤٠٥.

(٣) انظر السابق ص٣٧٩.

(٤) وحي الرسالة (فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص)، أحمد حسن الزيات، دار الثقافة، بيروت - لبنان، الطبعة العاشرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ١/ ٤٤٣.

(٥) ردود وحدود، لعباس محمود العقاد، دار الثقافة العربية للطباعة، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م، ص٣٨٨.

٣- النشيد المصري الوطني: المكتبة الأزهرية بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م.

٤- حديث القمر: مكتبة الآداب. ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

٥- رسائل الأحزان في فلسفة الحب والجمال: قدم له بدراسة د.عبدالقادر القط. الشركة العالمية للنشر- لونجمان. الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٦- السحاب الأحمر: قدم له بدراسة د.عبدالقادر القط. الشركة العالمية للنشر - لونجمان. الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٧- كتاب المساكين: تحقيق ومراجعة عبدالله الشرقاوي. مكتبة الإيمان. الطبعة الأولى. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨- أوراق الورد (رسائلها ورسائله): مكتبة الآداب. د.ت.

٩- من وحي القلم: وهو ثلاثة أجزاء. مكتبة الأسرة. ٢٠٠٣م.

ويتمثل المنهج الذي اتبعته في هذا المؤلَّف المراحل التالية:

المرحلة الأولى: مرحلة الجمع، وفيها قمت باستقراء مؤلفات الرافعي - التي حددتُها للدراسة- لرصد كل ما جاء فيها من عبارات مؤكدة، وجمع أساليب التوكيد المستخدمة فيها، وجمع المادة النظرية من كتب النحو والبلاغة، والتي ستكون في مقدمة كل فصل.

المرحلة الثانية: مرحلة التصنيف، وفيها اتضحت معالم الأبواب والفصول بناء على المادة التي جُمعت متضمنة أساليب التوكيد.

المرحلة الثالثة: مرحلة التمحيص، وفيها تخيرت النماذج المناسبة للدراسة من حيث إنها تحمل دلالة واضحة.

المرحلة الرابعة: مرحلة الدراسة، وتأتي في نهاية المراحل، وحللت فيها النماذج المختارة تحليلا دلاليا في ضوء القاعدة النحوية.

ولما كان اهتمامي موجها إلى البحث عن القيمة الدلالية للتوكيد، فقد تجاوزت نطاق ما عُرف بالتوكيد الصناعي في كتب النحو مقصودا به: اللفظي والمعنوي، ورحت أتلمس هذه القيمة في كل ما يؤدي إليها من التراكيب أو الألفاظ أو حروف المعاني.

وبناء على ذلك، **تألف هذا المصنف من مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة:**

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، والأسباب التي دفعتني لاختياره، والمنهج الذي سرت عليه، يلي ذلك **تمهيد**، و فيه تناولت:

أ- التعريف بالرافعي.

ب- التوكيد بين اللغويين والنحاة والبلاغيين.

الباب الأول: التوكيد بالحروف. ويتكون من فصلين:

الفصل الأول: التوكيد بحروف المعاني وهي:

- إنَّ.
- أنَّ.
- لا النافية للجنس.
- السين وسوف.
- قد.
- لن.

الفصل الثاني: التوكيد بحروف الزيادة، وهي:

- إنْ الزائدة.

- ما الزائدة.

- مِنْ الزائدة.

- الباء الزائدة.

- كاف التشبيه الزائدة.

الباب الثاني: التوكيد بالأسماء والضمائر. ويتكون من خمسة فصول:

الفصل الأول: التوكيد المعنوي.

الفصل الثاني: التوكيد بالمفعول المطلق.

الفصل الثالث: التوكيد بالحال المؤكِّدة.

الفصل الرابع: التوكيد بالنعت المؤكِّد.

الفصل الخامس: التوكيد بضمير الفصل.

الباب الثالث: التوكيد بالجمل. ويتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التوكيد بالقسم.

الفصل الثاني: التوكيد بأسلوب القصر، ويأتي فيه:

-القصر بالنفي والاستثناء.

-القصر بـ (إنَّما).

الفصل الثالث: التوكيد بذكر المسند إليه.

الباب الرابع: التوكيد بما يصلح فيه الإفراد والتركيب. ويتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التوكيد اللفظي.

الفصل الثاني: التكرار.

الفصل الثالث: تضافر المؤكدات.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج التي توصل إليها البحث.

ثم تأتي الفهارس الفنية.

وأخيرًا، شَكَرَ اللهُ تعالى لأخي الأكبر الدَّرْعَمِيِّ الأستاذ المحقق/ محمد حسين السيد حسين[1] الذي حمل على عاتقه طبع هذا الكتاب، فجزاه الله خير الجزاء، ونفع به وبالله تعالى التوفيق، ومنه سبحانه العونُ والمددُ، وعليه حُسْنُ القَبُولِ .

المؤلفة

فاطمة حسين

غرة شهر الله المحرم ١٤٤٤هـ/ أغسطس ٢٠٢٢م

---

[1] باحث أول وأمين مكتبة مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية .

التمهيد

(أ) التعريف بالرافعي:

* نسبه ومولده:

هو مصطفى صادق بن عبدالرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي[1]. هذا اسمه، وكنيته أبو السامي، ومن ألقابه: الفاروقي، العمري، الطرابلسي[2].

أسرته من طرابلس بالشام، ولكنه ولد ببهتيم إحدى قرى القليوبية بمصر سنة ١٨٨٠م، وأخذ ينتقل مع والده القاضي الشيخ عبدالرزاق من بلد إلى بلد حتى انتهى بأبيه المقام في مدينة طنطا، وفيها قضى الأب بقية عمره، وفيها أيضًا عاش مصطفى الرافعي كل حياته الأدبية إلى أن قضى نحبه[3]، فالرافعي سوري الأصل، مصري المولد، إسلامي الوطن، فهو لا يعرف له أرضا من أرض الإسلام حين

---

(١) الأعلام، لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٨٤م، ٧/ ٢٣٥، وانظر ترجمته في معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، تأليف عمر رضا كحالة، مكتبة المتنبي، لبنان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٢/ ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، وتراجم علماء طرابلس وأدبائها، تأليف عبدالله حبيب نوفل، المنشورات الجامعة – مكتبة السائح، طرابلس – لبنان، ١٩٨٤م، ص٢١١ في آخر ترجمة عمه عبدالحميد بن سعيد الرافعي، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، جمعه ورتبه يوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص٩٢٦، ومصطفى صادق الرافعي كاتبًا عربيًّا ومفكرًا إسلاميًّا ص٢٠.

(٢) انظر الرافعي الكاتب ص١٠١.

(٣) انظر حياة الرافعي، محمد سعيد العريان، القاهرة، مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م، ص١١: ص١٥، والرافعي الكاتب ص١٠١، ومصطفى صادق الرافعي كاتبًا عربيًّا ومفكرًا إسلاميًّا ص٢٠، ٢٣.

يقول: وطني[١]»، غير أنه مع ذلك لا ينسىٰ ارتباطه بالشام موطن أسرته، فهو يذكرها في شعره بأرق الأبيات وأعذبها. ومن ذلك قوله:

نَرَىٰ طَرابُلْسَ تَبْدُو كَالحمامَةِ فـي ... وَكْــرٍ لَـها أَظْـهَــرَتْهُ رَوْضَــةٌ أُنُــفُ
والبَــحْرُ يَحْكِي ذِراعًا لِلسَّماءِ بِهِ ... تُزَحْزِحُ الأرضُ عَـنْها فَهْــوَ يَرْتَجِـفُ
مَـناظِـرٌ ما اخْتَلَفْنَا في مَحاسِنِها ... والحُــسْــنُ أَنْــواعُهُ فِيهِنَّ تَــخْتَلِفُ
فيا طَــرابُلْــسُ حَيَّتْكِ المُنَىٰ بَلَدًا ... بي مِن هَوَىٰ الحُسْنِ فِيهِ فَوْقَ ما أَصِفُ
أُحِسُّ بَيْنَ ضُلُوعِي كُلَّما خَطَرَتْ ... ذِكْــراكِ أَنَّ إِلَـيْكِ الــــقَلْبَ يَنْحَرِفُ[٢]

*** نشأته وعلمه وثقافته:**

نشأ الرافعي في أسرة لا ينشأ الناشئ منهم حتىٰ يتناولوه بألوان من التهذيب[٣]. وقد بدأ الرافعي في التحصيل علىٰ والده الشيخ الذي عُني به عناية خاصة فيها الكثير من الحنوّ والإشفاق لما كان يعتوره من اعتلال، وقلة عافية، وانصراف عن اللعب واللهو[٤]. وكان أول ما استمع من أبيه تعاليم الدين، وحفظ علىٰ يديه القرآن الكريم، حتىٰ استظهره في سن العاشرة[٥].

"وكان منزل الشيخ عبدالرزاق الرافعي في طنطا مهبط العلماء والفضلاء من ديار الإسلام جميعًا ما أتوا مصر"[٦]، كما كان له مكتبة حافلة تجمع أشتاتا من نوادر كتب

---

(١) انظر حياة الرافعي ص١١.
(٢) ديوان النظرات ١/ ٦١.
(٣) انظر حياة الرافعي ص١٦.
(٤) انظر الرافعي الكاتب ص١٠٣.
(٥) انظر حياة الرافعي ص١٦.
(٦) الرافعي الكاتب ص١٠٤.

الفقه والدين والعربية، فأكب عليها الرافعي بنهم، فما مضىٰ إلا القليل من الوقت حتىٰ استوعبها، وأحاط بكل ما فيها، وراح يطلب المزيد[١].

"هذه هي ثقافة الرافعي وتلك وسائله إلىٰ المعرفة، وقد ظل علىٰ هذا الدأب من القراءة والاطلاع إلىٰ آخر يوم من عمره"[٢]. والحق أن الرافعي قد تهيأ له من أسباب التكوين الديني والفكري والأدبي في إطار عصاميته الفذة ما جعل منه ذلك الأديب المرموق، مع أنه لم يحصل علىٰ مؤهل دراسي رسمي غير الشهادة الابتدائية التي هي كل حظه من الشهادات الرسمية، ولكن علمه وسعة اطلاعه وملكاته الأدبية قد دفعت به إلىٰ مرتبة من الطموح جعلته يعد نفسه لكي يكون أستاذا للأدب العربي بالجامعة المصرية، كما أن فضله وتدينه وتبحره في علوم القرآن وفروع اللغة قد صقلت موهبته، ونمّت شخصيته بالقدر الذي جعلت منه عميدا لكُتاب المقالة الإسلامية والفكرة الدينية، ومحامي الحضارة الإسلامية وأساليب البيان العربية[٣]. كما أن ثقافته الدينية والعربية قد خلقت عنده نظرية المزج بين اللغة والدين، وقد أتاحت له هذه الثقافة الواسعة العميقة إلىٰ جانب ملكته الخاصة أن يسهم في كل فن من فنون القول العربي بنصيب، وكل لمحة من لمحات الفكر الإسلامي بقدر ذي قيمة[٤].

---

(١) انظر حياة الرافعي ص١٨.

(٢) السابق ص٢٠.

(٣) انظر مصطفىٰ صادق الرافعي كاتبًا عربيًّا ومفكرًا إسلاميًّا ص٢٣، والرافعي الكاتب ص١٠٤.

(٤) انظر السابق ص٢٤.

*** إسهامه في الشعر:**

بدأ الرافعي شاعرا، وانتهى كاتبا، وقد طرق أبواب الشعر المختلفة من تقليدية ومُحدثة[١]، وذلك مع توهج في الفكر، وروعة في البيان، وتدفّق في الموسيقى. والرافعي الشاعر قد بلغ مبلغه، ونزل منزلة بين شعراء العصر، وجرت ريحه رخاء إلى الهدف المؤمل، فامتد نظره إلى جديد، وذلك بعد سنة ١٩٠٥م[٢].

وقد كان النثر الفني عنده وجها آخر من وجوه الشعر[٣]، فظل الرافعي شاعرا في نثره.

*** لغته:**

" أما لغة الرافعي، فهي منتقاة بذوق وفن...، فهو يؤثر السلامة باللفظة والكلمة المفردة يغرسها في عبارته، فتنبت فيها بمعنى هو منها"[٤]"ولو أن واحدا من أهل البيان أراد أن يتتبع ما أجدّ الرافعي على العربية من أساليب القول، لأخرج معجما من التعبير الجميل يعجز أن يجد مثله لكاتب من كتاب العربية الأولين، إذ كان مذهب الرافعي أن يعطي العربي أكبر قسط من المعاني، ويضيف ثروة جديدة إلى اللغة، وقد بلغ ما أراد"[٥].

*** مؤلفاته وآثاره الأدبية:**

لقد خلّف الرافعي تراثا أدبيا أثرى المكتبة العربية، في مجال الشعر، وفي مجال الأبحاث الأدبية، ويتمثل في:

---

(١) انظر السابق ص٢٥.

(٢) انظر حياة الرافعي ص٢٠.

(٣) انظر مصطفى صادق الرافعي (رسائل الأحزان، السحاب الأحمر، أوراق الورد)، قدم لها بدراسة د. عبدالقادر القط، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م،ص٢.

(٤) الرافعي الكاتب ص٣٤٧ بتصرف يسير.

(٥) حياة الرافعي ص١٩٥.

- ديوان الرافعي: ثلاثة أجزاء.
- ديوان النظرات: جزء واحد.
- مَلَكَةُ الإنشاء: كتاب مدرسي يحتوي على نماذج أدبية من إنشائه.
- تاريخ آداب العرب: ويراه أكثر الأدباء كتاب الرافعي الذي لا يعرفونه إلا به.
- إعجاز القرآن: وهو الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب.
- حديث القمر: أول ما أصدر الرافعي في أدب الإنشاء، وهو أسلوب رمزي في الحب تغلب عليه الصنعة.
- المساكين: فصول في بعض المعاني الإنسانية ألهمه إياه بعض ما كان في مصر إثر الحرب العالمية الأولى.
- نشيد سعد باشا زغلول: كتيب صغير عن نشيده (اسلمي يا مصر).
- النشيد المصري الوطني: (إلى العلا).
- رسائل الأحزان: كتاب أنشأه يتحدث فيه عن شيء مما كان بينه وبين (فلانة) على شكل رسائل، تصور طبيعة الحب في رأيه، وأحوال المحبين، وما يعتور نفوسهم من تحوّلات بين الحب والبغض. وجاءت هذه الرسائل بعد فشل في حب توهّمه.
- السحاب الأحمر: هو الجزء الثاني من قصة حب (فلانة)، وفيه نظرته إلى الحب تجربة عاطفة ذاتية، ونظرته إليه شعورا إنسانيا ينشئ أشكالا متعددة من الصلات والعلاقات والتقاليد.
- أوراق الورد: الجزء الأخير من قصة حبه، يقوم على رسائل في فلسفة الحب والجمال، ونثَر فيه أشواقه الروحية.
- من وحي القلم: ثلاثة أجزاء، مجموع مقالاته في الرسالة.
- المعركة تحت راية القرآن: وهو كتاب (الجديد والقديم)، وفيه قصة ما كان بينه وبين الدكتور طه حسين بمناسبة كتابه (الشعر الجاهلي).

- على السفّود: قصة الرافعي والعقاد.
- رسائل الرافعي.
- أغاريد الرافعي.

ويضاف إلى ما سبق بعض الأعمال التي ما زالت في عداد المخطوط، وهي:

- ديوان الرافعي، الجزء الرابع.
- ديوان النظرات، الجزء الثاني.
- وحي القلم، الجزء الرابع والخامس.
- الفؤاديات.
- الكتاب النبوي.
- الشعر العربي.
- أسرار الإعجاز.
- فصح الكلام.
- قصص الرافعي.
- (أغاني الشعب) في الأناشيد والموشحات.

*** وفاته:**

تُوُفِّيَ الرَّافعيُ– رحمه الله– في ١٠ مايو سنة ١٩٣٧م في طنطا، وكان في السابعة والخمسين من عمره، بعد حياة حافلة بالتحصيل، والنضال، والإنتاج السخي، والعطاء الوفير[(١)].

(١) انظر مصطفى صادق الرافعي كاتبًا عربيًّا ومفكرًا إسلاميًّا ص٢٣، وحياة الرافعي ص٢٨٠.

(ب) التوكيد بين اللغويين والنحاة والبلاغيين:

أولا: التوكيد عند اللغويين:

التوكيد والتأكيد مصدران رباعيان للفعلين: **وكّد** ، **وأكّد**.

جاء في العين:"وكّدت العقد واليمين، أي أوثقته، والهمزة في العقد أجود"(١). وقال الجوهري:"وكّدت العهد والسرج توكيدا، وأكّدته تأكيدا بمعنى، وبالواو أفصح "(٢).

وفي اللسان:"وكّد العقد والعهد: أوثقه، والهمزة فيه لغة "(٣).

وفي المعجم الوسيط:"أكّده تأكيدا: وثّقه وأحكمه وقرره، فهو أكيد، ... يقال: قول مؤكّد، ويمين مؤكّدة"(٤).

---

(١) كتاب العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠- ١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (وكد) ٥/ ٣٩٥، وانظر (أكد) ٥/ ٣٩٧.

(٢) الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (وكد) ٢/ ٥٥٣، وانظر ٢/ ٤٤٢.

(٣) لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، (وكد) ١٥/ ٢٦٩، وانظر (أكد) ١/ ١٢٥، وانظر تاج العروس، للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي (١١٤٥هـ - ١٢٠٥هـ)، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية، ١٣٠٦هـ (وكد) ٢/ ٥٤٠، والقاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي (٧٢٩- ٨١٧هـ) (١٣٢٩- ١٤١٤م)، دار الجيل، بيروت، د.ت، (وكد) ١/ ٣٥٩، ٣٦٠، والمعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، اسطنبول- تركيا، الطبعة الثانية، (وكد) ٢/ ١٠٥٣، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥.

(٤) المعجم الوسيط (أكد) ١/ ٢٢.

ونستخلص من ذلك:

- أن معنىٰ التوكيد في اللغة دائر علىٰ التوثيق والتقوية والإحكام والتقرير.

- أنه لا فرق في المعنىٰ بين التوكيد والتأكيد، وإن كان بالواو أكثر شهرة في تصانيف النحاة[١]، وقد ورد في القرآن الكريم أيضًا بالواو، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[٢].

ثانيًا: التوكيد في اصطلاح النحاة:

لقد تعددت تعريفات النحاة للتوكيد، وتنوعت تنوعا كبيرا، وسوف أورد بعضا منها، ثم أعلق عليها جملة واحدة.

* قال ابن السرّاج في الأصول:"التوكيد يجيء علىٰ ضربين: إما توكيد بتكرير الاسم، وإما أن يؤكد بما يحيط به"[٣].

---

(١) انظر مثلا: الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م، ٢/ ١٩، والخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٢/ ٣٣١، وكتاب أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري (٥١٣هـ - ٥٧٧هـ)، تحقيق د. فخر صالح قداره، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص٢٥٣، وكشف المشكل، لأبي الحسن علي بن سليمان الملقب بحيدرة اليمني (ت ٥٩٩هـ)، قرأه وعلق عليه د. يحيىٰ مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، ص١٩٢، واللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (٥٣٨ - ٦١٦هـ)، تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٥م، إعادة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ١/ ٣٩٤، والتوطئة، لأبي علي عمر بن محمد الشلوبين (٥٦٢ - ٦٤٥هـ)، دراسة وتحقيق د.يوسف أحمد المطوع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، دار التراث العربي، القاهرة، ص٢٠٠، والمقرب ومعه مُثل المقرب، لعلي بن مؤمن بن محمد بن علي المعروف بابن عصفور الحضرمي الإشبيلي (٥٩٧ - ٦٦٩هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م، ص٣١٦، والبسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن أبي الربيع عبيد الله بن محمد بن عبيد الله القرشي الإشبيلي السبتي (٥٩٩ - ٦٨٨هـ)، تحقيق ودراسة د. عياد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ١/ ٣٦١.

(٢) النحل: ٩١.

(٣) الأصول لابن السراج ٢/ ١٩.

* وقال ابن جني في الخصائص:"التوكيد وهو على ضربين: أحدهما تكرير الأول بلفظه، وهو نحو: قام زيد قام زيد...، والثاني تكرير الأول بمعناه، وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتثبيت والتمكين. الأول كقولنا: قام القوم كلهم...، والثاني نحو قولك: قام زيد نفسه..."(١). وقال في اللُّمع:"اعلم أن التوكيد لفظ يتبع الاسم المؤكَّد لرفع اللبس، وإزالة الاتساع"(٢).

* وقال الزمخشري:"التأكيد وهو على وجهين: تكرير صريح، وغير صريح، فالصريح نحو قولك: رأيت زيدا زيدا ...، وغير الصريح نحو قولك: فعل زيد نفسه وعينه ... وجدوى التأكيد: أنك إذا كررت فقد قررت المؤكَّد، وما علق به نفس السامع، ومكنته من قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجته، أو توهمت غفلة وذهابا عما أنت بصدده فأزلته، وكذلك إذا جئت بالنفس والعين، فإن لظانّ أن يظن حين قلت: فعل زيد، أن إسناد الفعل إليه تجوّز أو سهو أو نسيان"(٣)، ويلخص ابن يعيش قول الزمخشري في فائدة التوكيد بقوله:"فائدة التأكيد تمكين المعنى في نفس المخاطب، وإزالة الغلط في التأويل"(٤).

---

(١) الخصائص ٢/ ٣١٣: ٣٣٣.

(٢) اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص١٤١.

(٣)شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم ب"التخمير"، للقاسم بن الحسين الخوارزمي (٥٥٥ - ٦١٧ هـ)، تحقيق د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م ٢/ ٧٧، ٧٨.

(٤)شرح المفصل، للشيخ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، ت ٦٤٣هـ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، مكتبة المتنبي، القاهرة ٣/ ٤٠.

* وقال الأنباري في أسرار العربية:"الفائدة في التوكيد التحقيق، وإزالة التجوّز في الكلام؛ لأن من كلامهم المجاز...، التوكيد... علىٰ ضربين: توكيد بتكرير اللفظ، وتوكيد بتكرير المعنىٰ"[1].

* وقال صاحب كشف المشكل الحيدرة اليمني:"التوكيد، فهو تحقيق المعنىٰ في النفس بإعادة لفظ أو معنىٰ... وربما جاء توكيد اللفظ بلفظ تابع للأول، وليس به، فيؤتىٰ به زيادة في البيان، أو تحسينا للفظ، ولم يكن هناك لبس. فالذي يجيء زيادة في البيان نحو قولك: أصابنا مطر من السماء....

قال الله تعالىٰ:﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾[2]، وقال: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[3]، وقد علم المخاطب أن المطر لا يكون إلا من السماء،... وأن السقف لا يخر إلا من فوق، والطائر لا يطير بغير جناحين، ولكن أريد بذلك المبالغة، والذي يجيء تحسينا للفظ قولهم: أنت في حِلّ وبِلّ، ... والثوب حسن بسن ..."[4].

* وقال أبو موسىٰ الجزولي:"التوكيد تكرير وإحاطة، فالتكرير ضربان: تكرير لفظ، وتكرير معنىٰ، فتكرير اللفظ أن تعيده... وتكرير المعنىٰ: نفسه وعينه، ويتبع الاسم المعرفة مطلقا، والإحاطة يتبع الاسم المعرفة المتجزئ"[5].

---

(١) أسرار العربية ص٢٥٣.

(٢) النحل: ٢٦.

(٣) الأنعام: ٣٨.

(٤) كشف المشكل ص١٩٢، ١٩٣.

(٥) المقدمة الجزولية في النحو، لأبي موسىٰ عيسىٰ بن عبدالعزيز الجزولي (ت ٦٠٧هـ)، تحقيق وشرح د. شعبان عبدالوهاب محمد، راجعه د. حامد أحمد نبيل ود. فتحي محمد أحمد جمعة، د. ناشر، د.ت ص٧٣.

* وعرفه العكبري في اللباب بقوله:"التوكيد تمكين المعنى في النفس، ويقال: توكيد وتأكيد، ووكد وأكد، وبالواو.

جاء في القرآن: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلۡأَيۡمَـٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾[1].

ولفظه على ضربين: أحدهما إعادة الأول بعينه،... والثاني غير لفظ الأول، ولكن في معناه، والغرض من ذكره إزالة الاتساع، وذلك أن الاسم قد يُنسب إليه الخبر، ويراد به غيره مجازا... وقد يذكر العام ويراد به الخاص"[2].

* وقال ابن الخباز:"يقال توكيد وتأكيد، والأولى لغة القرآن، وفيه (توكيدها)،... وفي الاصطلاح: أوكدت الحبل والسرج وأكدته، أي أحكمته. ومعناه الصناعي: تمكين المعنى في النفس بذكر لفظه ثانيًا أو مثله دلالة عليه، وهو ينقسم قسمين: أحدهما أن تكرر اللفظ بعينه، ويسمى التوكيد الصريح والتوكيد اللفظي،... الثاني التكرير المعنوي، ويسمى التكرير غير الصريح"[3].

* وأنكر ابن يعيش تمييز إحدى اللغتين على الأخرى في التوكيد، وذلك في قوله:"اعلم أنه يقال: تأكيد وتوكيد ... وهما لغتان، وليس أحد الحرفين بدلا

(١) النحل: ٩١، وانظر المعجم المفهرس في ألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، ص٩٤٠.
(٢) اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٩٤.
(٣) توجيه اللمع، لأحمد بن الحسين بن الخباز، شرح كتاب اللمع لأبي الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨.

من الآخر؛ لأنهما يتصرفان تصرفا واحدا، ألا تراك تقول: أكّد يؤكّد تأكيدا، ووكّد يوكّد توكيدا، ولم يكن أحد الاستعمالين أغلب فيجعل أصلا، فلذلك قلنا: إنهما لغتان"(١).

* وقال أبو علي الشلوبين في التوطئة:"التوكيد تكرير بغير إحاطة وتكرير بإحاطة"(٢).

* وعرفه ابن الحاجب بقوله:"التأكيد تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول"(٣).

* وقال ابن عصفور في المقرب:"التوكيد لفظ يراد به تمكين المعنى في النفس، أو إزالة الشك عن الحديث أو المحدث عنه، فالذي يراد به تمكين المعنى في النفس التوكيد اللفظي...، والذي يراد به إزالة الشك عن الحديث التأكيد بالمصدر، فإذا قلت: (مات زيد موتا) ارتفع المجاز، والذي يراد به إزالة الشك عن المحدث عنه التأكيد بالألفاظ التي يبوّب لها في النحو، وهي للواحد المذكر: نفسه وعينه وكله وأجمع وأكتع، ..."(٤).

* وقال ابن أبي الربيع في البسيط:"التوكيد تمكين المعنى في نفس السامع، وإثبات الحقيقة، ورفع المجاز، وهو يكون على وجهين: توكيد لفظي وتوكيد معنوي"(٥).

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٣٩.

(٢) التوطئة ص٢٠٠.

(٣) شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ٢/٣٥٧، وذكره ابن هشام في شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لجمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، تأليف محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، د.ت، ص٤٢٨.

(٤) المقرب ومعه مُثل المقرب ص٣١٦.

(٥) البسيط ١/ ٣٦١.

* وقال القرشي الكيشي في الإرشاد:"هو تابع يقرر معنى لفظ متقدم لإزاحة غفلة موهومة، أو تجوّز محسوب، أو سهو مظنون، وذلك إما بتكرير اللفظ الأول... وإما بلفظ غير الأول"(١).

وهناك الكثير من التعريفات الأخرى(٢)، ولكن أرى فيما ذكرت الكفاية.

وبمراجعة تلك التعريفات السابقة يلاحظ أن:

من النحاة من عرف التوكيد ببيان ماهيته.

ومنهم من عرفه بذكر أقسامه.

ومنهم من جمع بين هذا وذاك.

ومنهم من ذكر في تعريفه للتوكيد الغرض منه وجدواه في الكلام.

ومنهم من قدم للتوكيد تعريفًا قاموسيًّا.

غالبية النحاة قد قصروا التوكيد– في تقسيمهم – على اللفظي والمعنوي فحسب، ولم يجروا ذكرا لأي من أساليب التوكيد وأدواته التي قد أقروا لها بإفادة التوكيد في

---

(١) الإرشاد إلى علم الإعراب، لمحمد بن أحمد بن عبداللطيف القرشي الكيشي (شمس الدين ت ٦٩٥هـ)، تحقيق د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص١٦١.

(٢) انظر شرح اللمع في النحو، تأليف القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي الضرير، تحقيق د. رجب عثمان محمد ود. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص١٠٨، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، د.ت، ٣/ ١٠٧، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ضبط وتشكيل وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٢/ ٦٠٩.

كتبهم، والتي مثّلتها فصول هذه الدراسة، من نحو التوكيد بحروف المعاني، وبحروف الزيادة، وبالحال المؤكِّدة، وبالنعت المؤكّد، وبالقسم، إلى آخر ذلك.

وتعريف التوكيد في اصطلاح النحاة لم يبعد كثيرا عنه عند اللغويين.

ثالثًا: التوكيد عند البلاغيين:

حده كما قال الجرجاني:"حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فُهِم من لفظ آخر قد سبق منك"(١)، و"التأكيد ضرب من التقييد، فمتى نفيت كلاما فيه تأكيد فإن نفيك ذلك يتوجه إلى التأكيد خصوصا، ويقع له"(٢).

وقال عنه العلوي في الطراز:"التأكيد تمكين الشيء في نفسه، وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المآخذ، كثير الفوائد"(٣).

ويلاحظ على هذين التعريفين أنهما يقتربان من تعريفات النحاة التي ذكر فيها الغرض من التوكيد وجدواه في الكلام، كتعريف ابن جني والزمخشري والأنباري والحيدرة اليمني والعكبري وابن عصفور وابن أبي الربيع والقرشي الكيشي.

كما يلاحظ أيضًا خلوهما من قصر النحاة للتوكيد على القسمين المعهودين: اللفظي والمعنوي، بل توجه تعريفه إلى الغاية من ذكره في الكلام مباشرة.

---

(١) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م، ص٢٣٠.

(٢) السابق ص٢٨٠.

(٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ٢/ ٩٤.

وقد اجتهدت في البحث عن مزيد من التعريفات للتوكيد عند البلاغيين، وطالعت العديد من كتبهم*، ولكن دون أن أحصّل شيئا، وذلك لأن التوكيد في الأصل مصطلح نحوي، ولذا فلم يهتم كثير من البلاغيين بوضع تعريف له، ولعلهم عولوا علىٰ ما ذكره النحاة له، وكان اهتمامهم منصبا علىٰ تناول أحكامه ومواضعه وفوائده إلىٰ غير ذلك.

وبعد أن فرغت من هذا التمهيد الذي كان لا بد منه؛ لأنه تناول التعريف بالمحورين الرئيسين اللذين قام عليهما هذا المصنف، وهما: الرافعي، والتوكيد، تتوالىٰ الأبواب والفصول من هذا الكتاب، مبتدئة بالتوكيد بالحروف، يليه التوكيد بالأسماء والضمائر، ثم التوكيد بالجمل، ومنتهية بالتوكيد بما يصلح فيه الإفراد والتركيب.

---

* نحو: عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، والموازنة للآمدي، والصناعتين لأبي هلال العسكري، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، والمثل السائر لابن الأثير، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني.

الباب الأول: التوكيد بالحروف

* وفيه فصلان:

- الفصل الأول: التوكيد بحروف المعاني
- الفصل الثاني: التوكيد بحروف الزيادة

١- يأتي هذا الباب أولا، لأن المصنَّف قد ترتبت أبوابه على التوكيد بالحروف، ثم بالأسماء، ثم بالجمل، ثم بما يصلح فيه الإفراد والتركيب.

٢- ويفتتح كل فصل من فصول ذلك المصنف بمقدمة نظرية، يليها عدد من النماذج الشعرية والنثرية من أدب الرافعي محلَّلة تحليلا نحويا دلاليا.

الفصل الأول

التوكيد بحروف المعاني

(إنَّ- أنَّ- لا النافية للجنس- السين وسوف- قد- لن)

الفصل الأول

(التوكيد بحروف المعاني)

يقصد بحروف المعاني الحروف التي تأتي مع الأسماء والأفعال لمعان، وحدُّها أن يقال: الحرف ما دل على معنى في غيره، نحو: مِن وإلى وثم، فـ (مِن) تدخل في الكلام للتبعيض، ولابتداء الغاية، و(إلى) تدل على المنتهى، وكذلك سائر حروف المعاني[1].

وذكر بعض النحاة أن"الحرف يدخل إما للربط أو للنقل أو للتأكيد أو للتنبيه أو للزيادة، ويندرج تحت الربط حروف الجر والعطف والشرط والتفسير والجواب والإنكار والمصدر؛ لأن الربط هو الداخل على الشيء لتعلقه بغيره، ويندرج تحت النقل حروف النفي والاستفهام والتخصيص والتعريف والتنفيس والتأنيث، ويندرج تحت التنبيه حروف النداء والاستفتاح والردع والتذكير والخطاب"[2].

ويعدها ابن سنان الخفاجي كلاما لا حروفا، إذ يقول:"أما تسمية أهل العربية أدوات المعاني نحو: مِن، وقد، حروفا فإنهم زعموا أنهم سموها بذلك لأنها تأتي في أول الكلام وآخره، فصارت كالحروف والحدود له. وقد قال بعضهم: إنما سميت حروفا لانحرافها عن الأسماء والأفعال. وهي عندنا نحن كلام؛ لأنها منتظمة من حرفين فصاعدا"[3]، فبعد أن بين سر تسميتهم لها بالحروف اعترض على ذلك مبينا السبب، وهو

---

(١) انظر الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص٥٤.

(٢) انظر قول ابن فلاح في الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ وضع حواشيه غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٢/ ١٥.

(٣) سر الفصاحة، للأمير أبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، تحقيق علي فوده، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص١٦.

أنها تتألف من حرفين فأكثر، وعلىٰ أية حال فلا مشاحة في الاصطلاح، فتسميتها حروفا أو أدوات، أو كلاما لا يترتب عليها نتائج تدفع إلىٰ تفضيل أي منها علىٰ الآخر، إلا أن اصطلاح (حروف المعاني) ربما كان هو الأوسع انتشارا في مصنفات العربية.

وقد اختُلف في عددها، فذكر بعضهم أن جملة حروف المعاني ثلاثة وسبعون حرفا، وزاد غيرهم حروفا أُخَر[1]،وسوف يقتصر المؤلِّف علىٰ تناول حروف المعاني التي تفيد التوكيد مما ورد في أدب الرافعي، وهي: (إنّ، وأنّ، ولا النافية للجنس، والسين وسوف، وقد، ولن).

(إنَّ)

(إنَّ) المكسورة المشددة حرف ناسخ ينصب الاسم، ويرفع الخبر، لفظا أو تقديرا[2]، وهي أبرز حروف المعاني التي تفيد التوكيد والتحقيق.

وقد اتفقت مقالة النحاة والبلاغيين علىٰ إفادة (إنّ) ذلك المعنىٰ[3].

(١) انظر الجنىٰ الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة وأ.محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص٢٨.

(٢) انظر كشف المشكل ص٨٠.

(٣) انظر كتاب سيبويه أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، د.ت،١/ ٣٣٨، وأسرار العربية ص١٤٣، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٠٥، والتخمير ٤/ ٤١، وتوجيه اللمع ص١٤٧، وشرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، لعلي بن مؤمن بن محمد بن علي المعروف بابن عصفور الحضرمي الإشبيلي (٥٩٧- ٦٦٩هـ)، تحقيق د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ١/ ٤٣٠، وشرح الكافية الشافية، لجمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن مالك الأندلسي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ١/ ٢٠٩، وشرح الرضي ٤/ ٣٣٦، ٤٤١، والبسيط ٢/ ٧٦٦، والإرشاد إلىٰ علم الإعراب ص٦٦، والنكت الحسان في شرح غاية الإحسان، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق ودراسة د. عبدالحسين الفتلي، كلية الآداب، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص٢٩٣، والجنىٰ الداني ص٣٩٣، ودلائل الإعجاز ص٣٢٥، ومفتاح العلوم ص١٠٥، والطراز ٢/ ١٠٨.

يقول سيبويه: "وإنّ توكيد لقوله: زيد منطلق "[١].

ويقول ابن السراج: "فإنّ توكيد الحديث"[٢]، وذكر الزمخشري أنها حرف تحقيق مؤذن بثبات الأمر وتمكنه، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡ﴾[٣][٤]، وجاء في (معاني النحو) أن من معاني إنّ التوكيد، "وهو الأصل فيها، ويدور معها حيث وردت"[٥]، وهي كذلك عند عبدالقاهر، "ولذا لا يحتاج إليها إلا إذا كان الخبر مشكوكا فيه أو مظنونا"[٦]، وذلك حيث يقول: "ثم إن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء، هو الذي دُوِّن في الكتب من أنها للتأكيد ... وإنما تحتاج إليها إذا كان له – يقصد المخاطب – ظن في الخلاف، وعَقْد قلب على نفي ما تُثْبِت، أو إثبات ما تَنْفي. ولذلك تراها تزداد حسنا إذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن، ولشيء قد جرت عادة الناس بخلافه، كقول أبي نواس:

عَلَيْكَ بِاليَأْسِ مِنَ الناسِ ... إِنَّ غِنَىٰ نَفْسِكَ فِي اليَاسِ[٧]"[٨]

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٣٣.

(٢) الأصول لابن السراج ١/ ٢٢٩.

(٣) التوبة: ٩٩.

(٤) انظر: الكشاف الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر ابن أحمد الزمخشري (٤٦٧– ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ٢/ ٢٨٩.

(٥) معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، دار الفكر، ١/ ٢٨٦.

(٦) من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل (إن وأخواتها) في القرآن الكريم، د. هاشم محمد هاشم، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٤م، د.ناشر، ص١٣.

(٧) البيت في ديوانه ص٦٠١.

(٨) دلائل الإعجاز ص٣٢٥.

وذكر السكاكي أن "إن بالكسر لتحقيق مضمون الجملة"[١]، ونص العلوي على أنها "إنما ترد على جهة التأكيد للجملة الابتدائية"[٢].

وفي دخول (إنّ) على الكلام عِوض عن تكرير الجملة مرتين، وفي ذلك اختصار تام وإيجاز مع حصول الغرض من التوكيد[٣].

ولإفادة (إنّ) التوكيد أجيب بها القسم كما يجاب باللام؛ لأنه لا يقال: والله زيد منطلق، لانقطاع المحلوف عليه من القسم، فإن أدخلت (إنّ) اتصل بالقسم، فقيل: والله إن زيدا منطلق[٤].

وتدخل (إنّ) لتوكيد نسبة الخبر للمبتدأ وتقريرها في ذهن السامع، وإزالة الشك عنها، أو الإنكار لها، وذلك في الإيجاب، نحو: إن زيدا قائم، أو في النفي، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٥][٦].

---

(١) مفتاح العلوم ص١٠٥.

(٢) الطراز ٢/ ١٠٨.

(٣) انظر الأصول لابن السراج ١/ ٢٤١، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٠٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٥٩.

(٤) انظر المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠ - ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٤/ ١٠٧، والأصول لابن السراج ١/ ٢٢٩، وارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ٣/ ١٢٣٧، والنكت الحسان ص٢٩٣، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، شرح وتحقيق عبدالسلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٢/ ١٤٩.

(٥) يونس: ٤٤.

(٦) انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لجمال الدين بن عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، لمحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، د.ت، ١/ ٢٨٨، وحاشية الصبان ١/ ٤٢٣، وحاشية الخضري ١/ ٢٥١.

وقد يتعلق الأمر بالمتكلم أو بالكلام نفسه، والذي يحدد ذلك هو السياق الذي تقع فيه (إنّ).

وأختتم الحديث عن (إنّ) بنص لعبدالقاهر يبين مكانتها وبلاغتها في الكلام، وأنها إذا أُسقطت اختل الأسلوب، ولم يصلح مكانها غيرها من أدوات الربط كالفاء، وأن ليس سواء دخولها وعدم دخولها.

يقول عبدالقاهر:"ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتتألف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحدا، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر ... حتى إذا جئت إلى (إنّ) فأسقطتها رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول، وتجافى معناه عن معناه، ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل حتى تجيء بالفاء،... ثم لا ترى (الفاء) تعيد الجملتين إلى ما كانتا عليه من الألفة، ولا ترد عليك الذي كنت تجد من المعنى"[1].

فـ (إنّ) - كما يفهم من النص - تؤدي وظيفة الربط الذي"هو الوظيفة نفسها للفاء"[2]، وتفوقها في أداء تلك الوظيفة، إضافة إلى وظيفتها الأصلية، وهي التوكيد.

وما ورد من التوكيد بـ (إنّ) في أدب الرافعي

قوله:

واصْبِرْ لَهَا ما دَهاكَ خَطْبٌ إِنَّ دَواءَ الهُمُومِ صَبْرٌ[3]

---

(١) دلائل الإعجاز ص٣١٦.

(٢)علم الجمال اللغوي (المعاني- البيان- البديع)، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ١/ ٤٠٢.

(٣) ديوان الرافعي ١/ ٩٥.

يدعو الشاعر كل عاشق إلى التحلي بالصبر كلما دُهي في حب غيداء ليست بذات وفاء، ثم يؤكد له أن الصبر علاج ناجع دوما لعموم الهموم. وقد حسن وقوع التوكيد بـ (إنّ) لأنها جاءت بعد أمر: (واصبر)، والأمر عادة يكون ثقيلا على نفس المأمور، لا سيما الأمر بالصبر، فكان التوكيد ليبين وجه الفائدة من هذا الأمر، وليحتج الآمر لنفسه فيه، فهو ما دعاه إلى الصبر وأمره به إلا لعلمه يقينا بمدى نفعه له، وصلاحه لشأنه. وربما كان المعنى الذي دخلت (إنّ) لتؤكده معلوما للمخاطب، ولكن حاله من الجزع دعت المتكلم إلى ذكره مؤكدا تذكيرا له به، ونزولا به منزلة من لا يعلم.

ويلاحظ أن (إنّ) قد أفادت إلى جانب التوكيد والتفسير الربط بين الجملتين، "حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحدا، وكأن أحدهما قد سُبك في الآخر"[١]، كما يقول عبد القاهر.

ومنه قوله:

وأَيُّما لُغَةٍ تُنْسِي امْرَأً لُغَةً   فإِنَّها لَعْنَةٌ مِنْ فِيهِ تَنْسَكِبُ[٢]

يتحدث الشاعر عن تقهقر اللغة العربية وحلول اللغات الأجنبية محلها على ألسنة أبنائها، ويؤكد الشاعر أن اللغة التي تنسي المرء لغته الأم- لا سيما اللغة العربية التي هي لغة الكتاب العزيز- هي لعنة تخرج من فمه حين يتفوه بها، وليست لغة.

وكان بإمكان الشاعر أن يقول: فهي لعنة، ولكنه حرص على التوكيد بـ (إنّ) لما في ذلك من تعبير عن مشاعر الغضب التي تتملكه حمية لهذه اللغة، وغيرة عليها من ذلك

(١) دلائل الإعجاز ص٣١٦.

(٢) ديوان الرافعي ٢/ ١٦.

التأثير السلبي للغات الأخرىٰ، علىٰ حين يحمل التعبير الأول الذي يخلو من (إنّ) شعورا هادئا لا يتناسب مطلقا والموقف الذي يتطلب إظهار الانفعال لإيقاظ الغافلين وتنبيههم لغلطهم حين استبدلوا الذي هو أدنىٰ من اللغات بالذي هو خير!.

ومنه قوله:

إِنِّي وإِيَّاكَ كالمَنْفِيِّ عَنْ وَطَنٍ   أَيَّ البِلادِ رَأَىٰ لَمْ يُنْسِهِ الوَطَنا[1]

يستهل الشاعر البيت بـ (إنّ) "علىٰ جهة التأكيد للجملة الابتدائية"[2]، ليقرر من خلال التوكيد بها حاله المؤسفة في بُعده عن حبيبه قسرا لا اختيارا، تماما كحال المنفي عن وطنه بكل ما يعتريه من مشاعر ملتاعة بسبب مفارقة الأهل والديار، ومن الحنين الدائم لوطنه الذي لا يغيب عن باله، ولا ينسيه إياه ما يرىٰ من بلادٍ غيره، وهكذا الحبيب لا ينسيه في نأيه عن من يحب أيّ مُنسٍ. وهذا المعنىٰ من مبتكرات الشاعر كما يقول شارح الديوان[3].

ومنه قوله:

حَمِّلْ فُؤادَكَ ما يُطِيقُ ولا تَكُنْ   حَزْنًا فَإِنَّ الحَزْنَ لَيْسَ يُطاقُ[4]

وقعت (إنّ) عقب أمر ونهي مراد بهما التوجيه والإرشاد والنصح، فأمر الشاعر المخاطب بأن يترفق بقلبه، ونهاه عن أن يكون صعبا خشن المعاملة مع غيره، وكأن

(١) السابق ١/ ٧٨.

(٢) الطراز ٢/ ١٠٨.

(٣) انظر هامش (١) في ديوان الرافعي ١/ ٧٨.

(٤) ديوان الرافعي ١/ ٢٨.

نفس المخاطب قد استشرفت لمعرفة سبب هذا الأمر وذاك النهي، ومِنْ ثَمَّ جاءت (إنّ) لتعلل ما سبقها، "وتجيب عن سؤال مقدر فيه علىٰ سبيل تنزيل غير السائل منزلة السائل، لتَقدّم ما يستدعي سؤالا"[١] وبهذا تكون (إنّ) قد أفادت إلىٰ جانب التوكيد التعليل، ولا شك أن ذكر الشيء معللا أوقع في النفوس من ذكره بلا علة.

ومنه قوله:

ويا رَبُّ إِنْ كانَ النَّعِيمُ كَما أَرَىٰ فَسادًا فَإِنَّ البُؤْسَ خَيْرُ نَعِيمِ[٢]

يتحدث الشاعر علىٰ لسان (البنت الفقيرة اليتيمة) التي تشكو سوء معاملة الأغنياء لأمثالها من الفقراء، وتلهّيهم بنعيمهم عن بؤس هؤلاء. وقد جاءت (إنّ) في هذا البيت لتؤكد رضاها التام بحالها من العُدم والبؤس مقارنة بالنعيم علىٰ فساده. وقد ناسب السياق التوكيد بـ(إنّ)، وذلك لأمرين: الأول ما يشتمل عليه الخبر من غرابة تدعو لهذا التوكيد؛ لأنها جعلت البؤس خير نعيم، بصيغة التفضيل، وليس مجرد نعيم، مع كون هذا الأخير غريبا أيضا. والثاني أنه أبان عن مشاعر السخط الشديد علىٰ أهل النعيم، وبغضهم الذي حمل علىٰ بغض النعيم ذاته.

ومنه قوله: "**فإنَّ الفرق بعيد بين الأخذ في المخترعات والعلوم، وبين الأخذ من زخرف المدنية وأهواء النفس وفنون الخيال ورونق الخبيث والطيب ...**"[٣].

---

(١) من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالأفعال (إن وأخواتها) في القرآن الكريم ص٣٠.

(٢) ديوان النظرات ١/ ٨٩.

(٣) من وحي القلم ٣/ ١٥٧.

يتناول الكاتب موضوع اقتباس أهل الأقطار العربية من عناصر المدنية الغربية اقتباس التقليد بلا وعي، وكان حديثه في فقرة سابقة يحمل النقد الشديد لهذا المسلك، كما يحمل شعور الاستياء من ذلك. وربما استشعر الكاتب أنه قد يُفهم من كلامه هذا الرفض المطلق للأخذ عن الغرب، ومِنْ ثَمَّ كان ضرورة مجيء التوكيد في قوله: (فإن الفرق بعيد ...) ليبين مقصده من أن الرفض منصب على الجانب الذي لا يحمل النفع، ولا يعود بالفائدة، بل على العكس من ذلك، وليس منصبا على ما يفيد من مخترعات حديثة وعلوم، فهذه لا مانع من الأخذ منها أبدا.

وهكذا أفاد التوكيد بـ (إنّ) بيان مراد المتكلم بصورة قاطعة تدرأ عنها أي فهم خاطئ.

ومنه قوله: "**فإن كتابنا خالص للجمال بذاته واقع من الحب في خاص معانيه**"[١].

ذكر الكاتب هذه العبارة في مقدمة كتابه (أوراق الورد)، وفي تأكيده تميز هذا الكتاب نلمح إعجابا شديدا من الكاتب بعمله، وإدلالا به على كل ما أُلِّف في تاريخ الأدب العربي في هذا الشأن، أي في فلسفة الجمال والحب، يقول في موضع آخر:"**فإننا لا نعرف في تاريخ الأدب العربي كله رسالة كُتبت من هذا الطراز، على كثرة كُتّاب العربية وكتبها ...**"[٢].

كما أنه يُدل به أيضًا على كُتّاب أوربا:"**إنك لا ترى في هذه الرسائل ما ينزع به الكلام ذلك المنزع الذي أشرنا إليه آنفا، ولا ما يتوسع بها كُتاب أوربا من الحشو الذي يوجَّه على علل مختلفة بين التاريخ والاجتماع وما إليهما ...**"[٣].

---

(١) أوراق الورد ص٣٥، ٣٦.

(٢) السابق ص١٣.

(٣) أوراق الورد ص٣٥.

فالتوكيد بـ (إنّ) في العبارة الأولى جاء ليعبر عن شعور داخل المتكلم؛ فهو ليس بإزاء مخاطب شاك أو منكر، كما أنه لا يخبر عن أمر يحمل غرابة أو نحو ذلك مما يقتضي التوكيد ويطلبه.

ومنه قوله: "**إنّ ساعة من ساعات هذا الضعف الإنساني الذي نسميه (الحب) تنشئ للقلب تاريخا طويلا من العذاب**"(١).

في التوكيد بـ (إنّ) ما يكشف بوضوح تام لكل من يسمع هذا الكلام عن نفس صدعها الحب وحطمها، حتى أصبحت تنظر إليه نظرة سوداوية، وتعلن مؤكدة أن ساعة (يعني القليل القليل من الزمن) من ساعات الحب جديرة وكفيلة بخلق تاريخ (طويل) من العذاب والألم لقلب المحب، ومما يدل على أن الكلام جاء مؤكدا نتيجة للمشاعر السلبية التي تولدت في نفس المتكلم، أنه قد أطلق على الحب: (الضعف الإنساني)، ثم زاد في ازدرائه بقوله: (الذي نسميه الحب)، وكأن المسمَّى الأول هو الأولى به والأنسب له.

دخول لام الابتداء خبر (إنَّ):

تدخل (**لام الابتداء**) خبر (إنّ) دون سائر أخواتها، وذلك "لزيادة التوكيد والتشديد عليه"(٢)، أو بعبارة أخرى "لما يراد من المبالغة في التوكيد إذ هو حاصل"(٣)، أي دون تلك اللام.

---

(١) رسائل الأحزان ص٤٣.

(٢) كتاب اللامات ص٧٦، وانظر الأصول لابن السراج ١/ ٢٣١، والخصائص ١/ ٣١٨، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢١٦، والتخمير٤/ ١٧٢، وتوجيه اللمع ص١٥١، وشرح الكافية الشافية ١/ ٢١٧.

(٣) رصف المباني ص٢٣٣، وانظر سر صناعة الإعراب ١/ ٣٢٧، والجنى الداني ص١٣٠.

والعلة من أن اللام تلزم في الخبر دون الاسم "لئلا يجمع بين حرفين مؤكدين، فجعلوا (إنّ) في الابتداء، واللام في الخبر ليحسن الكلام ويعتدل"[١].

ولكن إذا تأخر الاسم عن الخبر جاز اقتران لام الابتداء به؛ لأن علة المنع قد زالت بالتأخير.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾[٣].

ومن مجيء اللام في خبر (إنّ) قول الرافعي:

وإِنِّي لَيُرْضِينِي عَلَىٰ القُرْبِ والنَّوَىٰ ... إِذَا فاحَ مِنْهُ في الصَّباحِ عَبِيرُ[٤]

يؤكد الشاعر رضاه من حبيبه بما تحمله إليه الرياح من عبيره الزكي، وقد احتاج الكلام إلى هذا التوكيد بـ (إنّ) واللام؛ لأن المعنى الذي ذكر قد يثير شك السامع لعجب ذلك القليل الذي يرضيه، وأعجب منه جعله في حالَي القرب والنوى، فإن كان هذا مقبولا في البعد، فكيف يقبل في القرب والوصال؟.

فبين الشاعر أن قناعته بأقل القليل أمر مقرر، لا محل فيه للشك أو التردد في قبوله، فهذا شأنه في حبه.

---

(١) كتاب اللامات ص٧٥، وانظر الأصول لابن السراج ١/ ٢٤١، ٢٤٣، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٢٣، ٣٢٧، والخصائص ١/ ٣١٨، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢١٦، وشرح اللمع ص٤٨، وشرح الكافية الشافية ١/ ٢١٧، وشرح الرضي ٤/ ٣٥٧، والجنى الداني ص١٦٥، والبهجة المرضية ص١٦٦.

(٢) البقرة: ٢٤٨.

(٣) آل عمران: ٧٨.

(٤) ديوان الرافعي ٢/ ٩٩.

ومنه قوله:"**إنَّ وصفها لَـهَمّ جديد، وإنها الآن في نفسي غير من كانت؛ فالكتابة عنها ضرب من العنت كالترجمة من لغة إلى لغة**"(١).

أراد الكاتب بتكثيف الجملة، حين أكدها بـ (إنّ) واللام في قوله: (إن وصفها لـهَمّ) أن يبلغ توصيلا صادقا لما في نفسه من شعور باستثقال وصف حبيبته إلى صديقه، وذلك لأن الإنسان عادة يصف بإحساسه الذي يحمله للموصوف، وهي الآن في نفسه (غير من كانت)، فيحتاج في وصفها أن يجتر من الماضي ما يعينه على ذلك، وهذا ولا شك (ضرب من العنت) كما ذكر.

ومنه قوله:"**وإنّي لأحمل في غضبها من الهم ما لا أرهَق بأوجع منه لو عاداني كل من معي وجفاني كل ما حولي**"(٢).

ثقّل الكاتب كلامه بالمؤكدين (إنّ) واللام في قوله: (إني لأحمل) ليناظر ذلك ثقل الحمل الذي يحمله من الهم حين تغضب عليه المحبوبة، والذي لا يوجع بشيء أكثر منه. كما أنه يبين من خلال هذا التوكيد عدم ارتكابه ما من شأنه أن يغضبها، لأنه يعمل لذلك الغضب ألف حساب.

<u>ومن مجيء اللام في اسم (إنّ) المتأخر</u>

قوله:"**وإنَّ في القلم لشيئا يدفع الموت والنسيان عن المعاني التي تُكتب إلى أجل طويل**"(٣).

يؤكد الكاتب بيقين بقاء أدبه وخلود معانيه التي يكتبها إلى أمد بعيد، وأنها ستظل بمنأى عن يد الموت وغيهب النسيان.

---

(١) رسائل الأحزان ص٥٧.
(٢) أوراق الورد ص١٨٤.
(٣) رسائل الأحزان ص٤٢.

وقد بالغ في توكيده حين جمع اللام إلى (إنّ) استجابة لداع نفسي؛ لأنه في غمرة الشعور بقيمة عمله يحاول أن يصرف عن ذهنه فكرة فناء هذا العمل بالموت أو النسيان، ولذا أكد لنفسه قبل أن يؤكد للمخاطب ثقته الكبيرة بأن العناية الإلهية ستحفظ له ما كتب.

(أَنَّ)

(أَنَّ) المفتوحة المشددة من أخوات (إنّ)، حرف ينصب الاسم، ويرفع الخبر، وقد ثبت لها ما ثبت لـ (إنّ) من إفادتها التوكيد والتحقيق(١)، يقول ابن السراج:"واعلم أن (أنّ) إنما هي لما تتيقنه ويستقر عندك"(٢). وكثيرا ما يقرن النحاة بين (أنّ) و(إنَّ) في عباراتهم، من ذلك قول الزمخشري:"وإنّ وأنّ وهما يؤكدان مضمون الجملة ويحققانه"(٣)، وقول ابن حيدرة اليمني:"فمعنى إنّ وأنّ التأكيد"(٤)، وقول ابن الخباز: "فمعنى إنّ وأنّ جميعًا التحقيق"(٥)، غيرهم(٦)، وذلك إذ يعدها بعضهم فرعا عن المكسورة، وهو مذهب سيبويه(٧)، والمبرد في المقتضب(٨)، وذكره ابن مالك في شرح التسهيل(٩).

---

(١) انظر الكتاب ١/ ٢٣٨، ومفتاح العلوم ص١٠٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٥٩، وارتشاف الضرب ٣/ ١٢٣٧، والنكت الحسان ص٢٩٣، ومغني اللبيب ١/ ٨٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٤٩.

(٢) الأصول لابن السراج ٢/ ٢٠٩.

(٣) التخمير ٤/ ٤١.

(٤) كشف المشكل ص٨٠.

(٥) توجيه اللمع ص١٤٧.

(٦) انظر أسرار العربية ص١٤٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٥٩، والمقرب ص١٦٤، وسبك المنظوم وفك المختوم ص١٠٢، وشرح الرضي ٤/ ٣٣١، والبسيط ٢/ ٧٦٦، والإرشاد إلى علم الإعراب ص٦٦، وشرح قطر الندى ص١٩٤، وشرح المكودي ص٧٣، وحاشية الصبان ١/ ٤٢٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٤٨، والبهجة المرضية ص١٦٢، وحاشية الخضري ١/ ٢٥١، والكواكب الدرية ص٢٤٩.

(٧) "هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده". الكتاب ٢/ ١٣١.

(٨) "... إنّ وأنّ مجازهما واحد، ولذلك عددناهما حرفا واحدا". المقتضب ٤/ ١٠٧.

(٩) "أنّ المفتوحة فرع المكسورة". شرح التسهيل ٢/ ٥.

ووجه التوكيد في أنّ المفتوحة أنه كان يمكن العدول عن ذكرها مع معموليها إلىٰ المصدر الصريح الذي يسد مسدها، ويؤدي المعنىٰ الذي تفيده، يقول العكبري في ذلك:"إنما دخلت إنّ علىٰ الكلام للتوكيد ... وهكذا أنّ المفتوحة، إذ لولا إرادة التوكيد لكنت تقول مكان قولك: بلغني أن زيدا منطلق، بلغني انطلاق زيد"(١)، وكذا قال ابن يعيش:"... ولولا إرادة التوكيد لكان المصدر أحق بالموضع"(٢).

ومما ورد من التوكيد بـ (أنّ) في أدب الرافعي

قوله:

فيا لَيْتَ أَنَّ الأُفْقَ تَهْوِي نُجُومُهُ عَلَىٰ كُلِّ واشٍ بِالـمُحِبِّينَ خَوَّانِ(٣)

أتىٰ الشاعر بـ (أنّ) ليؤكد بها صدقه تمنيه بتنزل نجوم السماء الملتهبة علىٰ الواشين جميعًا، وكان يكفي مجيء (ليت) لتؤدي هذا المعنىٰ، أقصد التمني، وبخاصة أن ما يتمناه أمر يستحيل تحققه في الواقع، فلا يعدو أن يكون مجرد (تمنٍّ)، فلماذا التوكيد إذن؟.

من الواضح لي أن التوكيد هنا جاء لينفّس به الشاعر عما يجد من حرقة في قلبه من هؤلاء الوشاة الذين يحس بثقلهم علىٰ نفسه كثقل الجبال:

وَيَا لَيْتَ أَنَّ الْأَرْضَ دُكَّتْ جِبَالُهَا فكَمْ فِيهِمُ مِنْ مِثْلِ رَضْوَىٰ وثَهْلانِ(٤)

فهو علىٰ ذلك توكيد نفسي إن جاز التعبير، أي يلائم حالته النفسية.

---

(١) اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٠٥.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٥٩.

(٣) ديوان الرافعي ١/ ٨٣.

(٤) السابق ١/ ٨٣. ورضوىٰ وثهلان: جبلان عظيمان.

ومنه قوله:

يَظُنُّ عِداهُ أَنَّ في الناسِ مِثْـلَهُ فيَا وَيْحَهُمْ شَمْسُ الضُّحَىٰ ما نَظِيرُها؟(١)

ورد هذا البيت ضمن قصيدة يمدح بها الشاعر السلطان عبدالحميد العثماني، ويهنئه بعيد جلوسه لسنة ١٩٠١م، ويذكر حادثة الأرصفة التي كانت يؤمئذ، وتهديد فرنسا للدولة العثمانية(٢).

وذكر (أنّ) في البيت ليؤكد ظن الأعداء بوجود مثيل للسلطان عبدالحميد، فمن ثم يمكنهم التغلب عليه كما تغلبوا علىٰ غيره من قبل، وفي هذا التوكيد بيان بسوء تقديرهم، وخطأ حساباتهم؛ لعدم معرفة من يعادونه حق المعرفة، كما أن فيه تعريضا من الشاعر بغباوتهم واغترارهم بقواتهم، علىٰ حين أنه يرىٰ السلطان عبدالحميد – الممثل في شخصه الدولة العثمانية آنذاك – متفردا لا نظير له بين الناس، كما أن الشمس لا نظير لها بين الكواكب، فكيف يكون من هذا حاله وشأنه غيرَ معلوم القدر؟!.

ومنه قوله:

أَمَا يُرْضِيكَ مِنّي أَنَّ نَفْسِي تَذِلُّ ومِثْلُ نَفْسِي لا تَذِلُّ؟(٣)

لاحظ الشاعر بوادر جفاء من حبيبته، ولم يدر سببا لذلك، فسارع باسترضائها مؤكدا لها أن نفسه تذل له وتخضع لرضاها، وكفىٰ بذلك مُرَضِّيا؛ فإنها نفس عزيزة متأبية لا تذل ولا تهون لأحد.

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٣٤.

(٢) ديوان الرافعي ٣/ ١٥٧.

(٣) السابق ١/ ٩١.

ومنه قوله:

أُحِسُّ بَيْنَ ضُلُوعِي كُلَّما خَطَرَتْ ذِكْراكِ أَنَّ إِلَيْكِ القَلْبَ يَنْحَرِفُ[١]

يتحدث الشاعر عن (طرابلس) موطن أسرته الأصلي، ويؤكد مستخدما (أنّ) في هذا البيت حنينه الجارف إليها أنى ذكرها. وقد آثر الشاعر التركيب الذي ترد فيه (أنّ) على التركيب الذي يرد فيه المصدر، كأن يقول: انحراف القلب إليك، وذلك لأنه التركيب الذي فيه التوكيد، وهو ما يحتاج إليه في تعبيره عن صادق مشاعره تجاه هذه المدينة الحبيبة، وتعلق قلبه بها.

ومنه قوله: "**وأما في العادات الاجتماعية فلنذكر أنَّ الشرق شرق والغرب غرب**"[٢].

يقف الكاتب وقفة جادة أمام التقليد المقيت للغرب، ذلك التقليد الذي يذهب باستقلال الأمة، و"**لا يكون طبيعة إلا في الطبقات المنحطة**"[٣]، وإن جاز الأخذ عنهم كالعلوم مثلا، فإن الكاتب يؤكد بلهجة حاسمة أنه لا يجوز بحال في العادات الاجتماعية والتقاليد؛ إذ شتان ما بين الشرق والغرب في طبيعة كلٍّ والذوق الخاص به. ويهدف الكاتب من التوكيد في قوله: (فلنذكر أن الشرق شرق والغرب غرب) إلى لفت نظر المخاطبين إلى تلك الحقيقة التي يجب أن تكون نصب أعينهم؛ لأنها إن غابت عنهم ففي غيابها مسخ لهويتهم، وضياع قيمهم، وفساد مجتمعاتهم.

---

(١) ديوان النظرات ١/ ٦١.

(٢) من وحي القلم ٣/ ١٥٧.

(٣) السابق ٣/ ١٥٧.

ومنه قوله: "**والتواضع في الجمال أحسن من الجمال؛ لأنه ينفي الغرور عنه**"[١].

لما ذكر الكاتب أن التواضع في الجمال أحسن من الجمال، كان من المتوقع أن تتطلع نفس المتلقي لمعرفة تفسير هذا الحكم الذي يبدو غامضا، فجاء التوكيد بـ (أنّ) ليفسر مقصود المتكلم، ويزيل الغموض الذي يكتنف حكمه، فالتواضع ينفي الغرور عن الجمال الذي هو في رأيه آفة الجمال التي قد تفوق القبح.

ومنه قوله:"**وفي مذهبي أنَّه إذا اجتمع الأذىٰ والحب في قلب، وجب أن ينصرف الحب مطرودا مدحورا، ما من ذلك بد**"[٢].

يؤكد الكاتب استحالة بقاء الحب مع الأذىٰ في قلب المحب، وربما يوجد من يخالف الكاتب في هذا الرأي ويرد عليه بأن كل ما يأتي من الحبيب حبيب، حتىٰ ولو كان أذىٰ صريحا، ولذا أتىٰ الكاتب بأداة توكيد: (أنَّ) ليدعم بها رأيه، كما يلاحظ أنه احترز في أول الكلام بقوله: (وفي مذهبي). وينم هذا الرأي المؤكد عن نفس أبية عزيزة لا تقبل الترخص في الحب، بل تضع كرامتها بينها وبين من تحب، وترجح كفة الكرامة علىٰ ما سواها. وقد عبر الكاتب عن نفسه في فقرة كاملة ترشح ما ذكرته في التحليل السابق، وذلك قوله:"**إني لمن أولئك الذين يعرفون أنَّ لهم عروقا سماوية في أرواحهم تتضرم بالشعاع القدسي الذي كان يوما في بعض أجدادهم: إما نبوة نبي، وإما خلافة خليفة، وإما مُلك مَلِك**"[٣].

وبعد، فما كان لصاحب نفس كهذه ترىٰ أن لها قدرا ساميا كالذي ذكر أن يتنازل ويقبل بأذىٰ أو هوان. ويُلحظ مجيء (إنّ) و(أنّ) في الفقرة الأخيرة لتوكيد ما ورد فيها.

---

(١) رسائل الأحزان ص٤٧.

(٢) أوراق الورد ص٦٣.

(٣) أوراق الورد ص٦٣.

(لا النافية للجنس)

تعد لا النافية للجنس من الحروف الناسخة للابتداء، فتنصب المبتدأ، وترفع الخبر، ويقصد بها التنصيص علىٰ استغراق النفي لأفراد الجنس كله[١]. وتسمىٰ (لا التبرئة) بإضافة الدالّ للمدلول؛ لأنها تبرئة المتكلم وتنزيه الجنس عن الخبر[٢].

وتعمل (لا) عمل (إنّ)؛ لأنها أشبهتها من وجوه[٣]:

أحدها: أنها لتوكيد النفي كما أن (إنّ) لتوكيد الإثبات.

الثاني: أنها نقيضة (إنّ)، والعرب يحملون الشيء علىٰ نقيضه كما يحملونه علىٰ نظيره، "ومعنىٰ تناقضها أنه إذا قيل: إنّ في الدار رجلا، قيل في نفيه: لا رجل في الدار"[٤].

الثالث: أنها تدخل علىٰ مبتدأ وخبر، كما أن (إنّ) كذلك.

الرابع: أن لها صدر الجملة كما أن (إنّ) كذلك أيضا.

وقد أضيفَ الشبه إلىٰ (إنّ) المكسورة "لأنها أصل الحروف الواقعة في هذا الباب من حيث إنها للتوكيد، والجملة معها باقية علىٰ معناها"[٥].

---

(١) انظر شرح المكودي ص٢٨، والنحو الوافي ١/ ٦٨٨.

(٢) انظر حاشية الخضري ١/ ٢٧٩، ومغني اللبيب ١/ ٥٣٣، وحاشية الصبان ٢/ ٣، والنحو الوافي ١/ ٦٨٦.

(٣) انظر كشف المشكل ص٨٦، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٢٦، وتوجيه اللمع ص١٥٦، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ١٠٥، وشرح الكافية الشافية ١/ ٢٣٢، والجنىٰ الداني ص٢٩٢، وحاشية الصبان ٢/ ٤، والكواكب الدرية ص٢٨٢.

(٤) أمالي ابن الشجري ٢/ ٥٨٢.

(٥) توجيه اللمع ص١٥٦.

ونخلص من ذلك إلى أن (لا النافية للجنس) تفيد التوكيد كما تفيده (إنّ)، مع اختلاف الجهة من النفي والإثبات، وهذا هو حجر الزاوية في تناولها والحديث عنها في هذه النقطة.

ومن النماذج التي وردت فيها لا النافية للجنس قوله:

وَمَنْ كانَ ذَا نَفْسٍ تَرَىٰ الأَرْضَ جَوْلَةً ... فلَا بُدَّ يَوْمًا لِلسَّماواتِ يَرْتَقِي[1]

ورد البيت في سياق امتداح الشاعر نفسه أمام حبيبته، وهذا سياق تجمل فيه المبالغة والتوكيد، وذلك من ناحيتين: الناحية الأولىٰ أنه مدح، والناحية الثانية أن هذا المدح أمام الحبيبة.

وقد أراد الشاعر أن يثبت لها بالقطع أن بمقدوره الوصول إلىٰ القمة السامقة إن رامها. ولإثبات ذلك وتوكيده اعتمد الشاعر علىٰ عدة أمور، منها:

- أنه مهد لهذا التوكيد ببيتين سابقين لهذا البيت، وهما قوله:

رُوَيْدَكِ لا تَقْضِي عَلَيَّ فَرُبَّما ... رَأَيْتِ بَرِيقَ التاجِ يَوْمًا بِمَفْرِقِي

وما أَخَّرَتْنِي فِي بَنِي الدَّهْرِ شِيمَةٌ ... بَلَىٰ ومَتَىٰ أُطْلِقْتُ لِلسَّبْقِ أَسْبِقِ[2]

- أنه أورد كلامه في سياق العموم الذي يشمله ويشمل غيره، وذلك قوله: (ومن كان ذا نفس...) بعد أن كان الحديث في سياق خاص يتحدث فيه عن نفسه، وذلك قوله في البيتين السابقين: (عليَّ– بمفرقي– وما أخرتني – أُطلقت – أسبق). وكون الكلام في سياق العموم أدعىٰ للقبول والتسليم، بالإضافة إلىٰ أنه كساه ثوب الحكمة المصدَّق بحكمها.

(١) ديوان الرافعي ٢/ ٧٨.

(٢)السابق ٢/ ٧٨.

- أنه صاغ المعنى في قالب الشرط، وأورد عنصر التوكيد (لا النافية للجنس)* في صدر الجواب، وكأنه يقطع بتحقيق جملة جواب الشرط استنادا على ما قدم في جملة فعل الشرط التي نلاحظ أنها تستنطق بذاتها الجواب من السامع؛ فمن يسمع الشطر الأول: (ومن كان ذا نفس ترى الأرض جولة) لا يملك إلا أن يقول: (فلا بد يوما للسماوات يرتقي).

ومنه قوله:

أَنْتِ يا مَنْ فِيكِ أَنْسَى مَنْ أَنَا بَعْدَ ذَنْبِ الدَّهْرِ فِينَا لا عَلَيْكِ(1)

لقد تناهى الشاعر في عشقه حتى إنه لينسى في حبيبته ذاته، وكان من الطبيعي والحال هذه أن يُغتفر لتلك الحبيبة ما قدمت من ذنب في حقه وما أخرت، ولتأكيد ذلك أتى بـ (لا النافية للجنس) التي تستغرق نفي جميع الذنوب، دقّها وجلّها، وإمعانا في التوكيد، حذف اسم لا* المقدر بـ (ذنب) بيانا لإعراضه عن مجرد ذكره في اللفظ، فنفسه قد طابت بالمغفرة المطلقة، كما أن في حذفه صونا لسمعها عن كل ما يؤذيه.

ومنه قوله:

ولا خَيْرَ فِيمَنْ لا يُحِبُّ بِلادَهُ ولا في حَلِيفِ الحُبِّ إِنْ لَمْ يُتَيَّمِ(2)

---

* قد أخرت ذكر لا النافية للجنس ودلالتها مع أنها مناط الحديث هنا رغبة في ترتيب عناصر التحليل.

(1) ديوان النظرات ١/ ٣٢.

* يجري على جملة لا النافية للجنس ما يجري على جملة (إنّ) من جواز الحذف إذا دل عليه دليل، وقد يكون الحذف في الاسم. انظر التخمير ١/ ٥١٩، وشرح الكافية الشافية ١/ ٢٣٩، وارتشاف الضرب ٣/ ١٣٠١. وذلك نحو قولهم: لا عليك، وعلل سيبويه أنه حُذف "لكثرة هذا في كلامهم" - الكتاب ١/ ٢٢٤.

(2) ديوان الرافعي ١/ ٢٣.

ينفي الشاعر في الشطر الأول الخيرية عن كل فرد يتصف بعدم الحب لبلاده، ولعل الدافع وراء هذا النفي الشامل الذي يستغرق جميع أفراد الاسم دون استثناء هو العاطفة الجياشة والمشاعر المفعمة بالحب في قلب الشاعر تجاه الوطن، مصداقا لذلك قوله في مفتتح القصيدة:

بِلادِي هَواها في فُؤادِي وفي دَمِي ... يُمَجِّدُها قَلْبِي ويَدْعُو لَـها فَمِي[1]

وفي الشطر الثاني، ينفي الخيرية أيضًا عن كل محب لم يتيّمه الحب ويعبّده. ونجد هنا حذف اسم لا* اقتصارا على ذكره في الشطر الأول، وهو حذف جائز لا يخلو من دلالة عميقة؛ فذكره كان مع ذكر حب البلاد، وهو الأمر الذي يسيطر على الشاعر، ولذا أولاه العناية والاهتمام، وأتمّ لجملة (لا) أركانها، أما في الشطر الثاني، فذكر الحب يُقصد به الحب العام الذي ينطوي تحته حب الوطن وغيره، ولذا لم يعبأ كثيرا بذكر الاسم معه.

ومنه قوله: "**وانطلَق الطفل وهو يَلوِي رأسه ويفكّر في أي خدَّيْه تقع عليه اللَّطْمة الأولى من أمه؛ لأنها لا مَحالةَ مُتوعِّرة به**"[2].

يتحدث الكاتب عن طفل فقير يعمل في بعض المصانع ليتكسب قوته وقوت أمه العمياء، وقد تصدّق هذا الطفل بما معه كله لفتاة فقيرة مثله كادت تجود بروحها من شدة ما بلغ بها من الجوع!.

---

(١) السابق ١/ ٢٣.

* على توجيه العطف في البيت على أنه من عطف الجمل.

(٢) كتاب المساكين ص٦٧.

وتأتي لا النافية للجنس لتؤكد ما ستوقعه أمُّ هذا الطفل عليه من العقاب حين يعود إليها صفر اليدين. وقد أراد الكاتب من خلال ذلك التوكيد أن يبين كيف أن هذا الصغير قد تصرف بحسه الفطري السليم، وأقدم علىٰ العطاء والإحسان، مع يقينه التام بما سيلاقيه وما ينتظره، ويحمل هذا البيان في طياته مدحا غير مباشر لصنيع هذا الصغير المحسن، كما أنه يحمل أيضًا تعريضا بالأغنياء الممسكين الذين لم يسلكوا مسلكه مع ما هم عليه من الغنىٰ، ومع استجداء المسكينة لهم، بل مروا بها غير آبهين.

وقد حذف الكاتب الخبر من جملة لا* دلالة علىٰ أنه منشغل بالتركيز علىٰ الحدث الأهم لديه إبرازه وتوكيده، وهو ما ينتظر هذا المسكين البريء الذي لم يقترف إثما من عقاب، لما يشكّل ذلك الحدث من أهمية داخل السياق، أما الخبر فقد وكّل أمره للقارئ يقدّره بسهولة، دون أن يذكره له، ويشغل ذهنه به.

ومنه قوله: **"كأننا في يوم هَجْرٍ خالد علينا، فكل ما يأتي بعده من الأيام ميت لا محالة؛ إذ أيام الحب إنما هي بنسبتها إلىٰ الحبيب، لا إلىٰ الزمن"**(١).

يؤكد الكاتب بجملة لا النافية للجنس موت الأيام الآتية من بعد يوم الهجر؛ لأنها أيام خلَت منها الحياة حين خلا منها الحبيب، إذ الحياة هي الحبيب في فلسفة الكاتب.

* يجوز الحذف في الخبر كما جاز في الاسم، ومن ذلك قولهم: لا بأس، ولا شك، أي: عليك، وفيه. انظر الخصائص ٢/ ١٥٢، والمرتجل ص١٧٩، وشرح الأنموذج ص٣٨، وارتشاف الضرب ٣/ ١٢٩٩، ١٣٠٠، وشرح شذور الذهب ص٢٣٨.

(١) أوراق الورد ص٢٤٩، ٢٥٠.

وقد عكس هذا التوكيد ما بداخل الكاتب من شعور الكآبة الذي سيطر عليه حتىٰ جعله ينظر إلىٰ المستقبل نظرة قاتمة، لا يبرق فيها بصيص من النور أو الأمل، فإلىٰ هنا قد توقفت الحياة!.

وقد حذف الخبر هنا نتيجة للحالة السيئة التي عليها الكاتب، والتي لا يتاح معها استيفاء الجملة كل أركانها، ومِنْ ثَمَّ كان الاكتفاء بذكر الاسم الذي يحقق معنىٰ التوكيد الذي يريد، والخبر بعد ذلك مفهوم مقدّر، لا يحتاج أن يحمّل المتكلم نفسه عبء ذكره.

ومنه قوله:"**علىٰ أنه لا منافرة بين الحب والفضيلة في رأيي**"(١).

سُبقت هذه الجملة بكلام يفهم منه أن الكاتب يعلي من قدر الفضيلة ويحط من شأن الحب، كقوله:"**إن ذلك الحب هو عندي عمل فني من أعمال النفس، ولكن الفضيلة هي النفس ذاتها، الحب أيام جميلة عابرة في زمني، أما الفضيلة فهي زمني كله**"(٢)، ولذا فقد تطلب منه السياق توكيدا يدفع به ما لحق بكلامه من معنىٰ غير مراد.فجاءت (لا النافية للجنس) لتؤكد نفي وجود أي مخاصمة أو تعارض بين الحب والفضيلة، ولمزيد من التوكيد ختم الكاتب الجملة بالنص علىٰ أن ذلك هو رأيه المتحمل مسؤوليته، ومعتقده الذي يدين به، وذلك قوله: (في رأيي).

وهكذا استطاع الكاتب أن يدفع عن كلامه أي مظنة أو فهم خاطئ لم يكن يقصده البتة.

---

(١) من وحي القلم ١/ ٢٥١.

(٢) السابق ١/ ٢٥٠.

ومنه قوله:"**وضعف الإنسان لا حد له، فلا حد لما يستعمل من الكلام المبهم الذي يحمل ما شئتَ أن يحمل**"(١).

جاءت (لا النافية للجنس) في الجملتين مرادا بها توكيد النفي في كلتيهما؛ ففي الجملة الأولى توكيد نفي أي حدود أو نهاية لضعف الإنسان، وهذه مسألة مفروغ من العلم بها، غير أن الكاتب أكدها لتكون تكأة للمسألة الأخرى في الجملة الثانية التي يؤكد فيها نفي أي حدود للكلام المبهم الغامض الذي يستعمله الإنسان (الضعيف)، ويقصد بهذا الكلام نحو كلمة (الحظ) التي يلجأ إليها الإنسان نتيجة لضعفه المطلق أمام القوة الأزلية وما تُجري عليه من مجريات وأقدار لا يملك لها جلبا ولا دفعا، فحين ذاك"**تراه يرسل الكلمة الخفية التي تشير إلى كبريائه بشيء من الصراحة اللغوية المحدودة، وإلى ضعفه وعجزه بإبهامها المطلق**"(٢). وهكذا نجد التوكيد في الجملة الأولى كان بمنزلة التمهيد للتوكيد في الجملة الثانية، كما أنه يحمل بين ثناياه المسوّغ لها.

ومنه قوله:"**ولا ضير أن تبقى بإزاء كل هذا النعيم بائسا في يقينك الذي لا دليل عليه إلا ما تحس أنت. وما يقينك هذا أيها الأحمق بجانب ثلاثين ظنا من ظنون الفلاسفة**"(٣).

ينفي الكاتب مؤكدا بـ (لا النافية للجنس) لمخاطبه عدم وقوع أي إضرار به، مع بقائه شقيا تعيسا بائسا، في حين أنه محاط بعشرين أو ثلاثين سعادة آتية من عشرين أو ثلاثين تعريفا من تعريفات العلماء والفلاسفة لها!.

(١) كتاب المساكين ص١٣٩.

(٢)كتاب المساكين ص١٣٩.

(٣) حديث القمر ص٢٤.

وقد أتى الكاتب بهذا المعنى مؤكدا رغبة في إظهار نبرة عالية من السخرية والاستهزاء من ضلال الفلاسفة والعلماء في تعريف السعادة الذي لا يتعدى في رأيه كلمتين هما: طفولة القلب.

الاستثناء بعد لا النافية للجنس:

من الأساليب العربية الواردة وقوع (إلا) بعد (لا)، نحو: لا إله إلا الله، ويجوز في الاسم الواقع بعد (إلا) وجهان(1): الرفع على البدل من الموضع، وقد بطل عمل (لا) بالإثبات، والتقدير: لا إله في الوجود إلا الله، أي الله وحده الإله(2)، والنصب على الاستثناء، وقد أجازه سيبويه(3) في: لا أحد فيها إلا زيدا، وكذا في قول الشاعر:

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْقَطَعِ اللِّوَىٰ ... ولا أَمْرَ لِلمَعْصِيِّ إِلَّا مُضَيَّعَا(4)

والوجه الأول هو الرأي الشائع.

وفي رأيي أن هذا التركيب يحمل دلالتين: الدلالة الأولى هي النفي العام، والدلالة الثانية هي الإثبات، فهو يشبه أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء*، ولا يخلو كلاهما من إفادة التوكيد.

---

(1) انظر شرح الرضي ٢/ ١١٢، ١١٣، وارتشاف الضرب ٣/ ١٣٠٠، والنحو الوافي ١/ ٧٠٩، ٧١٠.

(2) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٤٥.

(3) انظر الكتاب ٢/ ٣٣٧، ٣٣٨.

(4) البيت للكلحبة الثعلبي في الكتاب ٢/ ٣٣٧، وفي ارتشاف الضرب ٣/ ١٣٠١، وللكلحبة العريني في شرح الرضي ٢/ ١١٢ (بمنعرج اللوى)، وكذا في خزانة الأدب ١/ ٣٩٢.

* انظر مبحث (القصر بالنفي والاستثناء) من الرسالة ص٢٢٩.

وقد ورد هذا الأسلوب في أدب الرافعي بكثرة، من ذلك قوله:

لا عَيْبَ في العَرَبِ العَرْباءِ إِنْ نَطَقُوا   بَيْنَ الأَعاجِمِ إِلَّا أَنَّهُمْ عَرَبُ[١]

يتحدث الشاعر عن (اللغة العربية والشرق)، وما جرىٰ عليها من تقهقر وتدهور، وينفي الشاعر بـ (لا النافية للجنس) عن العرب كل عيب ونقص إذا هم تحدثوا بين الأعاجم إلا عيبا واحدا يثبته لهم، وهو كونهم عربا، وكون ما ينطقون به هو اللغة العربية. وبهذا النفي المؤكد يظهر لنا جليا مدىٰ تهكم الشاعر وسخريته من حال أبناء العروبة الذين انحطوا بلغتهم انحطاطا صارت معه عربيتهم هي عيبهم الأوحد الذي لا عيب لهم سواه.

وهكذا استطاع الشاعر أن يعبر عما أراد من خلال استخدام (لا النافية للجنس) التي استغرقت نفي جميع العيوب، ثم وقوع الاستثناء بعدها الذي أثبت عيبا واحدا هو في الحقيقة ليس بعيب أبدا، ولكنه ذُكر علىٰ سبيل التهكم والسخرية.

ومنه قوله: "**ولا شيء أقوىٰ من الجمال والحب معا إلا دموع هذه الجميلة بمرأىٰ محبها**"[٢].

ينفي الكاتب مؤكدا وجود أي شيء يفوق قوة الحب والجمال معا، ويثبت ذلك لدموع المرأة الجميلة أمام ناظري محبها، وما ذاك إلا لأن منتهىٰ قوة المرأة في ضعفها، فدموعها من أقوىٰ ما تملك من أسلحة، لا سيما إن ذُرفت بمرأىٰ من يحبها ويهواها.

---

(١) ديوان الرافعي ٢/ ١٤.

(٢) حديث القمر ص٦٠.

والتوكيد هنا يكشف جانبا من الجوانب التي يتميز بها الرافعي، وهو رقة المشاعر ورهافة الحس، إلى جانب إدراك عميق لطبيعة المرأة التي شغلت حيزا كبيرا من أدبه شعرا ونثرا.

ومنه قوله، وقد جاء الاستثناء فيه بلفظ (سوى):

أتجحد مَنْ لا فَضْلَ فِيهَا سِوَى التُّقَى ومَنْ لا أَرَى فِيهَا سِوَى صُورَةِ القَلْبِ[1]

يتحدث الشاعر عن النساء الجاحدات اللاتي يخامرهن الإلحاد، فينفي عنهن أي فضل، ويثبت لهن فضيلة التقى وحدها. وجاءت (لا النافية للجنس) مؤكدة هذا النفي، ثم الاستثناء مثبتا ما بعده، وقد تعاونا معا لتحقيق ما يهدف إليه الشاعر، وهو تنبيه الحس الديني، واستثارة مشاعر الإيمان الكامنة داخل قلوب هؤلاء النساء، فعمد إلى سلبهن جنس الفضل، ووضع التقى نصب أعينهن، علّهن يرجعن إلى أنفسهن، ويتداركن أمرهن.

وقد حسُن استخدام (لا النافية للجنس) في هذا المقام لأنها الأداة القادرة على تأدية المعنى الذي أراد، بإفادتها "نفي معنى الخبر عن الاسم نفيا شاملا يستغرق جميع أفراد الاسم دون استثناء"[2].

ولا تفوت الإشارة إلى إسهام الاستفهام الاستنكاري الذي تصدر البيت في أداء دور دلالي خدم المعنى.

---

(١) ديوان الرافعي ٣/ ٥١.

(٢) النحو المصفى ص٣٠٥.

(السين وسوف)

(السين وسوف) حرفان من حروف المعاني الداخلة علىٰ الجمل، ومعناهما في نفس المتكلم، وإليه يسند، لا إلىٰ الاسم المخبر عنه كما يرىٰ السهيلي[1]، وهما يشتركان في دلالة توكيد الفعل المضارع في الإثبات[2].

والسين عِدة وتنفيس، وإذا دخلت علىٰ الفعل أخلصته للاستقبال[3]، نحو: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾[4].

وكذا سوف[5]، فهي بمنزلتها، كما أشار سيبويه إلىٰ ذلك[6].

ويذكر للسين أنها حرف جواب وإثبات لقولك: لن يفعل*، في رأي الخليل[7].

ويرىٰ ابن هشام أن السين– كما يُفهم من كلام الزمخشري– تفيد الوعد بحصول الفعل، فدخولها علىٰ ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه[8].

---

(١) انظر نتائج الفكر ص١٢١.
(٢) انظر الأصول البلاغية في كتاب سيبويه ص١٥٢.
(٣) انظر حروف المعاني ص٤٢، ٤٣، ورصف المباني ص٣٩٦، والنكت الحسان ص٢٨٨، والجنىٰ الداني ص٥٩.
(٤) النبأ: ٤.
(٥) انظر الأصول لابن السراج ٢/ ٢١٦، ٢١٧، وحروف المعاني ص١٠٩، والصاحبي ص١٥٨، والنكت الحسان ص٢٨٨، والجنىٰ الداني ص٤٥٨.
(٦) انظر الكتاب ٣/ ١١٥.
* وهذا من الأدلة التي يستشهد بها في إفادة (لن) التوكيد. انظر مبحث التوكيد بـ (لن) من الرسالة ص٧٦.
(٧) انظر الكتاب ٤/ ٢١٧، ٣/ ١١٥، والأصول لابن السراج ٢/ ٢١٩.
(٨) انظر مغني اللبيب ١/ ٣٢١.

ومما انفردت به سوف عن السين دخول اللام عليها[١]، نحو: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[٢].

قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية:"... فإن قلت: ما هذه اللام الداخلة على سوف؟ قلت: هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف، تقديره: ولأنت سوف يعطيك... ومعنى الجمع بين حرفي توكيد والتأخير أن العطاء كائن لا محالة، وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة"[٣]. وفي هذا النص تصريح منه بأن (سوف) من حروف التوكيد.

كما انمازت (سوف) عن السين بأنها أوسع منها[٤]، وذلك على خلاف بين النحاة؛ فـ"مذهب البصريين أن (سوف) أبلغ، واختار ابن مالك استواءهما في ذلك"[٥]. وذكر الزمخشري أن"في سوف دلالة على زيادة تنفيس"[٦].

وأميل إلى رأي البصريين استنادا إلى القاعدة الدلالية التي تقرر أن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، فـ"المبالغة في الألفاظ إنما تكون تبعا للبلاغة في

---

(١) ذكر الخوارزمي أن "لام الابتداء كما تدخل على الفعل ... تدخل على الحرف أيضا في نحو قوله: (ولسوف يعطيك ربك)". التخمير ٤/ ٤٩، وانظر الجنى الداني ص١٦٤، ومغني اللبيب ١/ ٥١٨.

(٢) الضحى: ٥.

(٣) الكشاف ٤/ ٧٧١، ٧٧٢ بتصرف يسير.

(٤) قال العلوي: "زمان سوف أوسع من زمان السين، وما ذاك إلا لأجل امتداد حروفها". الطراز ٢/ ٨٨، وقال د. فاضل صالح السامرائي في معاني النحو: "والذي يبدو أن (سوف) أكثر توكيدا من السين، لزيادة حروفها عليها، ويدل على ذلك الاستعمال القرآني لها". معاني النحو ٤/ ٢٨.

(٥) الجنى الداني ص٤٥٩، وانظر رأي ابن مالك في شرح التسهيل ١/ ٢٦، ٢٧.

(٦) التخمير ٤/ ١٣٥، وانظر معاني النحو ٤/ ٢٦.

المعاني، فلا جرم تكثرت الألفاظ لأجل ذلك"[١]، بالإضافة إلى ما ثبت لـ (سوف) من انفرادها بدخول لام الابتداء المؤكدة عليها، ومِنْ ثَمَّ أؤسس القول بأن (سوف) أبلغ في التوكيد من السين، وإن كانا جميعًا يفيدانه، كما أنها أوسع منها في الزمان، وأستدل على ذلك الاتساع بقول الرافعي:

ما كانَ ظَنِّي يا أَخِي أَنْ سَوْفَ يُخْطِئُ فِيكَ ظَنِّي[٢]

فالشاعر هنا استخدم (سوف) دون السين؛ لأن تَوقُّع الخطأ في ظنه الخير بصديقه كان أمرا بعيد الاحتمال عقلا وأمدا.

وأختتم ببعض النصوص من تفسير الزمخشري التي تؤيد دلالة كل من الحرفين على التوكيد.

منها ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾[٣]: "ضمان من الله لإظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، وقد أنجز وعده... ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة، وإن تأخر إلى حين"[٤].

ومنها ما صرح به في تفسيره لقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾[٥]: "السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد في

(١) الطراز ٢/ ٨٨.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ١٢٢.

(٣) البقرة: ١٣٧.

(٤) الكشاف ١/ ٢٢٢.

(٥) التوبة: ٧١.

قولك: سأنتقم منك يوما، ... ونحوه: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[١]،﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[٢]،﴿سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾[٣]"[٤]، وقوله تعالى: ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓ﴾[٥]"[٦].

ولهذا التشارك الدلالي بين الحرفين جمعتهما في نقطة واحدة مبتدئة بـ(السين) ومثنية بـ (سوف).

ومن النماذج التي ورد فيها التوكيد بالسين في أدب الرافعي قوله:

سَأَفْعَلُ فِعْلَ أَجْدادِي فإِمَّا كَما نالُوا وإِمَّا حَيْثُ صارُوا[٧]

هذا البيت من قصيدة نظمها الشاعر ليتلوها تلميذ أتم الدراسة في بعض مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية.

وقد استخدم حرف السين في قوله: (سأفعل) مؤكدا به العزم والمضاء على الفعل، وكأنه بهذا ينفي عنه كل توان أو تخاذل. وهذا القول المؤكد بتلك الأداة مناسب جدا لأن يلقى به على لسان النشء الذي ينبغي أن يغرس في نفسه معاني العزم والهمة العالية،

(١) مريم: ٩٦.

(٢) الضحى: ٥.

(٣) النساء: ١٥٢.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٧٥.

(٥) التوبة: ٩٩.

(٦) "... وما في السين من تحقيق الوعد ". الكشاف ٢/ ٢٨٩.

(٧) ديوان الرافعي ٢/ ٢٨.

ومن ناحية أخرىٰ ينبغي أن يكون لديه المرجعية التي تتمثل في (فعل الأجداد) ليسير علىٰ هدىً وبصيرة.

ومنه قوله:

مَسائِلُ ما لها حَلٌّ ولكِنْ إِذَا نُسِيَتْ فَفِي النِّسْيانِ حَلُّ

وسأنسىٰ يا عزيزي سأنسىٰ!"[1] .

جاءت السين في هذه الجملة لتؤكد انعقاد النية علىٰ النسيان؛ إذ فيه حل للأمور التي ليس لها حل، ومعه يزول الهم، وتدِق المصائب.

ومن زاوية أخرىٰ نلمح في هذا التوكيد الذي تكرر مرتين: (سأنسىٰ) نبرة الاستسلام لحل النسيان نتيجة الانهزام أمام المعضلات.

ويلاحظ أن الكاتب لم يذكر المفعول به، المنسي، وكأنه لشدته علىٰ نفسه لا يقوىٰ علىٰ ذكره، ولعزمه علىٰ نسيانه وتجاهله لا يطيق أن يجريه علىٰ قلمه.

ومنه قوله:"**وسأكتب هذه الكلمات المرتعشة، وسأبسط رعدة قلبي في ألفاظها ومعانيها**"[2].

وردت هذه العبارة في (الرسالة الأولىٰ) من رسائل الأحزان، وقد اقترن الفعلان (أكتب، وأبسط) بحرف السين ليؤكد الكاتب من خلال ذلك أنه تجاوز أزمته النفسية، واستجمع نفسه، وقرر أن يفض سره الذي كتمه في صدره حينا من الدهر إلىٰ أن ضاق

---

(١) رسائل الأحزان ص٦٤.

(٢) رسائل الأحزان ص٤٤.

به، ولم يعد يحتمل حمله أكثر من ذلك. فالتوكيد هنا يشف عن تلك المعاني الشعورية التي جاشت في نفس الكاتب.

ومنه قوله:"**حسوت كأس الحب فدارت في دمي، وانحدرت إلىٰ قلبي، وصعدت إلىٰ رأسي، وهذه الرسائل هي الحقيقة التي كانت في خمرها قَطَرَت من القلم كلاما ومعاني. ومنذ اليوم سأضع العقل بيني وبين تلك الكأس، فلا أراها إلا جنونا ملونا ومرضا مزخرفا ...**"(١).

تمثل الجملة التي وردت فيها السين المؤكدة نقطة تحول في مسار الكاتب في (حرب الهوىٰ) علىٰ حد تعبيره.

وكان لحرف السين في قوله: (سأضع العقل...) دوره في الإيحاء بمعاني الإصرار علىٰ تحكيم العقل واطّراح الهوىٰ، وذلك بلهجة حاسمة لا مجال معها للتردد أو التراجع في تنفيذ ما قرره.

ومنه قوله: "**والآن سأدع صمتي يُتمّم كلامي**"(٢).

أفاض الكاتب في الحديث عما ألمّ به من جراء حرب الهوىٰ التي ليس تحتها في حومة قلبه"**إلا ألم كضربة سيف، أو طعنة رمح، أو كيّة برصاصة ملتهبة حمراء**"(٣). وقد أجهده الحديث عن ذلك:"**وما زلت أنكت بسِنّ هذا القلم في صميم هذا القلب حتىٰ فاض في صفحات هذا الكتاب**"(٤). ومِنْ ثَمَّ عزم علىٰ أن يدع الكلام، ويكِل إلىٰ صمته

(١) السابق ص٨٣.

(٢) السابق ص٨٤.

(٣) السابق ص٨٣.

(٤) رسائل الأحزان ص٨٣..

تمامه. وقد أتى بالسين في قوله: (سأدع) تأكيدا لهذا العزم، وإشعارا بأنه قد بلغ المنتهى الذي لا يستطيع أن يخط فيه كلمة، أو يتفوه ببنت شفة.

ومنه قوله: "**فسأعيش ما بقي لي فيما بقي مني**"(١).

جاء هذا الكلام على لسان زوج فقد ليومه امرأته الحبيبة، ويؤكد هنا من خلال السين أنه سيحيا ما بقي من حياته على ذكرى امرأته، فقد انخلع مما كان فيه، "**وأخذ القبر امرأتي وشهواتي معا**"(٢)، ولذا فالوحدة بعدها أروح لقلبه، وأجمع لهمه. ويوحي هذا التوكيد بمدى اليأس المطبق على نفس المتكلم، حتى دفعه لاتخاذ هذا القرار الذي يقطع به نفسه عن الدنيا.

ومن النماذج التي ورد فيها التوكيد بـ (سوف) قوله:

يا مَنْ عَلَى الحُبِّ يَنْسانَا ونَذْكُرُهُ ... لَسَوْفَ تَذْكُرُنَا يَوْمًا ونَنْساكَا(٣)

يؤكد الشاعر ثقته بنفسه، مع محاولة الانتصاف لها في الوقت ذاته، وذلك من خلال التعبير بـ (لسوف) الذي جمع بين مؤكدين: (سوف) و(لام التوكيد).

واختيار الشاعر لهذا التعبير المؤكد لم يكن خبط عشواء، بل كان اختيارا موجها؛ إذ إنه بتركُّبه هذا يستطيع أن يحمل الشحنة الانفعالية التي بداخل الشاعر، والتي تدفعه إلى اليقين التام من تحقق ما يتنبأ به، وتقريره كأنه واقع لا محالة: "لسوف تذكرنا يوما وننساكا".

---

(١) من وحي القلم ١/ ١٩٧، ١٩٨.

(٢) السابق ١/ ١٩٧.

(٣) السحاب الأحمر ص٩٩.

ومما يعينني علىٰ هذا الفهم للنص بعض الشواهد والإشارات اللغوية داخل البيت. من ذلك مثلا: أن جميع الضمائر التي وردت في البيت بصيغة الجمع يقصد بها الواحد المعظم نفسه، وذلك في: (ينسانا– نذكره– تذكرنا– ننساكا)، وكان بوسع الشاعر أن يوردها بصيغة المفرد دون إخلال بالوزن، كأن يقول: (ينساني– أذكره– تذكرني– أنساكا)، ولكنها العزة بالنفس والثقة بها.

ومنها أيضًا أن الشاعر قد عقد ما يشبه المقارنة في الأفعال والضمائر بين شطري البيت، فقابل (تذكرنا) في الشطر الثاني بـ (ينسانا) في الشطر الأول، و(ننساكا) في الشطر الثاني بـ (نذكره) في الشطر الأول. وهكذا سوف يجازىٰ النسيان بالتذكر، والتذكر بالنسيان، فهذه بتلك، وفي ذلك انتصاف لحق النفس.

وثمة شيء يلفت النظر، ويسترعي الانتباه، وهو أن الشاعر أكد تذكر الحبيب له حين قال: (لسوف تذكرنا)، وأرسل نسيانه هو للحبيب، فلم يؤكده حين قال: (وننساكا)، وكأنه قد شغل بتوكيد ما يحقق به ثقته بنفسه والانتصاف لها كما ذكرت آنفا، أما ما دون ذلك فلا يشغله كثيرا، فلربما يومها يعفو ويصفح. مع الأخذ في الاعتبار أن توكيد كلا الأمرين كان ممكنا دون المساس بالوزن، كأن يقول: (لسوف تذكرنا، ولسوف ننساكا) مما يدل دلالة واضحة علىٰ أنه ترك توكيده قاصدا، فهو مع كل هذا يحمل قلب محب!.

ويرشح هذا البيت ما جاء بعده، وهو قوله:

إِنَّ الظَّلَامَ الذِي يَجْلُوكَ يا قَمَرٌ   لَهُ صَباحٌ مَتَىٰ تُدْرِكْهُ أَخْفاكَا[1]

(١) السحاب الأحمر ص٩٩.

فهو يؤكد يقينه بأن تلك الحال – من نسيان الحبيب له، وتجاهله إياه– لن تدوم، مستدلا علىٰ ذلك بحقيقة كونية ثابتة لا تتخلف أبدا، هي أن القمر (وهو ما يرمز به إلىٰ حبيبه) الذي يزهو بنوره وجماله في الظلام– والظلام هو الذي يظهره– متىٰ يدرك الصباح يخفِه تماما، أي أن ما يغترّ به إلىٰ زوال قريب، أليس الصبح بقريب؟!. وساعتها سينسىٰ هذا الحبيب ألف قلب هو أحبه، ولا ينسىٰ قلب المحب المخلص الذي أحبه.

ومنه قوله:

وَالذِي يَمْضِي عَلَىٰ لَعِبٍ سَوْفَ يَلْقَىٰ حَسْرَةَ اللَّعِبِ[1]

يؤكد الشاعر بـ (سوف) العاقبة الحتمية التي يلاقيها من كان سيره اللعب، وهي الحسرة والندم علىٰ ما قدم.

وقد ساق هذا البيت مساق القول الحكيم الذي خرج عن خبرة بالحياة وأحوالها، يرشح ذلك ما ذكره قبل هذا البيت، وهو قوله:

كَمْ لَيالٍ قَدْ لَعِبْتُ بِها وغَدَتْ مِنْ بَعْدُ تَلْعَبُ بِي[2]

وبذلك يكون ما أكده أولا قد صدر منه عن اقتناع تام بأن ما يجري له من حادثات الدنيا جزاء عادل علىٰ لعبه وعبثه الذي مضىٰ، وأن الحسرة التي يجدها الآن في صدره هي جنىٰ ما زرع.

وأختتم تلك النقطة بتسجيل ملحوظتين مهمتين: الأولىٰ هي أن دلالة التوكيد من هذين الحرفين: السين وسوف، إنما تنبعث في الحقيقة من السياق والقرائن المحيطة بها،

(١) ديوان الرافعي ١/ ١٢١.

(٢) السابق ١/ ١٢١.

لا من الحرف ذاته، وآية ذلك أننا نجدهما في بعض النماذج قد تمحضا للدلالة على الاستقبال فحسب، ومثال ذلك قوله: "**وأشعر بالقرطاس وكأنه قد علم أن سيحمل أشواقي وأسرار قلبي**"(١).

وقوله:"**والآن سأقرأ لك القصيدة الفنية التي نظمها الشيطان على رمل الشاطئ في الإسكندرية**"(٢).

وقوله:"**فسآتيك في رسائلي بالكلام الصحيح والكلام المريض**"(٣)، وقوله:"**أراني سأبتدئ أيامي من آخرها**"(٤)، وقوله:"**ولكني سأكتب وقد ركد الهوى**"(٥)، وقوله:"**وهذه التي سأقص عليك منها فلسفة الجمال والحب، قوة من القوى لم يجعل الله القسوة فيها إلا لعلمه بها**"(٦).

والملحوظة الثانية أنه مع كون (سوف) أبلغ في التوكيد من السين، كما توصل البحث إلى ذلك فإن الأخيرة كانت هي الأكثر ورودا في أدب الرافعي، ولعل ذلك لخفتها في اللفظ.

---

(١) أوراق الورد ص١٢٥.

(٢) من وحي القلم ١/ ٢٢٨.

(٣) رسائل الأحزان ص٤٤.

(٤) رسائل الأحزان ص٤٦.

(٥) السابق، الصفحة نفسها.

(٦) السابق ص٤٧.

(قد)

قد: حرف مختص بالفعل، فيدخل على الماضي المتصرف وعلى المضارع المتجرد من الناصب والجازم وحرف التنفيس(١).

"وهي جواب لقوله: لـمَّا يفعل"(٢).

وقد اختلفت عبارات النحاة في معناها، ولكن هناك ما يشبه الاتفاق على أنها تفيد التحقيق(٣)، يقول الزركشي:"وأما مؤكدات الفعلية فأنواع، أحدها (قد)، فإنها حرف تحقيق، وهو معنى التأكيد"(٤)، ويقول ابن مالك:"... تكون حرف تحقيق، فتدخل على كل من بناء المضارع والماضي لتقرير معناه ونفي الشك عنه"(٥)، فهي تدخل على الماضي لفظا ومعنى، كقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾(٦)، أو معنى(٧)، ويقصد به المضارع حين لا يمكن فيه التوقع

---

(١) انظر الجنى الداني ص٢٥٤، وشرح الرضي ٤/ ٤٤٥، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٣٦٤، ومعاني الحروف ص٩٨.

(٢) الأصول لابن السراج ٢/ ٢١١.

(٣) انظر شرح الرضي ٤/ ٤٤٤، والنكت الحسان ص٢٨٩، والجنى الداني ص٢٥٩، ومغني اللبيب ١/ ٤٠٢، وهمع الهوامع ٤/ ٣٧٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤١٧.

(٥) شرح التسهيل ٤/ ١٠٨، وانظر شرح الرضي ٤/ ٤٤٤، وهمع الهوامع ٤/ ٣٧٩.

(٦) الشمس: ٩، ١٠.

(٧) انظر الجنى الداني ص٢٥٥.

علىٰ قول أبي حيان:"فإن كان المضارع لا يمكن فيه التوقع كان بمعنىٰ الماضي، كقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[١].

أي: قد علم"[٢]، وقال الزمخشري في تفسيره للآية:"أدخل (قد) ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين، والنفاق، ومرجع توكيد العلم إلىٰ توكيد الوعيد"[٣]، وقال في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤]:"﴿فَقَدْ هُدِىَ﴾: فقد حصل له الهدىٰ لا محالة ... كأن الهدىٰ قد حصل، فهو يخبر عنه حاصلا"[٥].

"ويوضح ابن جني بالمثال كيف تفيد (قد) التحقيق، وأنها لا تأتي في الكلام اعتباطا، بل تأتي عن قصد وروية لإفادة غرض بلاغي هو التوكيد ورفع الشك، فيقول في قراءة حذيفة: (اقتربت الساعة وقد انشق القمر):"هذا يجري مجرىٰ الموافقة علىٰ إسقاط العذر، ورفع التشاك، أي: قد كان انشقاق القمر متوقعا، دلالة علىٰ قرب الساعة، فإذا كان قد انشق، وانشقاقه من أشراطها، وأحد أدلة قربها، فقد توكّد الأمر في قرب وقوعها، وذلك أن (قد) إنما هي جواب وقوع أمر كان متوقعا ..."[٦]. ولاشك أن تحقق الوقوع والجزم به غرض من أغراض البلاغة"[٧].

---

(١) النور: ٦٤.

(٢) ارتشاف الضرب ٥/ ٢٣٦٤.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٦٥.

(٤) آل عمران: ١٠١.

(٥) الكشاف ١/ ٤٢٢.

(٦) المحتسب ٢/ ٢٩٧، وانظر الكشاف ٤/ ٤٣١.

(٧) أثر النحاة في البحث البلاغي ص٣٠٨.

ويوضع في الاعتبار أن إفادة (قد) تلك المعاني من توكيد وتقرير ورفع الشك مرتهن بالسياق الذي ترد فيه، ونية المتكلم إرادة تلك المعاني، إذ لاحظتُ ورودها في بعض السياقات غير مفيدة شيئا من ذلك، وإنما كان ورودها بمنزلة حرف ربط، من ذلك مثلا قول الرافعي: "**قال: وقد جلسْتُ مرةً مع صاحبة القصة**"(١).

وقوله: "**يا صاحبي، دع هؤلاء، وخذ الآن في حديث الطائشة ... وقد قلتَ: إنما عرضَتْ لك كما يعرض المصارع للمصارع**"(٢).

وقوله: "**وقد اخترنا من رسائل الطائشة هذه الرسالة ...**"(٣).

وقوله: "**وقد رجعت بزوجتي الأوروبية إلىٰ مصر**"(٤).

وقوله: "**فإني لَـجالسٌ ذات يوم وقد أقبلت علىٰ شأني من الكتابة**"(٥).

وقوله: "**وكان فتاها قد وضع طربوشه علىٰ يده**"(٦).

وقوله: "**وقد توفي العسكري سنة ٣٩٥ للهجرة**"(٧).

وقوله: "**الآن وقد أظلم الليل**"(٨).

إلىٰ غير ذلك مما يعز علىٰ الحصر، ولكن فيما ذُكر الكفاية.

---

(١) من وحي القلم ١/ ١٤٣.

(٢) السابق ١/ ١٤٤.

(٣) السابق ١/ ١٥٦.

(٤) السابق ١/ ٢٢٣.

(٥) السابق ١/ ٢٣٨.

(٦) السابق ١/ ٢٤٠.

(٧) أوراق الورد ص١٧.

(٨) حديث القمر ص٧.

وبما ورد من مجيء (قد) مع الفعل الماضي للتوكيد والتحقيق في أدب الرافعي

قوله:

وقَدْ طُوِيَتْ تِلْكَ اللَّيَالِي بِأَهْلِهَا فَمَنْ جَهِلَ الأَيَّامَ فلْيَتَعَلَّمِ(١)

يتحدث الشاعر عن حب الوطن، ويؤكد بـ (قد) انقضاء الليالي "التي كانت آية الحب فيها أن يبكي عليه أهله بعد خرابه"(٢).

يقول في بيت سابق لهذا البيت:

ولا خَيْرَ فِيمَنْ إنْ أَحَبَّ دِيارَهُ أَقامَ لِيَبْكِي فَوْقَ رَبْعٍ مُهَدَّمِ(٣)

وكان هذا البيت الأخير يكفي في توصيل المعنى المراد إلى المخاطبين، ولكن حرص الشاعر وانشغال باله بتبليغ تلك الرسالة دفعاه إلى إنشاء البيت الذي نحن بصدد تحليله، واستخدام (قد) التي تفيد التحقيق الذي يريد به الشاعر أن يهز القلوب، ويقرع الآذان حتى يفيق آولئك من غفلتهم، ويتجه بهم الوجهة الصحيحة؛ فحب الأوطان ليس بالبكاء على أطلالها بعد انهيارها، بل بالعمل والسعي من أجل رفعتها ورقيها. وليعلم الجميع علم اليقين أن هذا الزمن مر، وطويت صحيفته؛ إذ لا طائل تحته، ولا خير يُرجى منه.

ومنه قوله:

فقَدْ حَسُنَتْ هُنالِكَ كُلُّ أُنْثَى كَأَنَّ الحُسْنَ قُسِّمَ في الجَمِيعِ(٤)

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٢٣.

(٢)ديوان الرافعي ، هامش (٤): ١/ ٢٣.

(٣) السابق ١/ ٢٣.

(٤) السابق ١/ ٤٨.

يؤكد الشاعر حسن نساء المدائن (المبيع) الذي أساسه التصنع والتبدع، واستخدم (قد) لتحقيق ذلك علىٰ سبيل السخرية، فهو يسخر حين يثبت الحسن والجمال لجميع النساء، وهو جمال زائف في الحقيقة، وذلك في مقابل حسن نساء القرىٰ (البديع) الذي أساسه الفطرة والطبيعة، فهذا هو الجمال الحقيقي.

ومنه قوله:

ويا لَيْتَها قَدْ عَشَّشَتْ في جَوانِبِي ... تُغَرِّدُ في جَنْبٍ وتَمْرَحُ في جَنْبِ[1]

جاءت (قد) في سياق التمني، وللوهلة الأولي يبدو ذلك غريبا؛ إذ إن استخدام (قد) يأتي لتوكيد أمر حاصل بالفعل، ولكن هذه الغرابة تزول بنظرة عميقة إلىٰ نفس الشاعر، فهذا المحب من صدق مشاعره، وفرط شغفه بتلك العصفورة/ الحبيبة قد سوغ له ذلك أن يؤكد التمني، ولعله بذلك يدني من نفسه- باللفظ- ما بعُد عنها في الواقع.

ومنه قوله:

فَقَدْ كانَ مِنْهُمْ مَقَرُّ العُلُوم ... كَما كانَ فِيهِمْ مَقَرُّ الأَدَبْ[2]

يتفجع الشاعر لمجد الشرق القديم، فيؤكد اجتماع مقري العلم والأدب لدىٰ العرب، وجاء التعبير بـ (قد) كاشفا عن مشاعر التحسر علىٰ حال العرب الغابرة التي عبر عنها بصورة مؤكدة لا مجال فيها للجدال. كما أن التعبير بـ (قد) جاء معمقا لمشاعر الدهشة لما آل إليه أمر العرب بعد تلك المكانة السامية التي كانوا قد ارتقوها، يوضح ذلك قوله قبل هذا البيت:

سَلُوا ذَلِكَ الشَّرْقَ ماذَا دَهاه ... فأَرْسَلَهُ في طَرِيقِ العَطَبْ[3]

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٦٧.
(٢) السابق ١/ ٢٧.
(٣) السابق ، الصفحة والجزء نفسها.

ومنه قوله: "**ولكني أكتب الآن وقد تركت الحب وتركني**"[١].

عندما كان الكاتب في غمرة الحيرة: حيرة الحياة وحيرة الحب، لم يستطع أن يمسك بزمام فكره ليجريه علىٰ قلمه، ولكنه يؤكد (الآن) أنه انفك من تلك الغمرة، فهو يكتب (وقد) ترك الحب، وتركه الحب. وفي التوكيد بـ(قد) في قوله: (وقد تركت الحب) نحس بنبرة الغضب من ذلك الحب، مشوبة بشيء من الاستعلاء، وذلك لأنه هو الذي (ترك)، ولكن هذه النبرة سرعان ما تختفي، ويحل محلها نبرة الحزن والانكسار في قوله: (وتركني) الذي ترك معه الكاتب التوكيد، فلم يقل: وقد تركني، كما قال: (وقد تركت)، كما أنه لم يقو علىٰ ذكر فاعل الترك، وهو الحب.

ومنه قوله: "**وفي تلك الساعة كانت الأرض قد عَرِيَتْ إلا من أواخر الناس وطوارق الليل وبقية من يقظة النهار تحبو في الطريق ذاهبة إلىٰ مضاجعها**"[٢].

تأتي (قد) هنا لتؤكد خلاء الأرض من الناس إلا قليلا، ولهذا التوكيد دوره الدلالي؛ فهو يرسم صورة واضحة لمسرح الحدث الذي سيقع بعد قليل، وهو رؤية الكاتب لطفلين ضائعين، كما أنه يثير مشاعر الإشفاق والرحمة لهذين الصغيرين لضياعهما في وقت متأخر من الليل، وحال الطريق هذه: (قد عرِيَت...).

ومنه قوله: "**وقد نزل بهما من الهم في البحث عن بيتهما ما ينزل مثله بمن تطوح به الأقدار إذا ركب البحر المظلم ليكشف عن أرض جديدة**"[٣].

(١) رسائل الأحزان ص٤٥.

(٢) السحاب الأحمر ص١١٩.

(٣) السابق ص١١٩.

الحديث موصول عن الطفلين الضائعين، وقد جسّد الكاتب من خلال التوكيد بـ (قد) ما أصاب الصغيرين من الهم والحزن والخوف من المجهول، وهذا التصوير الدقيق من شأنه أن يجعل القارئ متعايشا مع الأحداث، متفاعلا معها تفاعلا وجدانيا؛ إذ إن الكاتب استطاع ببراعة أن يوقفه على خلجات نفس بطلي القصة الصغيرين.

ومما ورد من مجيء (قد) مع الفعل المضارع للتوكيد والتحقيق، قوله:

قَدْ أُرانِي مِمَّا تَحَمَّلَ صَدْرِي   إِنْ أَتانِي السُّرُورُ لَمْ يَلْقَ صَدْرَا[1]

يؤكد الشاعر سوء حاله، وامتلاء صدره بالهم والأحزان لدرجة لم يبق معها مكان في صدره للسرور إن جاء.

وأكد هذه الحال بـ (قد) مع المضارع للدلالة على أنها حال ملازمة له لا تفارقه، ورؤيتها تلوح لعينه طوال الوقت، وليس فيما انصرم من الزمن الماضي.

ومنه قوله:

ويا مَلِكَ القُلُوبِ وقَدْ أَراهُ   عَلَا مِنْها عَلَى العَرْشِ العَظِيمِ[2]

يخاطب الشاعر المحبوب بأنها المتربع على عرش القلوب، المالك نواصيها، وجاء بـ (قد) ليؤكد له هذا المعنى، وأدخلها على المضارع ليبين استمرار رؤيته له بتلك الصفة في كل آن وحين، وما ذاك إلا مبالغة في المدح سبيلا للوصول إلى استمالة قلب ممدوحه المحبوب.

هذا، وقد كان دخول (قد) على الماضي لإفادة التوكيد عند الرافعي أكثر من دخولها على المضارع لإفادة ذلك.

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ١٢٠.

(٢) السابق ١/ ١١٠.

(لن)

لن: حرف نفي ينصب الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال[1]، وهي جواب للمثبِت أمرا في الاستقبال نحو: سيفعل أو سوف يفعل، أو أريد أن يفعل، فيقال: لن يفعل[2] ؛"لأنها نقيضة لم"[3] التي تنفي الماضي.

واختلف النحاة في الحكم ببساطتها أو تركيبها؛ فمذهب سيبويه وأكثر النحويين أنها حرف برأسه.

قال الزمخشري:"وهو الصحيح"[4]، وذهب الخليل إلى أنها مركبة من لا وأنْ، يقول سيبويه:"فأما الخليل فزعم أنها: لا أنْ، ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم... وأما غيره فزعم أنه ليس في لن زيادة، وليست من كلمتين، ولكنها بمنزلة شيء على حرفين ليست فيه زيادة"[5]. ويترجح القول ببساطتها؛ لأن التركيب خلاف الأصل، إضافة إلى أنه مذهب جمهور النحاة.

وتفيد لن توكيد النفي[6]، على خلاف، بل ذهب الزمخشري إلى أنها أشد توكيدا للنفي من (لا)، يقول:"و(لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل، تقول: لا أبرح اليوم مكاني، فإذا وكدت وشددت قلت: لن أبرح اليوم مكاني، قال الله تعالى:

---

(١) الجنى الداني ص٢٧٠، وانظر شرح التسهيل ٤/ ١٤، ومغني اللبيب ١/ ٦١٦، وحاشية الصبان ٣/ ٤٠٧.

(٢) الصاحبي ص١٦٩ بتصرف يسير، وانظر الكتاب ١/ ١٣٥، ١٣٦، ٣/ ١١٧، ٤/ ٢٢٠، والمقتضب ٢/ ٦، ومعاني الحروف ص١٠٠، ونتائج الفكر ص١٣٠، واللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ٣٢، والبسيط ٢/ ٧٩٠، ورصف المباني ص٢٨٥.

(٣) كشف المشكل ص١٥٠.

(٤) التخمير ٤/ ٨٩.

(٥) الكتاب ٣/ ٥، وانظر نتائج الفكر ص١٣٠، واللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ٣٢، والتخمير ٤/ ٨٩، وشرح التسهيل ٤/ ١٥، وشرح قطر الندى ص٨٠.

(٦) انظر البيان في روائع القرآن ٢/ ١٤٩.

﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾[(٢)]"[(٣)].

وتابع الزمخشريَّ عدد من الباحثين معللين ما ذهب إليه، فذكر الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبداللطيف أن (لن) "هي آكد في النفي من (لا)؛ لأن (لا) تنفي المضارع إذا أريد به المستقبل، و(لن) تنفيه مستقبلا قد دخلت عليه السين وسوف،... والسين وسوف تفيدان التنفيس"[(٤)].

وقد ثبت في هذا المؤلف أن السين وسوف من أدوات التوكيد*، وبناء علىٰ ذلك يكون ثمة لون من التوازن اللغوي بين توكيد الإيجاب بـ(السين وسوف)، وتوكيد النفي بـ (لن).

ويُرجع باحث آخر سبب التأكيد في (لن) دون (لا) إلىٰ "أن الأولىٰ مركبة من (لا) و(إنْ)، وهما أداتان للنفي، لا أداة واحدة، ولا شك أن النفي بأداة مركبة آكد وأقوىٰ من النفي بأداة بسيطة"[(٥)].

ولا يخلو هذا الرأي من تحفّظ؛ لأنه اعتمد علىٰ القول بتركيب (لن)، وهو خلاف ما عليه الجمهور، كما سبق ذكره في السطور السابقة، كما أنه ذكر تركّبها من (لا) و(إنْ)، وهو خلاف المشهور من القول بتركّبها من (لا) و(أنْ).

---

(١) الكهف: ٦٠.

(٢) يوسف: ٨٠.

(٣) التخمير ٤/ ٨٩.

(٤) بناء الجملة ص٢٨٨.

* انظر مبحث السين وسوف من الرسالة ص ٦٠.

(٥) فن البلاغة ص٢٢٨.

وقد خولف الزمخشري في دعواه إفادة (لن) توكيد النفي وتأبيده، ذكر ذلك ابن مالك[1] والمرادي[2]، كما نقل عن ابن عصفور قوله:"وما ذهب إليه دعوىٰ لا دليل عليها"[3]، واستدل بأن (لن) لا يكون جوابا للقسم كـ (لا)، وأن نفي الفعل إذا أُقسم عليه كان آكد، ولكن رُد عليه بأنه قد وقع (لن) جوابا للقسم في قول أبي طالب:

واللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّىٰ أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا[4]

وممن تبنىٰ القول بخلاف الزمخشري ابن هشام[5].

ولعل الراجح موافقة الزمخشري في القول بإفادة (لن) توكيد النفي، استنادا إلىٰ ما ذكره الباحثون من أدلة، وقد وافق الزمخشري عليه كثيرون كما يقول الصبان[6].

أما القول بتأبيده فلا يمكن التسليم به؛ لأنه يمس قضية عقدية في بعض آي الذكر الحكيم، كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[7]؛ إذ يترتب علىٰ القول بتأبيد النفي

(١) قال: "... خلافا لمن خصها بالتأبيد" شرح التسهيل ٤/ ١٤.

(٢) قال: "ولا يلزم أن يكون نفيها مؤبدا خلافا للزمخشري" الجنىٰ الداني ص٢٧٠.

(٣) انظر قول ابن عصفور والتعليق عليه في الجنىٰ الداني ص٢٧٠.

(٤) انظر البيت في شرح التسهيل ٣/ ٢٠٧، وهمع الهوامع ٤/ ٢٤٤، وغاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب ص١٧٦.

(٥) قال: "ولا تفيد (لن) توكيد النفي خلافا للزمخشري في كشافه، ولا تأبيده خلافا له في أنموذجه، وكلاهما دعوىٰ بلا دليل". انظر مغني اللبيب ١/ ٦١٨، وكرر ابن هشام هذا الكلام في شرح قطر الندىٰ ص٧٩.

(٦) انظر حاشية الصبان ٣/ ٤٠٧، وبناء الجملة ص٢٨٩.

(٧) الأعراف:١٤٣.

الاعتقاد بأن المولى عز وجل لا يُرى في الجنة أصلا، وهذا يتعارض مع ظاهر قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١].

كما يبدو "أن الاستعمال العربي لا يؤيده، ولنتأمل الاستعمال القرآني:

- ما جاء على لسان مريم: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[٢] النفي مقيد باليوم، فهو غير مؤبد.

- ما جاء عن الكفار والموت: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[٣] كلمة (أبدا) أفادت التأبيد، لا (لن)"[٤].

فهذا كله يجعلنا نناى عن الحرج، ونسلم مع الزمخشري ومن وافقه بإفادة (لن) التوكيد، وهذا ما يطمح البحث إلى إثباته.

ومما ورد من مجيء (لن) لتوكيد النفي في أدب الرافعي، قوله:

ولَنْ تُصْبِحَ الدُّنْيَا سَلامًا ورَحْمَةً ... عَلَىٰ أَهْلِهَا ما دامَ في النَّاسِ مَطْمَعُ[٥]

جاء هذا البيت ختاما لقصيدة طويلة تحدث فيها الشاعر عن (الحرب والسلام). وقد نفى الشاعر إمكان السلام والرحمة على الأرض مع وجود المطامع في قلوب أهلها.

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٢) مريم: ٢٦.

(٣) البقرة: ٩٥.

(٤) النحو المصفى ص٣٥٧.

(٥) ديوان الرافعي ٢/ ٢٤.

وقد جاء النفي بـ (لن) التي تؤكده تعبيرا عن القطع برأيه في تلك المسألة التي صاغها في صورة الحكمة المستخلصة من متابعة الأحداث ومجريات الأمور. ولعله بذلك يلفت النظر إلى ضرورة التخلي عن مطامع النفس، وطرح أهوائها إذا أريدَ أن يعم السلام، وتحل الرحمة أهل الأرض.

ومنه قوله: "**ولن تجد في مصائب الحياة ما يموت دونه الصبر الجميل**"(١).

ينفي الكاتب بـ (لن) وجود مصائب يعجز الصبر دونها، والمغزى من توكيد النفي هنا هو رغبة الكاتب في طرد اليأس عن قلب المخاطب، واستئصال شأفته تماما باعتباره آفة عظيمة كفيلة بأن تهدم حياة من يصاب بها، وهو بذلك يفتح له بابا واسعا من الأمل. ولذا وجدناه قد أكد له بشدة أن جميع مصائب الدنيا بلا استثناء تهون وتصغر وتتلاشى أمام الصبر الجميل.

ومنه قوله: "**المال الكثير حاجات كثيرة، وحاجات الإنسان الضعيف معدودة محدودة، ومهما حاول وزاول فإنه لن يعدو حده الطبيعي**"(٢).

يعالج الكاتب في كثير من المواطن قضية الفقر والغنى، وهذا موطن منها ينفي فيه تجاوز الإنسان بأية حال حدود حاجاته من الطبيعة، سواء في ذلك أكثر ماله أم قل، إذ ليس له إلا مأكله ومشربه وملبسه.

وتأتي (لن) لتؤكد هذا النفي، وتضرب الحجاب على أطماع النفس التي لا تنتهي إلى غاية ولا تحدّ بحدود، كما أنها تعين الكاتب على تحقيق هدفه الإصلاحي ببث

---

(١) كتاب المساكين ص٨١.

(٢) حديث القمر ص٢٨.

روح الرضا في الفقير بما قُسم له من قسْم في الحياة، فهو والغني سواء في الوقوف عند حاجات النفس.

ومنه قوله:"**ولن أرضىٰ بالأمر الذي ليس بالرضا، ولن يَحسن عندي ما لا يَحسن**"[١].

يؤكد الكاتب بـ (لن) نفيه للاستسلام أو الخضوع بقبول ما لا يرضاه، أو استحسان ما لا يَستحسن من تلك الغضبىٰ التي غضبت ثم ولّت هاجرة له، وقد اهتاج قلبَه ذلك الفعل منها، واستثار غضبه، فأنشأ في ثائرته يعلن تحرره من أسرها، ويختط خطة المستقبل متمثلة في نفي تقديم أي تنازلات بعد هذا، ونفي الاستسلام والخضوع كما ذكرتُ بداية.

ومنه قوله:"**كأن الغادة المسكينة تبصر بين الدموع طريقا تفضي منه نفسُها إلىٰ الحبيب الذي لم يعد في الدنيا، إلىٰ وحيدها ...، إلىٰ طفلها الناعم الظريف الذي انتقل إلىٰ القبر ولن يرجع**"[٢].

جاءت (لن) لتؤكد نفي رجوع هذا الطفل إلىٰ أحضان أمه مرة أخرىٰ، وهذا المعنىٰ في الحقيقة مفهوم ضمنا من السياق دون النص عليه بله توكيده، فالذي (انتقل إلىٰ القبر) لا يتصور عقلا رجوعه إلىٰ الدنيا أبدا، ولكن مجيء (لن) كان وراءه دلالة فنية مبتغاة، وهي تجسيد مشاعر الحسرة واللوعة والألم التي تعتصر قلب تلك الأم اعتصارا علىٰ فراق وليدها، وإظهار حجم مصيبتها فيه بأنه (لن يرجع).

---

(١) أوراق الورد ص١٨٨.

(٢) من وحي القلم ١/ ٧٧

وهكذا استطاع الكاتب أن يصور الواقع المرير من خلال لفظة من ألفاظ اللغة الدالة.

ومنه قوله:"**ولن يطيق من كان له طفل أن يرى صغيرا ضائعا في الطريق يستهدي الناس إلى أهله ويبكي عليهم، أو طفلا جائعا يعرض على الناس وجهه المنكسر ويستعطفهم بصوته المريض أن يطعموه، أو طفلا يتيما قد ثكل أهله وضاق بقسوة أوليائه فانطرح في ناحية يبكي ويتفجع ويسأل من يعرفون الموت: أين أبي؟ أين أمي؟**"(١).

ينفي الكاتب مؤكدا نفيه بـ (لن) وجود أب يتحمل قلبه رؤية طفل ضائع أو جائع أو يتيم بائس. ولو نظرنا إلى الواقع المعيش لألفينا بالفعل وجود كثير من الآباء غلاظ الأكباد من يرون أولئك الأطفال جميعًا أو بعضهم، ولا يهتز له قلب، ولا يرعون لهم انتباها، بيد أن الكاتب أراد بنفيه المؤكد ذلك أن يقدم نموذجا مثاليا لسلامة الفطرة ونقاء السريرة، بعبارة أخرى يقدم نموذجا لما ينبغي أن يكون عليه آباء المجتمع من رحمة وشفقة بأبناء غيرهم فضلا عن أبنائهم، ويغض الطرف عما هو كائن من وجود النماذج السيئة القاسية التي لا تعرف الرحمة إلى قلوبها سبيلا.

ومنه قوله:"**إن كفاية الرجل في أشياء إن يكن منها المال فهو أقلها وآخرها، حتى إن الأخس الأقل فيه ليجزئ منه كخاتم الحديد؛ إذ الرجل هو الرجولة بعظمتها وجلالها وقوتها وطباعها، ولن يجزئ منه الأقل ولا الأخس مع المال**"(٢).

---

(١) السحاب الأحمر ص١٢٠.

(٢) من وحي القلم ١/ ١٩٥.

يؤكد الكاتب النفي بـ (لن) أن يجزئ المال عن الرجل الصالح الذي يُرتضىٰ أن يُزوج، وهو بذلك يقدم النصح الخالص للمجتمع الذي ضاعت فيه القيم والمُثل، وغاب منه الوعي الديني بأن ما يؤهل الرجل لقبوله زوجا هو دينه وأخلاقه، وأنه ينبغي ألا يعتبر المال حال غياب هذين المؤهلين الرئيسين؛ إذ لا يغني المال حينئذ عن الرجل شيئا.

وبعد الانتهاء من تحليل النماذج الواردة في هذا الفصل يتبين لنا كيف وقع كل حرف من حروف المعاني موقعه من الكلام، بحيث لا يغني غيره غناءه، وأدىٰ دورا دلاليا في سياقه لم يكن يتأتىٰ بدونه.

الفصل الثاني

التوكيد بحروف الزيادة

(إنْ الزائدة- ما الزائدة- مِنْ الزائدة- الباء الزائدة- كاف التشبيه الزائدة)

التوكيد بحروف الزيادة

تميل اللغة العربية بطبيعتها إلى الإيجاز والاختصار، وتنأى عن الزيادة والتطويل. يقول ابن جني:"واعلم أن العرب... إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد"(1). بل إن الزيادة فيها لتعد خلاف الأصل وخروجا عن القياس(2). فحين تسمح اللغة– مع هذا– بورود الزيادة فيها فإنما يدل ذلك على ما في هذه الزيادة من قيمة وما لها من فضل، ومن هنا كان مجيء الحروف النحوية الزائدة وما تؤديه من دور في إعطاء المعنى توكيدا وتقوية وتمكينا لا يتأتى له بدونها.

وقد تناول سيبويه الزيادة"تناولا لم يقف به عند حدود الصحة والفساد النحويين فحسب، بل تخطاه إلى بيان اللفتات الفكرية والبلاغية التي تكتسبها التراكيب من تلك الزيادة"(3). ولعل سيبويه أول من التفت إلى ذلك، وقد تعرض لشتى الحروف التي تأتي زائدة في الكلام، مثل: إنْ وأنْ وما ولا ومِنْ والباء، وذكر إفادتها التوكيد(4). كما أن أستاذه الخليل"يدرك السر البلاغي لهذه الزيادة"(5). ثم تتابعت على إثرهما مقالة النحاة،

---

(1) الخصائص ١/ ١٢٦. ويقول في موضع آخر: "ثم لنعد فنقول: إنهم إذا كانوا في حال إكثارهم وتوكيدهم مستوحشين منه، مصانعين عنه، عُلم أنهم إلى الإيجاز أميل، وبه أعنى، وفيه أرغب، ألا ترى إلى ما في القرآن وفصيح الكلام من كثرة الحذوف ... والاكتفاء بالقليل من الكثير، ...". الخصائص ١/ ١٢٩.

(2) "وأما زيادتها فخارج عن القياس" الخصائص ٢/ ٦٧.

(3) الأصول البلاغية في كتاب سيبويه ص١١١.

(4) انظر الكتاب (زيادة إنْ ٤/ ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢– زيادة أنْ ٤/ ٢٢٢– زيادة ما ٢/ ١٣٨، ١٣٩، ١٧١، ٤١٨، ٣/ ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٧٦، ١١٥، ١٤٠، ٣٣١، ٤/ ٢٢١– زيادة لا ٢/ ٣٠٥، ٣/ ٧٧ – زيادة مِنْ ٢/ ٣١٦ – زيادة الباء ٢/ ٢٦).

(5) أثر النحاة في البحث البلاغي ص٥٨، وانظر الكتاب ٢/ ٢٦، وهو ما نقله سيبويه عن الخليل في زيادة الباء توكيدا.

فذكر ابن جني في الخصائص فضل الحروف الزائدة قائلا:"وأما زيادتها فلإرادة التوكيد بها، وذلك أنه قد سبق أن الغرض في استعمالها إنما هو الإيجاز والاختصار والاكتفاء من الأفعال وفاعليها، فإذا زيد ما هذه سبيله فهو تناه في التوكيد به، وذلك كابتذالك في ضيافة ضيفك أعز ما تقدر عليه وتصونه من أسبابك، فذاك غاية إكرامك له وتناهيك في الحَفْل به"(١).

كما أنه جعل جواز زيادة الحروف مرتهنا بإفادة التوكيد:"ولولا أن في الحرف إذا زيد ضربا من التوكيد لما جازت زيادته البتة"(٢).

وأخيرا يقرر أن الزيادة في اللفظ توجب الزيادة في المعنى:"وبعد، فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به"(٣).

وأوضح ابن يعيش أنه حين يقال زائدا"ليس المراد أنه قد دخل لغير معنى البتة، بل يزيد لضرب من التأكيد، والتأكيد معنى صحيح"(٤).

وزاد الخوارزمي إلى إفادة التوكيد من هذه الحروف التوصل إلى الفصاحة، فقال:"محصول ومذاهب الناس في هذه الحروف على قولين: أحدهما أنها زيدت للتوصل إلى الفصاحة،... الثاني أنها زيدت توكيدا للمعنى"(٥).

(١) الخصائص ٢/ ٧٢، وانظر سر صناعة الإعراب ١/ ٢٤١.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٤١.

(٣) الخصائص ٢/ ٤٦٨، وانظر الأشباه والنظائر ١/ ١٥١.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٢٩.

(٥) التخمير ٤/ ١١١.

وقسم الرضي إفادتها إلى معنوية ولفظية، ولم ينأ عن قول الخوارزمي، فيقول: "فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية وإما لفظية، فالمعنوية تأكيد المعنى... وأما الفائدة اللفظية فهي تزيين اللفظ، وكون زيادتها أفصح، أو كون الكلمة أو الكلام بسببها تهيأ لاستقامة وزن الشعر أو لحسن السجع أو غير ذلك من الفوائد اللفظية"(١).

أما إطلاق مصطلح (الزيادة) على تلك الحروف فلا يعني بحال أنها فضلة لا قيمة لها ولا فائدة من ذكرها في الكلام، ولكن "الزيادة من قبل مصطلح نحوي يرتبط أساسا بانعدام الأثر الإعرابي لبعض هذه الأحرف، كما يرتبط بخروجها عن معانيها الأصلية التي تواضعت عليها اللغة"(٢). كما أن ذلك يعني "أن النحاة حددوا لكل جملة أركانها ومكملاتها القياسية بحيث يتم المعنى الوظيفي للجملة بوجود هذه العناصر، ولكن المعنى المطلوب بالجملة ليس وظيفيا فقط، وإنما يتخطى مجرد الوظائف من فاعلية إلى مفعولية إلخ، فيسلك مسالك أسلوبية أخرى لا يحققها إلا العناصر الزائدة على مجرد النمط التركيبي ذي المعنى الوظيفي، وإذا كان النحاة مسؤولين عن وصف هذه العناصر بالزيادة، فإن البلاغيين يعترفون بما تضيفه هذه العناصر إلى المعنى، فهم الذين يقولون (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)، ويقصدون بزيادة المعنى ما يلحقه من التوكيد من جراء الزيادة في المبنى"(٣).

ومع التسليم بأن النحاة مسئولون عن وصف هذه العناصر بالزيادة، فلا يُغمط حقهم في أنهم كذلك قد أقروا بما تضيفه هذه العناصر إلى المعنى، ونصوصهم السابقة هنا تشهد لهم بذلك، فلم يستأثر البلاغيون دونهم بهذا الكلام.

---

(١) شرح الرضي ٤/ ٤٣٢، ٤٣٣.

(٢) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ص٣١١.

(٣) البيان في روائع القرآن ٢/ ١١٢، ١١٣.

وقد علل الرضي سبب هذا الاصطلاح بقوله:"إنما سميت زائدة لأنه لا يتغير بها أصل المعنى، بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته"(١)، كما يذكر الهروي أن من النحاة من يُعْرِض عن تسمية هذه الحروف بالزائدة حتى لا يُظن ما لا يراد، وذلك في معرض حديثه عن (ما):"ويسمي بعض النحويين (ما) صلة ولغوا، وبعضهم يسميها توكيدا للكلام، ولا يسميها صلة ولا زائدة؛ لئلا يظن ظان أنها دخلت لغير معنى البتة، وإنما يُعرف أن الحرف صلة زائدة في الكلام بأن حذفه لا يخل بالمعنى"(٢).

واختُلف في عدد هذه الحروف، فذكر بعضهم أنها ستة أحرف، ذكرها الزمخشري، وهي:"(إنْ وأنْ وما ولا ومِن والباء)"(٣)، وذكر بعضهم أنها سبعة، الستة السابقة واللام المفردة(٤)، وذكر آخرون كاف التشبيه(٥)، وذكر أحد الباحثين أنه"هناك حروف أخرى وردت زائدة في الأساليب العربية، وحكم أكثر العلماء بأنها زائدة مثل: الفاء والكاف والهاء والواو والياء وال وأم وعن وفي وإلى وإلا"(٦)، ولذا قال ابن جني:"وزيادة الحروف كثيرة، وإن كانت على غير قياس"(٧).

---

(١) شرح الرضي ٤/ ٤٣٢.
(٢) الأزهية ص٧٩. وقد سمى البصريون هذه الحروف بـ (الزيادة واللغو)، مثال ذلك ما ذكره سيبويه عند حديثه عن (ما)، فقال: "و(ما) لغو". انظر الكتاب ٢/ ١٣٩، ٣/ ٧٩، ١١٨، ١٤٠، ٤/ ٢٢١، وانظر الأصول لابن السراج ٢/ ٢١٠، وسماها الكوفيون بـ (الصلة والحشو)، وذكر ذلك الزمخشري: "ومن أصناف الحروف: حروف الصلة". التخمير ٤/ ١١١.
(٣) التخمير ٤/ ١١١، وانظر النكت الحسان ص٢٩٢.
(٤) انظر شرح الرضي ٤/ ٣٣٢، والبرهان في علوم القرآن ٣/ ٨٥.
(٥) انظر المقتضب ٤/٤١٨، وسر صناعة الإعراب ٢٥٨/١، والبسيط ٢/ ٨٥٣، وأوضح المسالك ٣٨/٣، وشرح المكودي ص١٥٧، وحاشية الخضري ١/ ٤٧٣.
(٦) الحروف النحوية الزائدة ص١٤.
(٧) الخصائص ٢/ ٧١.

وسوف أقتصر على تناول الحروف التي وردت في أدب الرافعي، وشكلت ظاهرة، وحملت دلالات واضحة.

إنْ الزائدة

إنْ المكسورة المخففة تأتي زائدة في الكلام لإفادة التوكيد، يقول الخوارزمي: "أما معنى (إنْ) الزيادة فتوكيد معنى الكلام فقط"[١].

و(إنْ) الزائدة ضربان: كافة، وغير كافة.

الكافة: هي التي زيدت بعد (ما) النافية كافة لها عن عملها في لغة أهل الحجاز، فيقع بعدها المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، نحو: ما إن زيد قائم، وما إن يقوم زيد[٢]، ومنه قول فروة بن مُسيك:

وما إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ ولَكِنْ ... مَنَايَانا ودُولَةُ آخَرِينَا[٣]

وقال النابغة:

ما إنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنتَ تَكْرَهُهُ ... إِذَنْ فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي[٤]

وقد ذهب الكوفيون إلى أن (إنْ) هنا نافية كـ (ما)، وهو رأي مخالف لما عليه البصريون؛ إذ يرون أن (إنْ) الزائدة مع (ما) النافية تكون توكيدا، يقول سيبويه في

---

(١) التخمير ٤/ ١١٢، وانظر الخصائص ٢/ ٣٣٩، وأمالي ابن الشجري ٣/ ١٤٣.

(٢) انظر الكتاب ٤/ ٢٢٠، ٢٢١، والتخمير ٤/ ١١٢، والشرح الكبير ٢/ ٤٩٦، والجنى الداني ص٢١٠، ومغني اللبيب ١/ ٤٩، وهمع الهوامع ٢/ ١١٧.

(٣) طبنا: شأننا. وانظر البيت في الكتاب ٤/ ٢٢١، والخصائص ٢/ ٣٣٧، والصاحبي ١/ ٣٥، وأمالي ابن الشجري ٣/ ١٤٨، والتخمير ٤/ ١١٢، والشرح الكبير ٢/ ٤٩٦، ومغني اللبيب ١/ ٤٩، وهمع الهوامع ٢/ ١١١، والدرر اللوامع ٢/ ١٠٠، وخزانة الأدب ٤/ ١١٢، ١١٥.

(٤) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص٢٥ برواية: (ما قُلْتُ مِن سَيِّءٍ مِمَّا أُتِيتَ بِهِ إِذًا فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يدي)، وبرواية المتن في أمالي ابن الشجري ٣/ ١٤٨، ومغني اللبيب ١/ ٤٨.

معرض الحديث عن (أنْ) المفتوحة الخفيفة الزائدة: "وتكون توكيدا... كما كانت إنْ مع ما"[1]، ويقول ابن جني رافضا القول بأنها حرف نفي: "وإنما هي حرف يؤكَّد به، بمنزلة ما ولا والباء ومِن وغير ذلك"[2].

كما يذكر ذلك الهروي بقوله: "...فتكون (إنْ) مع (ما) لغوا وتأكيدا"[3]، ويعلق المرادي علىٰ مذهب الكوفيين بقوله: "وهو فاسد"[4].

وأرىٰ أن رأي البصريين هو الأرجح قياسا علىٰ باقي حروف الزيادة التي لا ترد إلا لتمنح الكلام فضل توكيد، كما أنه إذا قيل بأنها حرف نفي فربما فهم من ذلك الإثبات؛ لاجتماعها مع حرف نفي سابق وهو (ما)[5].

وغير الكافة: لها أربعة مواضع تزاد فيها:

الأول: بعد (ما) الموصولة الاسمية، كقول الشاعر:

يُرَجِّي المَرْءُ ما إِنْ لا يَراهُ وتَعْرِضُ دُونَ أَدْناهُ الخُطُوبُ[6]

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٢٢.

(٢) الخصائص ٢/ ٣٣٨.

(٣) الأزهية ص٥١.

(٤) الجنىٰ الداني ص٢١٠.

(٥) "لأن النفي إذا دخل علىٰ النفي صار إيجابا". شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٣٠.

(٦) البيت لجابر بن رألان أو إياس بن الأرت. الأزهية ص٥٢، والجنىٰ الداني ص٢١١، ومغني اللبيب ١/ ٤٩، وهمع الهوامع ٢/ ١١٧، والدرر اللوامع ٢/ ١١٠.

الثاني: بعد (ما) الظرفية بمعنى الحين عند سيبويه[1]، وعند غيره (ما) المصدرية[2]، كقول الشاعر:

وَرَجِّ الفَتَى لِلخَيْرِ ما إِنْ رَأَيْتَهُ ... عَلَى السِّنِّ خَيْرًا لا يَزالُ يَزِيدُ[3]

الثالث: بعد (ألا) الاستفتاحية، كقول الشاعر:

أَلا إِنْ سَرَى لَيْلِي فبِتُّ كَئِيبًا ... أُحاذِرُ أَنْ تَنْأَى النَّوَى بِغَضُوبَا[4]

الرابع: قبل مَدَّة (همزة الإنكار)، قال سيبويه:"وسمعنا رجلا من أهل البادية قيل له: أتخرج إن أخصبت البادية؟ فقال: أنا إِنيهْ؟!. منكرا لرأيه أن يكون على خلاف أن يخرج"[5].

والذي ورد من زيادة (إنْ) في أدب الرافعي- فيما وقع عليه بحثي- هو زيادتها بعد (ما) النافية.

---

(١) انظر الكتاب ٤/ ٢٢٢.

(٢) انظر أمالي ابن الشجري ٣/١٤٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٣٠، والشرح الكبير ٢/٤٩٦، والجنى الداني ص٢١١، ومغني اللبيب ١/ ٤٩، وهمع الهوامع ٢/ ١١٧.

(٣) البيت للملعوط القريعي، انظر البيت في الكتاب ٤/ ٢٢٢، والخصائص ١/ ١٥٠، وأمالي ابن الشجري ٣/١٤٨، وشرح المفصل ٨/ ١٣٠، والشرح الكبير ٢/٤٩٦، والجنى الداني ص٢١١، ومغني اللبيب ١/ ٤٩، وهمع الهوامع ٢/ ١١٨، والدرر اللوامع ٢/ ١١٠.

(٤) انظر البيت في الجنى الداني ص٢١١، ومغني اللبيب ١/ ٤٩، وهمع الهوامع ٢/ ١١٨، والدرر اللوامع ٢/ ١١١.

(٥) الكتاب ٢/ ٤٢٠، وشرح التسهيل ١/ ٣٧٢، وانظر الجنى الداني ص٢١١، ومغني اللبيب ١/ ٤٩، ٥٠، وهمع الهوامع ٢/ ١١٨.

ومما ورد من زيادة (إنْ) بعد (ما) النافية، قول الرافعي:

أَخافُ عَلَيْكَ وما إِنْ تَخافُ وأَنْتَ المُطاعُ بِما تَأْمُرُ[1]

يؤكد الشاعر بـ (إنْ) الزائدة عدم مبالاة حبيبه بشيء، وعدم خوفه مطلقا، يريد بذلك أن يثبت له غروره الشديد، حتىٰ إنه قد أرسل الفعل (تخاف) دون أن يقيده بمخوف منه أو عليه، في حين أنه قيد خوفه هو بأنه عليه: (أخاف عليك). وقد أتىٰ في الشطر الثاني بما يوضح مصدر هذا الغرور، وهو ثقته التامة بأنه المطاع بما يأمر.

ومنه قوله:

بِي حَسَراتٌ عَلَيْكَ ما إِنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ مَسِّهِنَّ صَدْرُ[2]

يظهر الشاعر لحبيبه ما يلاقي من عذابات في هواه، وجاء بـ (إنْ) الزائدة ليؤكد بها أن حسراته المتكتمة في صدره عليه لشدتها ومضائها لا يقوىٰ صدر علىٰ مسها بله حملها وإطاقتها.

ومنه قوله:

ما إِنْ حَسِبْتُ الزَّمانَ يَوْمًا يَتْرُكُ نَفْسِي عَلَيْكَ حَسْرَىٰ[3]

يبين الشاعر تألمه من حب غابر تركه وخلّف له الحسرة عليه، ويؤكد بـ(إنْ) الزائدة خطأه في الحسبان، وكان من الممكن أن يقول: ما حسبتُ، ولكن لصدمته أكد النفي، إذ إنه لم يكن ليتوقع أبدا أن يكون هذا هو المصير المخبوء له في رحم الأيام.

---

(١) ديوان الرافعي ٢/ ١٠٧.

(٢) السابق١/ ٩٦.

(٣) السابق ١/ ١٠٥.

ومنه قوله:

ويا أَيُّها العُشَّاقُ إِنْ كانَ في الوَرَىٰ مَساكِينُ ما إِنْ يُرْحَمُونَ فأَنْتُمُ(١)

يؤكد الشاعر العذاب الشديد الذي يلاقيه العاشقون في مكابدة الهوىٰ، وقد أتىٰ بـ (إنْ) الزائدة بعد (ما) النافية للمبالغة في توكيد نفي الرحمة عنهم من دون مساكين الورىٰ أجمعين. وقد ارتكب هذه المبالغة لأنه يخبر عن شيء خلاف الأصل، وهو عدم رحمة المساكين. ولعله يقصد من وراء ذلك ترقيق القلوب- لا سيما قلوب محبيهم- عليهم بعد أن عرض حالهم، وأكد عذابهم.

ما الزائدة

من أوجه (ما) الحرفية أن تكون زائدة للتوكيد(٢)،"لا تفيد إلا تمكين المعنىٰ وتوفيره بتكثير اللفظ"(٣). وهي نوعان: كافة، وغير كافة.

والكافة ثلاثة أنواع، أحدها: الكافة عن عمل الرفع، وهي التي تتصل بـ (قلّ وكثُر وطال)(٤)، كقول الشاعر:

قَلَّما يَبْرَحُ اللَّبِيبُ إِلَىٰ ما يُورِثُ المَجْدَ داعِيًا أَوْ مُجِيبًا(٥)

---

(١)ديوان الرافعي ٣/ ٩٧.

(٢) انظر الكتاب ٤/ ٢٢١، والمقتضب ٢/ ٥٣، والأصول لابن السراج ٢/ ٢١٠، والخصائص ٢/ ٦٩، والأزهية ص٧٩، ورصف المباني ص٣١٥، ٣١٧، والجنىٰ الداني ص٣٢٢، ٣٣٢، ومغني اللبيب ١/ ٦٦٣.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٠٨.

(٤) انظر الكتاب ٣/ ١١٥، ٥١٨، والمقتضب ٢/ ٥٤، والجنىٰ الداني ص٣٣٣، ومغني اللبيب١/ ٦٦٣.

(٥) البيت بلا نسبة في مغني اللبيب ١/ ٦٦٣، وشرح التصريح علىٰ التوضيح ١/ ٢٣٦.

والثاني: الكافة عن عمل النصب والرفع، وهي المتصلة بإنّ وأخواتها[١]، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٢].

والثالث: الكافة عن عمل الجر، وتتصل بأحرف وظروف. فالأحرف التي تتصل بها هي: رُبّ والكاف، فيقال: (ربما، وكما)[٣].

ومن ذلك قول الشاعر:

رُبَّما أَوْفَيْتُ في عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شَمالاتُ[٤]

وقول الآخر:

أَخٌ ماجِدٌ لم يُخْزِنِي يَوْمَ مَشْهَدٍ ... كَما سَيْفُ عَمْرٍو لَمْ تَخُنْهُ مَضارِبُهْ[٥]

وأما الظروف التي تتصل بها فهي: (بَعد وبين)[٦]. نحو قوله:

أَعَلاقَةً أُمَّ الوُلَيِّدِ بَعْدَمَا ... أَفْنانُ رَأْسِكِ كالثَّغامِ المُخْلِسِ؟[٧]

(١) انظر الكتاب ٤/ ٢٢١، ٢/ ١٣٨، ٣/ ٣٣١، والمقتضب ٢/ ٥٣، والأصول لابن السراج ٢/ ٢١٠، والتخمير ٤/ ١١٤، والجنى الداني ص٣٣٣، ومغني اللبيب ١/ ٦٦٤.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) انظر الكتاب ٣/ ٧٦، ١١٥، ١٤٠، ٤/ ٢٢١، والمقتضب ٢/ ٥٤، والتخمير ٤/ ١١٥، وشرح الرضي ٤/ ٤٣٢، ورصف المباني ص٣١٦، والجنى الداني ص٣٣٣، ومغني اللبيب ١/ ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، والبلاغة العربية ٢/ ١٠٦، ١٠٧.

(٤) البيت لجذيمة الأبرش في الكتاب ٣/ ٥١٨، ومغني اللبيب ١/ ٦٦٩، وهمع الهوامع ٤/ ٢٣٠، وشرح التصريح على التوضيح ٢/ ٣٠٦، والدرر اللوامع ٤/ ٢٠٤، وخزانة الأدب ١١/ ٤٠٤.

(٥) البيت بلا نسبة في مغني اللبيب ١/ ٦٧٠، ولنهشل بن حَرِيّ في همع الهوامع ٤/ ٢٣١، وشرح التصريح على التوضيح ١/ ٦٦٦، والدرر اللوامع ٤/ ٢٠٩.

(٦) انظر الكتاب ٢/ ١٣٩، ومغني اللبيب ١/ ٦٧٢، والبلاغة العربية ٢/ ١٠٧.

(٧) البيت للمرار الأسدي في الكتاب ٢/ ١٣٩، والمقتضب ٢/ ٥٣، ومغني اللبيب ١/ ٦٧٢، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٣٠، ٢٥١، ١١/ ٢٣٢، ٢٣٤.

وقوله:

بَيْنَما نَحْنُ بِالأَراكِ مَعًا   إِذْ أَتَى راكِبٌ عَلَى جَمَلِهْ[١]

و(حيثُ وإذ)، ويضمنان حينئذ معنى إنْ الشرطية فيجزمان فعلين[٢].

وغير الكافة نوعان: عِوض، وغير عوض[٣]، فالعوض في نحو قولهم: (أما أنت منطلقا انطلقتُ)، والأصل: انطلقتُ لَإنْ كنتَ منطلقا. وغير العوض تقع بعد الرافع كقولك: (شتان ما زيد وعمرو)، وبعد الناصب الرافع(ليت) في نحو: (ليتما زيدا قائم)، وبعد الجازم[٤] نحو: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ ﴾[٥]، و﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾[٦]، وقول الأعشى:

مَتَى ما تُناخِي عِندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ   تُراحِي وتَلْقَيْ مِنْ فَواضِلِهِ نَدَى[٧]

---

(١) البيت بلا نسبة في مغني اللبيب ١/ ٦٧٣.

(٢) مغني اللبيب ١/ ٧٦٣، وانظر الكتاب ٢/٤١٨، ٣/ ٥٦، ٥٧، ٣٣١، والتخمير ٤/ ١١٥، ويكون كفهما ب"ما" عن الإضافة.

(٣) مغني اللبيب ١/ ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥.

(٤) السابق ١/ ٦٧٤، وانظر الكتاب ٣/ ٧٨، ٧٩، والتخمير ٤/ ١١٤، ١١٥، وشرح الرضي ٤/ ٤٣٢، ٤٣٥. وتزاد بعد أداة الشرط غير الجازمة في غير هذا الموضع. انظر الكتاب ٣/ ٥٩، وشرح الرضي ٤/ ٤٣٢، ٤٣٦، ورصف المباني ص٣١٦، ومغني اللبيب ١/ ٦٧٧، نحو: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فصلت: ٢٠ .

(٥) البقرة: ١٤٨.

(٦) الأعراف: ٢٠٠.

(٧) البيت في ديوانه ص٦٩ برواية: (تُريحي وتلقي من فواضله يدا)، وبرواية المتن في مغني اللبيب ١/ ٦٧٥.

وبعد الخافض حرفا[١] كان، نحو: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[٢]، و﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾[٣]، و﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ ﴾[٤].

أو اسما[٥] كقوله تعالى: ﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾[٦]، وقول الشاعر:

نامَ الخَلِيُّ وما أُحِسُّ رُقادِي ... والهَمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وِسادِي

مِنْ غَيْرِ ما سَقَمٍ ولَكِنْ شَفَّنِي ... هَمٌّ أَراهُ قَدْ أَصابَ فُؤادِي[٧]

وقوله:

ولاسِيَّما يَوْمٍ بِدارَةِ جُلْجُلِ[٨]

قال سيبويه في زيادة (ما) بعد (سِيّ):"ومثل ذلك: ولاسيما زيدٍ، فربّ توكيد لازم حتى يصير كأنه من الكلمة"[٩].

وما ورد من زيادة (ما) بعد (رُبَّ) في أدب الرافعي قوله:

رُبَّما نِلْتَ ما يَفُوتُ وهَيْهَا ... تَ إِذَا فاتَكَ الصِّبَا أَنْ تَنالَا[١٠]

---

(١) مغني اللبيب ١/ ٦٧٥، وانظر الكتاب ٣/ ٧٦، ٤/ ٢٢١، والأزهية ص٧٦، وشرح الرضي ٤/ ٤٣٢، ورصف المباني ص٣١٦، والجنى الداني ص٣٣٢، وشرح ابن عقيل ٣/ ٢٦، ٢٧.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) المؤمنون: ٤٠.

(٤) نوح: ٢٥.

(٥) مغني اللبيب ١/ ٦٧٥، وانظر شرح الرضي ٤/ ٤٣٦، والبلاغة العربية ٢/ ١٠٧.

(٦) القصص: ٢٨.

(٧) البيتان للأسود بن يعفر النهشلي. انظر مغني اللبيب ١/ ٦٧٥، والبيت الأول فقط في أساس البلاغة ١/ ١٩٦.

(٨) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص٢٨، وصدره: **ألا رُبَّ يومٍ لك منهُنّ صالحٍ**، وفي مغني اللبيب ١/ ٦٧٥، وهمع الهوامع ٣/ ٢٩٣، والدرر اللوامع ٣/ ١٨٣.

(٩) الكتاب ٢/ ١٧١، وانظر شرح الرضي ٤/ ٤٣٦.

(١٠) ديوان الرافعي ١/ ١٩.

يتحدث الشاعر عن أيام الدراسة التي هي في رأيه من أجمل أيام العمر، وقد أتى بـ (ما) الزائدة بعد (رب) ليؤكد معنى التقليل الذي تفيده (رب)، فقلما يدرك المرء شيئا مما مضى وولّى. والشاعر قد جاء بهذا التوكيد مقدمة لما يريد أن يوصله للمخاطب من رسالة، فإن كان إدراك ما فات قليل الاحتمال فإدراك الصبا المدبر محال، وإذا كان الأمر كذلك فينبغي للنشء المخاطب أن يستفيد من كل لحظة من لحظات صباه، ويسعد بها؛ لأنها- كما أكد له في بداية حديثه- لا ولن تعود ثانية. وقد دفع الشاعر إلى إنشاء تلك الرسالة ما علمه من ضيق الطلاب ذرعا بتلك المرحلة من عمرهم، أعني زمن الدراسة.

يقول الرافعي قبل هذا البيت:

غَيْرَ أَنَّ الكَسُولَ في كُلِّ يَوْم ... يَجِدُ اليَوْمَ كُلَّهُ أَهْوالَا
ويَرَىٰ الكُتْبَ والدَّفاتِرَ والأَقْلا ... مَ وأَوْراقَ دَرْسِهِ أَحْمالَا
وإِذَا ما مَشَىٰ إِلَىٰ قاعَةِ الدَّرْ ... سِ ذِراعًا يَظُنُّهُ أَمْيالَا(١)

ولا تفوت الإشارة إلى ما في البيت الأخير من دلالة على مدى استثقال هذا (المشي) على نفس (الكسول) إلى قاعة الدرس، وتكلفه له، وقد استفيدت تلك الدلالة من تثقيل الشاعر لجملة الشرط بزيادة (ما) في أولها.

ومنه قوله:

أَنِفُوا مُساعَدَةَ الضَّعِيفِ ورُبَّما ... خَدَمُوا البَهائِمَ والجُنُونُ فُنُونُ(٢)

يشير الشاعر إلى تصرف بعض الأغنياء الذين يستأثرون بأموالهم، ويترفعون عن مساعدة الضعفاء والمحتاجين، مؤكدا سفاهة أحلامهم وحماقتهم حين يوجهون نفقاتهم

(١) السابق ١/ ١٩.
(٢) ديوان الرافعي ٢/ ٧٥.

إلى خدمة البهائم بتربيتها وترفيهها، حتى وإن كان هذا الفعل منهم قليلا. وهو بهذا التوكيد – الذي جاء من زيادة (ما) بعد (رب) يوجه نقدا لاذعا لهؤلاء وما يفعلون.

ومنه قوله:

وَرُبَّما كانَ الفَتَى باسِمًا وكانَ كُلُّ الهَمِّ في قَلْبِهِ(١)

الأصل أن يكون المرء متوافقا ظاهره وباطنه، فإن كان في باطنه السرور بدا ذلك عليه، وإن كان الحزن والهم بدا عليه ذلك أيضا، ولكن بعض الناس لا يريدون إطلاع الغير على سرائرهم وخبيئات نفوسهم، فيظهرون على حال تخالف الحقيقة الباطنة، وقد يخدع هذا السلوك الكثيرين، وقد أراد الكاتب أن ينبه المخاطبين إلى أن هذا الأمر واقع، ولو بقلة، ويلفت نظرهم إلى عدم الانخداع بالمرأى الخارجي، فجاء بـ (ما) الزائدة بعد (رب) ليؤكد المعنى الذي أراد التنبيه عليه.

ومن زيادة (ما) بعد (أين) قول الرافعي:

فَمِنْ أَيْنَ ما يَمَّمْتُ أَلْقاهُ جاذِبِي ومِنْ أَيْنَ ما أَرْتَدُّ أَلْقاهُ جاذِبِي(٢)

يشكو الشاعر حاله مع الحب، ويؤكد أنه لا يستطيع منه إفلاتا، ولا يجد من دونه مهربا، فهو مهيمن عليه، ومحيط به إحاطة تامة من كل جانب. وقد استعان في توكيد هذا المعنى بـ (ما) الزائدة بعد (أين).

ومن زيادة (ما) بعد (إذا) قوله:

فَشَدَّتْ عَلَى قَلْبِي وقالَتْ بِلَوْعَةٍ إِذَا ما الْتَقَيْنا فالهَوَى مِنْكَ أَعْرَفُ(٣)

---

(١) السابق ١/ ١٢٣.
(٢) السابق ٣/ ٩٨.
(٣) ديوان الرافعي ٣/ ٦٥.

جاء هذا البيت ردا على الشاعر من حبيبته حين طلب إليها أن تكتب له رسالة بالعهود التي بينهما لتخفف من شك الجوى، فجاء جوابها مؤكدا أن الهوى عند لقائهما أبين وأظهر من أي رسالة تُكتب. ولتوكيد الجزاء وقعت (ما) زائدة بعد (إذا). وكأن الحبيبة بتوكيدها هذا تقدم اعتذارا تسترضي به الشاعر عن طلبه إليها، وذلك بأسلوب لطيف ومسكت في الوقت ذاته.

ومن زيادة (ما) بعد (كثيرًا) قوله:"**وكثيرًا ما نعالج الضحك لنفتح لأنفسنا طرقا تتهارب فيها معاني البكاء**"[١].

يتحدث الكاتب على لسان إحدى النساء البائسات اللاتي يعملن في (المسرح)، فيُهِنَّ أنفسهن لاكتساب المال. وجاءت (ما) الزائدة بعد (كثيرا) لتؤكد حال البؤس الذي يعيش فيه هؤلاء، وأن الغالب على أمرهن هو افتعال الضحك هروبا من البكاء والهم اللذين صارا جزءا أصيلا من طبيعة الحياة التي يحيينها.

ويهدف هذا التوكيد إلى رد الاعتقاد السائد عن تلك الفئة من النساء، من أن حياتهن ملؤها المرح والسرور والضحكات، وأن البكاء لا يعرف لهن سبيلا، ولا يخطر ببال أحد أن هذا الضحك ما هو إلا مهرب من واقع أليم!.

ومن زيادة (ما) بعد (قليلا) و(كثيرا) قوله:"**أما الأفواه فحسبها من صناعة العيش في أكثر من تراهم في الأرض: مضغ الطعام ومضغ الكلام، فهي قليلا ما تبتسم، وكثيرا ما يكون الابتسام فيها شنعة**"[٢].

---

(١) من وحي القلم ١/ ٢٥٨.

(٢) حديث القمر ص٦١.

يتعرض الكاتب بالانتقاد الشديد لأولئك "الذين لا يعرفون جمال الطبيعة، ولا يفقهون حديثها"[١]؛ لأن غالب حالهم هو البكاء والدموع. ويستخدم (ما) الزائدة بعد (قليلا) و(كثيرا) ليؤكد قلة ابتسامهم، وكثرة كون ذلك الابتسام- حين يكون- شنعا قبيحا، وليس ابتساما صافيا من قلوبهم، وبذلك يؤكد استحقاق هؤلاء الأجلاف لانتقاده؛ إذ إنهم ينظرون إلى الطبيعة الخلابة بوجه عبوس باكٍ، ويغفلون عن جمالها الساحر الذي يسر النفوس، ويشرح الصدور، وتنفرج له الأسارير.

ومن زيادة (ما) بعد (كثيرا) و(حيث) قوله: "**فإن كانت القاضية فكثيرا ما يموت هذا السعيد وهو يجذب الأقدار أو هي تجذبه ... فمن حيثما التفت لا يرى إلا وجوه الأدلة، ومن حيثما أصغى لا يسمع إلا إقرارها**"[٢].

يتحدث الكاتب عن نهاية الغني كيف تكون، ويقصد الغني (الاصطلاحي)، وهو "**الذي يعيش فقيرا ليموت غنيا**"[٣]، ويريد الكاتب أن يؤكد أن تلك النهاية المؤسفة هي النهاية الغالبة له ولأمثاله الذين على شاكلته، وليست نادرا ما تكون، ولذا أتى بـ (ما) الزائدة بعد (كثيرا). ثم يصور الكاتب لحظة وفاته وفراقه الدنيا، وقد برزت له أفعاله التي قدم، ويؤكد بـ (ما) الزائدة بعد (حيث) أن هذه الأفعال قد ملأت عليه بصره وسمعه أنى نظر وأصغى.

ومن خلال هذين التوكيدين يحذر الكاتب- بصورة غير صريحة- هذا الصنف من الأغنياء، ببيان مؤكد لسوء العاقبة والمنقلب، فلا تغرنهم حياة هذه نهايتها.

---

(١) السابق ص٦١.

(٢) السابق ص٢٦.

(٣) السابق ص٢٧.

ومما ورد من زيادة (ما) بعد الفعل (شدَّ)

قوله:

دانٍ وما يَدْنُو، بَعِيدٌ ما نَأَىٰ   يا شَدَّ ما يُضْنِي البَعِيدُ الدَّانِي![١]

يصف الشاعر (وادي هوىٰ) حبيبته بأنه قريب، ولكنه ينأىٰ بنفسه عنه، وهو وصف ينسحب علىٰ الحبيبة في الحقيقة. وقد استخدم هذا التركيب (شدَّ ما) الذي بمنزلة (حقا)[٢] ليؤكد به مدىٰ أثر الحبيب البعيد عنه، وهو قريب منه. وفي تكثير اللفظ ما يعكس حجم الألم في نفس الشاعر، وشدة الضنىٰ.

ومنه قوله:"**لشَدَّ ما أحاول أن أصف الحب وصفا طبيعيا يدنيه من هذه الأفهام الغليظة الجاسية**"[٣].

استخدم الكاتب (ما) الزائدة في قوله: (شدَّ ما) ليؤكد صدق اجتهاده في تقديم وصف للحب، بعيد عن التكلف والتعقيد، رغبة منه في تقريبه إلىٰ الأفهام الغليظة والقلوب القاسية المتحجرة. وما ذاك إلا لإيمانه العميق بأهمية الحب، وما يناط به من دور عظيم في إصلاح النفوس وتهذيبها والسمو بها عن عالم المادة الكثيف إلىٰ عالم الروح الشفيف.

---

(١) رسائل الأحزان ص٦٤.

(٢) انظر الكتاب ٣/ ١٣٩.

(٣) حديث القمر ص٩٠.

مِنْ الزائدة

(مِنْ) حرف من حروف الجر، تأتي زائدة وغير زائدة[١]. وتفيد (مِن) الزائدة التوكيد، ذكر ذلك فريق من النحاة، يقول سيبويه: "... معنى ما أتاني أحد، وما أتاني من أحد، واحد، ولكن (مِن) دخلت هنا توكيدا"[٢]، ويقول ابن السراج: "وتدخل توكيدا بمنزلة (ما)، إلا أنها تجر، وذلك قوله: ما أتاني من رجل، وويحه من رجل، أكدتها بـ (مِن)"[٣]، ويقول الهروي: "تكون (مِن) زائدة للتوكيد"[٤]، ويقول ابن الشجري: "وجاءت للتوكيد زائدة في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾[٥]"[٦].

ويوضح الحيدرة اليمني والخوارزمي، المقصودَ بالتوكيد هنا، وهو توكيد النفي.

يقول صاحب الكشف: "وقد تكون زائدة لتوكيد النفي مثل: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[٧]، وما جاءني من أحد"[٨].

---

(١) انظر الجنى الداني ص٣٠٨.

(٢) الكتاب ٢/ ٣١٦، وفي قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم: ٩٨). وإنما زيدت هنا للتوكيد فقط؛ لأن أحدا من أسماء العموم "اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٥٥ .

(٣) الأصول لابن السراج ٢/ ٢١٢.

(٤) الأزهية ص٢٢٦.

(٥) البقرة: ١٠٢.

(٦) أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(٧) الأعراف: ٥٩.

(٨) كشف المشكل ص١٦١.

ويقول الخوارزمي: "وأما معنى (مِن) فدلالتها على تأكيد النفي على العموم"(١).

ويفصل بعضهم القول في مجيء زيادتها على حالتين(٢):

الأولى: أن يكون دخولها في الكلام كخروجها، وتسمى الزائدة لتوكيد الاستغراق، وهي الداخلة على الأسماء الموضوعة للعموم، وهي كل نكرة مختصة بالنفي، نحو: ما قام من أحد، فهي مزيدة هنا لمجرد التوكيد؛ لأن (ما قام من أحد) و(ما قام أحد) سيان في إفهام العموم دون احتمال.

والثانية: أن تكون زائدة لتفيد التنصيص على العموم، وتسمى الزائدة لاستغراق الجنس، وهي الداخلة على نكرة لا تختص بالنفي، نحو: ما في الدار من رجل، فهذه تفيد التنصيص على العموم.

واشترط سيبويه وجمهور البصريين لزيادة (مِن) شروطا(٣):

الأول: أن يتقدمها نفي أو نهي أو استفهام بـ (هل)، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾(٤)، ولا يقم من أحد، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾(٥).

(١) التخمير ٤/ ١١٨.

(٢) الجنى الداني ص٣١٦، ٣١٧، وانظر المقرب ص٢٧١، ورصف المباني ص٣٢٤، ومغني اللبيب ١/ ٦٩٢، ٦٩٣، والبلاغة العربية ٢/ ١٠٧.

(٣) انظر التخمير ٤/ ١١٨، وكشف المشكل ص١٦١، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٥٥، والمقرب ص٢٧١، والجنى الداني ص٣١٧، ٣١٨، ومغني اللبيب ١/ ٦٩٣، وشعر أبي تمام ص١٩٥، والبلاغة العربية ٢/ ١٠٧، والحروف النحوية الزائدة ص١٧٠، ١٧١.

(٤) الأنعام: ٥٩.

(٥) الملك: ٣.

الثاني: أن يكون مجرورها نكرة.

الثالث: أن يكون مدخولها فاعلا، نحو قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[1]. أو مفعولا به، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2]، أو مبتدأ، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[3].

وذهب الأخفش إلى جواز زيادة (مِن) في الإيجاب[4]، وجواز كون مجرورها معرفة، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[5]، وضعفه الزركشي[6].

وما ورد من زيادة (مِن) في أدب الرافعي، قوله:

ولَيْسَ لَدَىٰ الطَّبيعَةِ مِنْ فَراغٍ وإلَّا ما اسْتَقامَ لَها نِظامُ[7]

يرىٰ الشاعر أن الفراغ مفسدة، وقد أراد أن يوصّل هذا المعنىٰ إلىٰ المخاطب، ويمكّنه من نفسه لحرصه علىٰ ما فيه من مصلحة له ولمجتمعه، ولذا فقد أتىٰ بـ (مِن) الزائدة ليؤكد نفي الفراغ عند الطبيعة الذي يعد انتفاؤه ضرورة ليستقيم لها نظامها، وهو معنىٰ رام الشاعر من خلال توكيده ضرب مثال حي للمخاطب من الواقع الذي يحيا فيه،

---

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) إبراهيم: ٤.

(٣) فاطر: ٣.

(٤) انظر معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٩٨، والتخمير ٤/ ١١٨، و البرهان في علوم القرآن ٤/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٥) الأنعام: ٣٤.

(٦) انظر البرهان في علوم القرآن ٤/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٧) ديوان النظرات ١/ ٦٢.

وكأنه يريد أن يقول له: تأمل وتبصـر، فإن استقامة نظام الطبيعة مرتهن بانعدام الفراغ، فإذا أردت أن يستقيم لحياتك نظامها فكن مثل الطبيعة، واشغل فراغك.

ومنه قوله:

ولَمْ أَرَ قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ حَبِيبٍ كَفَى العُشَّاقَ لَوْعاتُ الغَرامِ[1]

حديث الشاعر هنا عن شهر رمضان المبارك، ويقدم الشاعر معنى طريفا، وهو أن رمضان حبيب فريد؛ لأنه لا يعذب عشاقه بعذابات الحب ولوعات الغرام، وهو في ذلك مخالف لجميع الأحبة. ولعل طرافة المعنى دفعت الشاعر إلى التوكيد، فأتى بـ (مِن) الزائدة التي أفادت التنصيص على العموم ليؤكد بذلك النفي التام لرؤية حبيب يصنع هذا الصنيع.

ومنه قوله:

إِنَّ هذا الحُبَّ غادَرَنِي لَيْسَ لِي في العَيْشِ مِنْ أَرَبِ[2]

يؤكد الشاعر من خلال (مِن) الزائدة نفي حاجته مطلقا لشيء من الدنيا بعد أن فقد حبه. ويظهر هذا التوكيد الحالة النفسية السيئة للشاعر التي جعلته يزهد كل ما في العيش ما دام خاليا ممن يحب.

ومنه قوله: "**وما من شيء في الحياة إلا كادَّهُما وعاسَرَهُما**"[3].

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٣٢.

(٢) السابق ١/ ٢١٢.

(٣) من وحي القلم ١/ ٦٧.

يتحدث الكاتب عن طفلين اشتد عليهما الفقر، حتى إنهما ليفترشان الشارع، وقد بلغ من تأثره بحالهما أنه يؤكد بـ (مِن) الزائدة نفي وجود شيء يهم من هموم الحياة وصعابها ولم يلمّ بهما ويُصِبهما بكل ألم وأذى.

ومنه قوله:"**وليس مِن امرأة إلا وقد خلق الله لها طبيعة ياقوتية، هي فطرتها الدينية**"(١).

يعرّض الكاتب في حديثه بكل من تحيد عن طريق الجادة، وتنحرف عن الصراط المستقيم متعللة بأي علة قريبة أو بعيدة، مؤكدا وجود الفطرة الدينية في أصل خلق كل امرأة، لا تُستثنى واحدة من ذلك، وجاء التوكيد من خلال استخدام (مِن) التي أفادت استغراق الجنس كله، وهو بذلك يهدف إلى تحميل كل امرأة مسؤولية نفسها؛ لأنها حين تحيد تكون هي التي أفسدت بيدها تلك الفطرة النقية والطبيعة الياقوتية التي أودعها الله فيها.

ومنه قوله:"**وما من ذي دين أو كرامة يقع في مثل هذه المشكلة ثم تُظلم به الزوجة، أو يحيف عليها، أو يفسد ما بينه وبينها من المداخلة وحسن العشرة**"(٢).

يؤكد الكاتب أهمية الدين والكرامة الإنسانية ودورهما الفاعل في حفظ الزوجة بعيدة عن الظلم، وحماية العلاقة الحميمة بينها وبين زوجها، مما يفسدها، وذلك عندما يُبتلى الزوج بالوقوع في عشق امرأة أخرى غيرها. ويستعين الكاتب بـ (مِن) الزائدة في توكيد نفي وجود صاحب الدين والكرامة الذي تشقى به زوجته حين يواجه تلك المشكلة نفيا مستغرقا.

(١) السابق ١/ ٢٨٥.

(٢) من وحي القلم ١/ ٣١٢.

ومنه قوله:"**فما من كاتب يحاول أن يستفيد تَصورَه من هذه العلوم على أن يُنزلها في ذلك منزلة الأصول والضوابط إلا انتهى إلى ملكة علمية تتصل منه بعقل جامد، كأنه غلاف لفظي نسجته القواعد والأمثال**"(١).

ينقد الكاتب النهج الذي ينتهجه كثير من الكتاب حين يتناولون الدرس البلاغي تناولا جافا، ينطلقون فيه من القواعد الجامدة، وليس من الأمثلة البليغة، وتأتي (مِن) الزائدة ليؤكد من خلال إفادتها استغراق الجنس أنه لا يسلم كاتب يسلك تلك السبيل إلا انتهى إلى النتيجة التي أشار إليها، وهي انتهاؤه إلى ملكة علمية تتصل منه بعقل جامد.وقد أتاح هذا التوكيد فرصة لتحذير هؤلاء الكتاب من تلك العاقبة، وتحذير القراء وطلبة الإنشاء من جهة أخرى.

الباء الزائدة

"الباء المفردة هي الحرف الثاني من حروف المباني"(٢)، وهي "حرف مختص بالاسم ملازم لعمل الجر"(٣)، وتأتي لمعان متعددة، ومن معانيها أنها تكون زائدة(٤)، والمقصود بزيادتها "أنها إنما جيء بها توكيدا للكلام، ولم تُحدث معنى"(٥)، أي أن دخولها في الكلام كخروجها، ولكنها جاءت لتعطي للكلام معنى أفضل من عدم وجودها، وهو تقويته وتوكيده، كما أنها من حيث الشكل تؤثر عند دخولها في لفظ الكلمة الداخلة عليها(٦).

---

(١) حديث القمر ص٥.

(٢) الحروف النحوية الزائدة ص١٦.

(٣) الجنى الداني ص٣٦.

(٤) انظر معاني الحروف ص٣٦، والجنى الداني ص٣٦.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ١٢٦.

(٦) انظر الحروف النحوية الزائدة ص١٧.

وزاد الزمخشري أن زيادة الباء تكون لتأكيد النفي والإثبات[١]،ويوضح الدكتور تمام حسان بالمثال فائدة دخول الباء الزائدة في الكلام، وذلك بقوله:"فإذا قلنا: ما زيد قائم، فقد استوفت الجملة أركانها، وأداة أسلوبها، بحيث لا يفتقر تركيبها إلى شيء آخر، ولكننا إذا أردنا توكيد نفي إسناد القيام إلى زيد، فإن وسيلتنا إلى ذلك أن نأتي بالحرف المسمى زائدا، فنقول: ما زيد بقائم"[٢].

وتأتي الباء الزائدة في ستة مواضع حددها النحاة في كتبهم[٣]:

الأول: الفاعل: تزاد الباء غالبا في فاعل (كفى) بمعنى (حسب)، كقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[٤]، فالباء زائدة دخلت للتوكيد، بدليل أنّا لو أسقطناها لارتفع الاسم، والمعنى: كفى الله. قال سيبويه:"وزعم الخليل رحمه الله أن به* ههنا بمنزلة هو، ولكن هذه الباء دخلت ههنا توكيدا، كما قال:

وكفى بالشيب والإسلام[٥] **كَفَىٰ الشَّيْبُ والإسْلامُ لِلمَرْءِ ناهِيَا[٦]**

(١) انظر التخمير ٤/ ١١٩.

(٢) البيان في روائع القرآن ٢/ ١١٣.

(٣) انظر معاني الحروف ص٣٦: ٤٠، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٢٨: ١/ ١٣٤، ورسالة في حروف العربية ص٦٧، ورصف المباني ص١٤٧، ١٤٨، والجنى الداني ص٤٨: ٥٦، والحروف النحوية الزائدة ص ١٧: ٣٩.

(٤) النساء: ٧٩.

* يقصد في قوله: (مررت برجل حسبك به من رجل).

(٥) الكتاب ٢/ ٢٦.

(٦) ذُكر البيت في الكتاب ٢/ ٢٦، ٤/ ٢٢٥، ومعاني الحروف ص٣٧، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٣٣، وارتشاف الضرب ٤/ ١٧٠٠. والبيت لسحيم عبد بني الحسحاس، وهذا عجز البيت، وصدره: (عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إِنْ تَجَهَّزْتَ غادِيَا).

الثاني: المفعول: تزاد الباء كثيرا مع المفعول لتوكيد معنى التعدي، وزيادتها معه غير مقيسة، ومن زيادتها قوله تعالى: ﴿ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[1]،وقوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾[2]، وقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾[3]، وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾[4].

ومن ذلك قول الشاعر:

نَحْنُ بَنُو ضَبَّةَ أَصْحابُ الفَلَجْ   نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ ونَرْجُو بِالفَرَجْ[5]

والتقدير: نرجو الفرج.

الثالث: المبتدأ: الأصل في المبتدأ أن يأتي مجردا عن العوامل اللفظية المؤثرة فيه، ولكن قد تدخل عليه الباء لنوع من التوكيد، وذلك إذا كان المبتدأ لفظ حسب، نحو: بحسبك زيد، وقولهم: بحسبك أن تفعل كذا، إنما هو حسبك أن تفعل كذا، والباء زائدة.

ومن زيادتها في الشعر قول الشاعر:

بِحَسْبِكَ في القَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا   بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرّ[6]

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) مريم: ٢٥.

(٣) الحج: ١٥.

(٤) الحج: ٢٥.

(٥) انظر معاني الحروف ص٣٧، والجنى الداني ص٥٢، وخزانة الأدب ٩/ ٥٢٠، ٥٢١.

(٦) انظر سر صناعة الإعراب ١/ ١٣٠، والخصائص ٢/٣٣٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/١١٥، ٨/ ٢٣، ١٣٩.

قال ابن يعيش: "ولا يُعلم مبتدأ دخل عليه حرف الجر في الإيجاب غير هذا الحرف"(١).

الرابع: الخبر: تُزاد الباء مع الخبر كما زيدت مع المبتدأ، وزيادتها مقيسة في خبر المنفي بـ(ليس)، وخبر المنفي بـ(لا) الحجازية. من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾(٢)

و﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٣)

و﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾(٤)

و﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(٥)

و﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(٦)

و﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٧)

وقد تزاد الباء في خبر فعل ناسخ منفي، كقول الشاعر:

وإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ ... بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ(٨)

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٢٣، وانظر سر صناعة الإعراب ١/ ١٣٠.
(٢) الزمر: ٣٦.
(٣) الأنعام: ٥٣.
(٤) هود: ٨١.
(٥) فصلت: ٤٦.
(٦) الأنعام: ١٣٢.
(٧) البقرة: ٨.
(٨) البيت للشنفرى في لامية العرب ص٣١، وكذا في شرح التسهيل ١/ ٣٨٢، والجنى الداني ص٥٤، والحروف النحوية الزائدة ص٢٣.

وفائدة زيادة الباء في الأخبار المنفية توكيد النفي"؛وذلك لأن الكلام يطول ويُنسى أوله، فلا يُعلم أكان في أوله نفي أم لا، فجاءوا بالباء لتكون إشعارًا بأن الكلام نفي، وهذا قول عامة البصريين"[١].

الخامس: النفس والعين في باب التوكيد: تُزاد الباء في التوكيد بالنفس والعين أحيانا، يقال: جاء زيد بنفسه وبعينه، والأصل: جاء زيد نفسه وعينه.

السادس: الحال المنفية: ورد في كلام العرب زيادة الباء في الحال المنفي عاملها تشبيها لها بالخبر المنفي، ومن ذلك قول الشاعر:

فما رَجَعَتْ بِخائِبَةٍ رِكابٌ   حَكِيمُ ابْنُ الْمُسَيَّبِ مُنْتَهاهَا[٢]

والأصل: فما رجعت خائبة. وقد ذكر هذا ابن مالك، واستدل بالبيت السابق في شرح التسهيل[٣].

ومما ورد من زيادة الباء في المبتدأ في أدب الرافعي، قوله:

فقالَتْ: أَغَيْرُ العِيدِ يَوْمٌ لِشاعِرٍ؟   بِحَسْبِكَ يَوْمُ العِيدِ يا قَمَرَ الشِّعْرِ!.[٤]

يخبر الشاعر عن دلال محبوبته الجميلة، وذلك حين طلب إليها أن تمنحه ساعة من الود، فصدّته عن طلبه متمنعة عليه، محدِّثة له بأن يوم العيد كاف له، ولإظهار مزيد

(١) كتاب اللامات ص٧٣، ومعاني الحروف ص٤٠، وانظر الحروف النحوية الزائدة ص٢٤، ومعاني النحو ١/ ٢٦٠.

(٢) البيت للقحيف العقيلي في شرح التسهيل ١/ ٣٨٥، والجنى الداني ص٥٥، ومغني اللبيب ١/ ٢٤٩، وخزانة الأدب ١٠/ ١٣٧، ٢٧٨.

(٣) انظر شرح التسهيل ١/ ٣٨٥.

(٤) ديوان الرافعي ١/ ٣٦.

من التدلل أكدت له كفاية هذا اليوم في قولها: (بحسبك)، وبهذا أيضًا تكون قد قطعت سبيل الرجاء، فلا يتطلع طامحا أو طامعا في أكثر من ذلك.

ومما ورد من زيادة الباء في خبر المبتدأ المنفي، قوله:

أَبَعْدَ حَكِيمِ الشَّرْقِ تُدْخَرُ عَبْرَةٌ وما هُوَ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ بِآيِبِ(١)

يرثي الشاعر الأستاذ الحكيم والفيلسوف العظيم السيد عبدالرحمن أفندي الكواكبي، وقد تغلبت مشاعر الحزن علىٰ الشاعر لدرجة يظهر معها غير مسيطر علىٰ كلامه، فهو يؤكد ما لا يحتاج إلىٰ توكيد، وذلك في قوله: (وما هو من بعد الرحيل بآيب)، فجاءت الباء الزائدة في الخبر مؤكدة نفي رجوع هذا الراحل العزيز، ومن المسلّم به أن الميت لا يؤوب إلىٰ الدنيا مرة أخرىٰ، فهذا ليس موضع شك أو إنكار ليؤكد، ولكن فرط الحزن هو الذي دفعه إلىٰ هذا الاستخدام اللغوي.

ومنه قوله:

أَعَيْنَيَّ ما دَمْعِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ فكَمْ ذا وكَمْ ذا تَجْزَعِينَ وأَجْزَعُ(٢)

لقد عز علىٰ الشاعر ما تنفق عينه من غزير الدمع وغاليه، فحداه هذا الشعور علىٰ توكيد النفي بالباء الزائدة لهوان دمعه، عله بزيادة اللفظ يكون قد حقق شيئا يحفظ له إعزازه لنفسه.

ومنه قوله: "**ألم تر إلىٰ شعراء الدنيا ... كيف يشبهون الحسن الرائع بكل ما في الخليقة من مظاهر الروعة، فيتناولون من الآفاق والسحب والبروق والرعود ومن**

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ١٤٤.

(٢) ديوان الرافعي ٢/ ٨٤.

الشمس والقمر والنجوم والأفلاك،... ويجمعون ذلك، ثم يفيضونه في أوصاف الجميلة وجمالها... وما ذلك بمبالغة من الشعراء، ولكن أرواحهم الجميلة قد أحيط بها من هذا الجمال النسائي، فأينما أحسوا رأوا صلة بإحساسهم..."[1].

يدافع الكاتب عن الشعراء– وهو واحد منهم– بأنهم حين يفيضون في وصف الحبيبة بكل ما هو جميل في الطبيعة الخلابة لا يبالغون؛ إذ إن هذا الوصف نتاج أرواحهم وإحساسهم؛ ولأن اتهام الشعراء بالمبالغة قد كثر ترداده عند تناول قصائدهم بالشرح والتحليل فقد جاء بالباء الزائدة لتؤكد نفي التهمة بالمبالغة التي أُلصقت بالشعراء حيثما تغزلوا.

ومنه قوله:"**ولست أطيل القول، فما أنا ببالغ من القول بعض صفاته، وهيهات أن يصفه علىٰ الحقيقة إلا من يعلم لغة الملائكة، فينقل إلىٰ لغة الناس كتاب سيئاته**"[2].

يتحدث الكاتب علىٰ لسان الشيخ علي عن غنيّ بخيل قد بلغ من بخله أن قال عنه:"**هو نبي أمة البخل**"[3]، وجاءت الباء الزائدة– بعد أن أفاض في وصفه– ليؤكد بها المتكلم عجزه عن بلوغ وصف حقيقي دقيق. وفي هذا التوكيد دلالة علىٰ ما عليه الرجل من السوء، حتىٰ إنه لتُعزَىٰ القدرة علىٰ صفته إلىٰ محال عقلا وواقعا إلىٰ معرفة لغة الملائكة لمعرفة ما خطّته في كتاب سيئاته، والمحتمل بالطبع لصفاته، ثم نقل ذلك إلىٰ لغة البشر!.

(١) رسائل الأحزان ص٧٥، ٧٦.

(٢) كتاب المساكين ص١٠٧.

(٣) كتاب المساكين ص١٠٥.

ومنه قوله: **"فما السابح في البحر إذا أراد أن يُقيّد الموجة العاتية بالحبال، ولا المصروع إذا حاول أن يدفع بيده ما أفزعه من جن الخيال، ولا الطفل يبتغي أن يمسك القمر في الماء، ولا المجنون يتطاول فيقتلع النجم من السماء، بأقدر ممن تبغضه المرأة إذا زعم القدرة على إرغامها، وتصريف زمامها، ومن تمضغه المرأة إذا زعم القدرة على إسكانها، والسلامة من بركانها، ومن تحقره المرأة إذا زعم القدرة على ردها، وإرجاعها دون حدها، ومن تصول عليه المرأة إذا ادعى القدرة على إسقاطها، والقوة على التقاطها"**[1].

يأتي هذا الكلام في إطار اهتمام الرافعي بقضايا المرأة، ولا سيما قضية علاقتها بالرجل الذي تبغضه، وقد أبدى الكاتب اهتماما ملحوظا بهذه القضية في غير موضع، ويؤكد هنا عن طريق الباء الزائدة في الخبر نفي قدرة الرجل البغيض على المرأة السليطة إذا هي سُلّطت عليه. وجاء هذا التوكيد معبرا عن إيمان عميق بواقعية ما يحدّث به المتكلم.

<u>ومما ورد من زيادة الباء في خبر المنفي بـ (ليس)</u>، قوله:

وَلَيْسَ بِضائِرِ ذِي مَطْلَبٍ إِذَا كَفَّهُ النَاسُ عَمَّا طَلَبْ[2]

يشجع الشاعر ذا الأهداف العالية والمطالب السامية ألا يثنيه عن طريقه كف الناس له بمنع أو تثبيط أو غير ذلك، وقد أكد له نفي ضير كف الناس عن مطلبه، فلربما كان هذا الكف دافعا ومحفزا قويا على الاستمرار والمضيّ قدما فيما هو ساعٍ إليه وراجيه.

---

(١) من وحي القلم ص١٣٤.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ٢٧.

ومنه قوله:

خابَ فِيهِ الرَّجا ولَيْسَ بِبِدْعٍ كُلُّ مَيْتٍ يَخِيبُ فِيهِ الرَّجاءُ[١]

يذم الشاعر صديقا سيئا، ويؤكد أن خيبة الرجاء فيه ليست أمرا غريبا، وذلك قياسا على حال الميت الذي يخيب فيه كل رجاء وسُؤْل. وفي ذلك أبلغ الذم وأقذعه، وقد أفادت الباء الزائدة توكيد المعنى وإخراجه في صورة الأمر المسلّم به الذي لا مراء فيه.

كاف التشبيه الزائدة

تأتي كاف التشبيه الزائدة لمعنى التوكيد، بمنزلة الباء في خبر (ليس) و(ما) و(مِن)، وغير ذلك من حروف الجر[٢]، "ويُحكم بزيادتها عند دخولها على (مثل)...، أو دخول (مثل) عليها...، إذ الغرض أنه لا يشبه بالمشبه، فلا بد من زيادة إحدى أداتي التشبيه..."[٣].

وزيادة الكاف في كلام العرب غير قليلة[٤]، وقد وردت زيادتها في النثر والنظم، فمن النثر قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٥]، "فالكاف هنا زائدة عند أكثر العلماء، والمعنى: ليس مثله شيء، قالوا: لأن جعلها غير زائدة يفضي إلى المحال، إذ يصير معنى الكلام: ليس مثل مثله شيء، وذلك يستلزم إثبات المثل، تعالى الله عن

(١) السابق ٢/ ١٠١.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٥٨ بتصرف يسير، وانظر المقتضب ٤/ ٤١٨، والبسيط ٢/ ٨٥٣، وأوضح المسالك ٣/ ٣٨، وشرح المكودي ص١٥٧، وحاشية الخضري ١/ ٤٧٣.

(٣) شرح الرضي ٤/ ٣٢٤، ٣٢٥.

(٤) انظر الجنى الداني ص٨٧.

(٥) الشورى: ١١.

ذلك"[١]، وذكر المرادي أن فائدة زيادتها في الآية توكيد نفي المثل من وجهين[٢]: أحدهما لفظي، والآخر معنوي.

أما اللفظي فهو أن زيادة الحرف في الكلام تفيد ما يفيده التوكيد اللفظي من الاعتناء به، قال ابن جني: "كل حرف زِيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرىٰ"[٣].

فعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: ليس مثله شيء، ليس مثله شيء"، وبإعادة الجملة يحصل التأكيد"[٤].

وأما المعنوي فإنه من باب قول العرب: مثلك لا يفعل كذا، فنفوا الفعل عن مثله، وهم يريدون نفيه عن ذاته؛ لأنهم قصدوا المبالغة في ذلك، فسلكوا به طريق الكناية؛ لأنهم إذا نفوه عن من علىٰ أخص أوصافه فقد نفوه عنه، ذكر ذلك الزمخشري حيث قال: "فإذا عُلم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله: ليس كالله شيء، وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها، وكأنهما معتقبتان علىٰ معنىٰ واحد، وهو نفي المماثلة عن ذاته"[٥].

---

(١) الجنىٰ الداني ص٨٦، ٨٧، وانظر هذا المعنىٰ في الأصول لابن السراج ١/ ٤٣٨، ومعاني الحروف ص٤٨، وتوجيه اللمع ص٢٣٦، والبحر المحيط ٩/ ٣٢٦، ٣٢٧، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٣٩٥، وروح المعاني ٢٥/ ٢٨، ٢٩، وشرح الآجرومية ص٢٥.

(٢) الجنىٰ الداني ص٨٧، ٨٨.

(٣) انظر قوله في الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٧٦، إذ لم أجده في مصنفاته، نحو: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمحتسب، والمنصف، والتمام.

(٤) حاشية الدسوقي علىٰ مغني اللبيب ١/ ٤١٤.

(٥) الكشاف ٤/ ٢١٨.

وأدخل الخطيب القزويني تلك الكاف في باب المجاز، فذكرها تحت عنوان: المجاز بالحذف والزيادة، وقال موضحا ذلك:"واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي...، توصف به أيضًا لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره لحذف لفظ وزيادة لفظ... وأما الزيادة فكقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على القول بزيادة الكاف، أي ليس مثله شيء، فإعراب (مثله) في الأصل هو النصب، فزيدت الكاف فصار جرا"[١]، وكذا فعل أبو حيان فذكرها تحت باب الحقيقة والمجاز[٢].

وذكر ابن عطية أنه يراد بها المبالغة، وذلك في قوله:"الكاف مؤكدة للتشبيه، فبقي التشبيه أوكد ما يكون، وذلك أنك تقول: زيد كعمرو، وزيد مثل عمرو، فإذا أردت المبالغة التامة قلت: زيد كمثل عمرو"[٣].

و"قيل: الكاف في الآية غير زائدة، ثم اختُلف؛ فقيل: الزائد مثل..."[٤] والقول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم، بل زيادة الاسم لم تثبت[٥]"[٦].

كما جُعل من زيادتها قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[٧].

ومن مجيئها في النظم قول رؤبة:

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ص٢٧٢.

(٢) ارتشاف الضرب ٥/ ٢٣٧٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨.

(٤) انظر توجيه اللمع ص٢٣٧.

(٥) انظر شرح الرضي ٤/ ٣٢٥، وهمع الهوامع ٤/ ١٩٥.

(٦) مغني اللبيب ١/ ٤١٥.

(٧) الواقعة: ٢٢، ٢٣. وزيادة الكاف في الآية قال به ابن مالك في شرح التسهيل ٣/ ١٧٠.

لَواحِقُ الأَقرابِ فِيها كالـمَقَقْ[1]

يريد: فيها المقق، أي الطول.

ومما ورد من زيادة الكاف في أدب الرافعي، قوله:

ولَوْلَا الدِّينُ كانَتْ كُلُّ نَفْسٍ كَمِثْلِ الوَحْشِ تَسْكُنُ لِلوَثابِ[2]

يعلي الشاعر من الدور الذي يقوم به الدين في المجتمع الإنساني؛ فهو الذي يربي النفوس، ويترقى بها في مدارج الإنسانية. وجاءت الكاف الزائدة لتؤكد تشبيه النفوس بالوحوش التي تتربص بالفريسة وتستعد لتنقض عليها، وذلك شأنها لولا وجود الدين. وبهذا التشبيه المؤكد استطاع الشاعر أن يرسم صورة منفرة موحشة يُظهر من خلالها أهمية الحاجة إلى التمسك بالدين والاعتصام به، ويؤكد ذلك.

ومنه قوله:

فيَا أَسَفَا علَىٰ الفُقَراءِ أَمْسَوْا كَمِثْلِ العُودِ جُفِّفَ لِلوَقُودِ[3]

يرثي الشاعر لحال الفقراء الذين يُغبَنون في عملهم بالخدمة لدى الأغنياء حتى يمرضوا، ثم يموتوا أخيرا. وجاء بالكاف الزائدة ليحدد من خلال التشبيه المؤكد معالم صورة حية لهؤلاء المغبونين ومآلهم الذي يؤولون إليه، فهم تماما مثل العود الذي يُحرَم من مواد الحياة الأساسية كالماء ونحوه، حتى يهيَّأ لأن يُلقى به في النار.

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج في ديوانه ص١٠٦، وكذا في المقتضب ٤/ ٤١٨، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٩٥، وتوجيه اللمع ص٢٣٦، وشرح التسهيل ٣/ ١٧٠، وحاشية الخضري ١/ ٤٧٤، وشرح الرضي ٤/ ٣٢٤، وحاشية الصبان ٢/ ٣٣٨. وصدره: (قُبٌّ مِن التَّعداءِ حُقْبٌ في سَوَقْ).

(٢) ديوان الرافعي ٢/ ٢٧.

(٣) ديوان الرافعي ٢/ ٢٠.

وفي تأكيد الشاعر هذا التشبيه ما يرقق القلوب كي تتعاطف مع هؤلاء الفقراء.

ومنه قوله:

فما خَلَقْتَ كمِثْلِ البُغْضِ في امْرَأَةٍ ... يَنالُـها رَجُلٌ يَوْمًا بِطُغْيانِ

ولا خَلَقْتَ كَمِثْلِ الذُّلِّ في رَجُلٍ ... تَسُومُهُ امْرَأَةٌ سُوءًا بِعُدْوانِ(١)

يثير الشاعر في هذين البيتين قضية مهمة من قضايا الأسرة، وهي ضرورة بناء الأسرة على المودة والرضا والاحترام المتبادل بين كل من الرجل والمرأة. وقد استعان بالكاف الزائدة في إبراز تلك القضية؛ ففي البيت الأول يؤكد أنه ما من بغض خلقه الله يشبه البغض في قلب المرأة التي تُكرَه على زوجها، وفي البيت الثاني يؤكد بالأداة نفسها أنه ما من ذل خلقه الله يشبه الذل في نفس الرجل الذي لا توقره زوجه، ولا تقدر له قوامته عليها، بل هي التي تسومه السوء.

ومن خلال هذين التوكيدين يرسل الشاعر رسالة تحذير من تأسيس البيوت على غير تلك الدعائم، أعني المودة والرضا والاحترام، وإلا فما سوى نكد العيش من مصير لتلك البيوت، يقول فيما يلي هذين البيتين مرشحا المعنى السابق:

يـا بـانِيًا بِقُلـُوبِ النـاسِ يَجْـعَـلُها ... قَصْرَ الحياةِ، تَبَصَّرْ أَيُّها البانِي

أَسِّسْ على الحُبِّ لا تُلْقِ القُلوبَ سُدًى ... وضَعْ لِكُلِّ فُؤادٍ شَكْلَهُ الثاني

فلَسْتَ تَبْنِي سِوَى دارٍ إِذَا خَرِبَتْ ... أَرْكانُها خَرِبَتْ مِن كُلِّ عُمْرانِ(٢)

---

(١) حديث القمر ص٨٤.

(٢) حديث القمر ص٨٤.

ومنه قوله:

مَن كَمِثْلِي إِنْ ذَكَرُوا مَنْ سَما بِهِ الأَدَبُ(١)

يمتدح الشاعر نفسه، ويفخر بها في سمو أدبه، وقد وردت الكاف الزائدة لتؤكد نفي التشبيه، وذلك لتحقيق المبالغة في المدح. وقد استفيد معنى النفي من خلال وقوعها في سياق الاستفهام الاستنكاري، وكأن الشاعر يريد استنطاق المخاطبين بالجواب الذي يرضي نفسه.

ومنه قوله: "**وما مثله في حبها إلا كمثل الفراشة لا ترجع عن المصباح إلا أن تخالط ناره**"(٢).

يتحدث الكاتب عن العلاقة بين (الكونت) العجوز وزوجه (لويز) الشابة، وقد استخدم الكاف الزائدة ليؤكد تشبيه حاله مع زوجه بحال الفراشة التي قد تعلم أن في الاقتراب من المصباح حتفها ونهايتها، ومع ذلك تندفع إليه، وتنجذب نحوه، ويقصد الكاتب من خلال ذلك التشبيه الذي أكده أن يبين مصير ذلك الزواج غير المتكافئ بحال، والذي فيه الزوج مدرك لما في استمراره من عواقب غير مُرضية، ومع ذلك لا يراجع نفسه في أن يضع نهاية لتلك العلاقة.

وهكذا تظهر بوضوح أهمية حروف الزيادة وما تمنحه الكلام من توكيد وتوثيق لا يحصلان له إذا استُغني عنها، أو أُسقطت منه.

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ١٣٥.

(٢) كتاب المساكين ص١٣٥.

الباب الثاني: التوكيد بالأسماء والضمائر

وفيه خمسة فصول:

- الفصل الأول: التوكيد المعنوي
- الفصل الثاني: التوكيد بالمفعول المطلق
- الفصل الثالث: التوكيد بالحال المؤكِّدة
- الفصل الرابع: التوكيد بالنعت المؤكِّد
- الفصل الخامس: التوكيد بضمير الفصل

انتظمت تلك الفصول تحت هذا الباب لأن التوكيد المعنوي لايعدو كونه عدة أسماء، يقول ابن جني في اللمع: "والأسماء المؤكَّد بها تسعة: وهي نفسه وعينه وكل وأجمع..."[1]. ولذا فقد اندرج تحت باب التوكيد بالأسماء، وفُصل عن التوكيد اللفظي.

والمفعول المطلق يعبر عنه بالمصدر، والمصادر أسماء.

والحال المؤكِّدة والنعت المؤكِّد أيضًا من الأسماء.

وكذا ضمير الفصل، فالضمائر من الأسماء.

---

(١) اللمع ص١٤١.

الفصل الأول

التوكيد المعنوي

الفصل الأول

(التوكيد المعنوي)

يقسم النحاة التوكيد إلى لفظي ومعنوي[1]. وذهب بعضهم إلى أن "الغرض من ذكره إزالة الاتساع، وذلك أن الاسم قد ينسب إليه الخبر ويراد به غيره مجازا"[2]، وهذا يتفق تماما ورأي ابن جني في أن التوكيد دليل على شيوع المجاز في اللغة العربية. يقول ابن جني: "فوقوع التوكيد في هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها واشتماله عليها، حتى إن أهل العربية أفردوا له بابا لعنايتهم به وكونه مما لا يضاع ولا يهمل مثله، كما أفردوا لكل معنى أهمهم بابًا"[3]. وهو ما نص عليه الأنباري بقوله: "الفائدة في التوكيد التحقيق، وإزالة التجوز في الكلام، لأن من كلامهم المجاز، ألا ترى أنهم يقولون: مررت بزيد، وهم يريدون المرور بمنزله ومحله؟ وجاءني القوم، وهم يريدون بعضهم؟ "[4].

---

(١) انظر الخصائص ٢/ ٣٣١، ٣٣٣، وأسرار العربية ص ٢٥٣، وكشف المشكل ص ١٩٢، ١٩٣، والتخمير ٢/ ٧٧، وسبك المنظوم وفك المختوم ص ١٦٧، والكناش في النحو والتصريف ١/ ١٦٧، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٤٧، وشرح ابن عقيل ٣/ ١٧٠، وشرح التصريح على التوضيح ٢/ ١٣٢، والكواكب الدرية ص٥٥٨، واللغة العربية معناها ومبناها ص٢٠٤.

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٩٤.

(٣) الخصائص ٢/ ٢١٤، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٤٠.

(٤) أسرار العربية ص ٢٥٣.

وذهب الأردبيلي إلى أن الفائدة من التأكيد هي "أمن المتكلم عن فوات المقصود"(١).

ولعل من اللافت للنظر أن النحاة في تصنيفاتهم لا يعقدون بابا في التوكيد إلا للتوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، في حين أن أنواع التوكيد كثيرة ومتنوعة، ولا يستثنى من النحاة إلا القليل، كابن عصفور؛ فقد أدرج التوكيد بالمصدر إضافة إلى التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي تحت باب (التوكيد)، فقال: "التوكيد لفظ يراد به تمكين المعنى في النفس أو إزالة الشك عن الحديث أو المحدَّث عنه. فالذي يراد به تمكين المعنى في النفس التوكيد اللفظي...، والذي يراد به إزالة الشك عن الحديث التأكيد بالمصدر...، والذي يراد به إزالة الشك عن المحدَّث عنه التأكيد بالألفاظ التي يبوب لها في النحو، وهي للواحد المذكر: نفسه وعينه وكله وأجمع... "(٢).

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أهمية هذا النوع من أنواع التوكيد التي كانت سببا في عناية العلماء به عناية خاصة، حتى قصروا عليه باب التوكيد، "ألا ترى التوكيد بإنَّ وبالقسم وبالمفعول المطلق لم يذكر شيء منها في الباب"(٣)، وغير هذا كثير، ذلك لأن التوكيد إنما يأتي للمعاني المرادة، أي التي لها مكانة خاصة لدى المتكلم، وهو ما التفت إليه ابن جني إذ يقول: "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكّنته، واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد"(٤)، فهذا يدل على وعي تام من النحاة بالدور الدلالي الذي يقوم به التوكيد، فهو يقع على المعنى المراد المُعنى بشأنه، فيقويه

(١) شرح الأنموذج ص ٦٨.

(٢) المقرب ص ٣١٦.

(٣) شرح المقدمة الجزولية الكبير ٣/ ٦٧٥، وانظر الكواكب الدرية ص٥٦٢.

(٤) الخصائص ٢/ ٣٣١.

ويمكّنه ويحتاط له، فيدفع عنه التجوّز والاتساع، أو"عدم الإصغاء أو عدم الاعتناء"(١).

وبعد هذه المقدمة، أصرف وجه الحديث إلىٰ التوكيد المعنوي، وهو القسم الثاني من قسمي التوكيد، وقد قدمته علىٰ القسم الأول، أي التوكيد اللفظي، لأنه من باب التوكيد بالأسماء، الذي جاء في الترتيب قبل باب التوكيد بما يصلح فيه الإفراد والتركيب الذي منه التوكيد اللفظي.

والتوكيد المعنوي يعرفه النحاة بأنه تكرير الأول بمعناه بألفاظ مخصوصة، ويأتي علىٰ ضربين(٢):

الأول: للإحاطة والعموم.

الثاني: للتثبيت والتمكين.

فالذي يراد به الإحاطة والعموم هو التوكيد بـ (كل وأجمع) وفروعهما، وفائدة التوكيد بهذا النوع هو رفع ما كان يحتمله اللفظ من إرادة البعضية به(٣)، فيأتي ليؤكد شمول واستغراق جميع أفراد الموضوع.

والذي يراد به التثبيت والتمكين هو التوكيد بـ (النفس والعين) وتثنيتهما وجمعهما، وفائدة التوكيد بهذا النوع هو رفع المجاز عن الذات(٤)، وتأكيد أن نسبة

---

(١) النحو المصفىٰ ص٥٨٧.

(٢) انظر الخصائص ٢/ ٣٣٣، والشرح الكبير ١/ ٢٧٠.

(٣) انظر التوطئة ص٢٠١، وشرح المقدمة الجزولية ٣/ ٦٨٤، وتوجيه اللمع ص٢٦٨، ٢٦٩، والشرح الكبير ١/ ٢٧٠، ٢٧١، وشرح الكافية الشافية ١/ ٥٢٣، وشرح ابن عقيل ٣/ ١٧١.

(٤)انظر التوطئة ص٢٠١، وشرح المقدمة الجزولية ٣/ ٦٨٤، وأوضح المسالك ٣/ ٢٨٠.

الحدث إلى الذات نسبة حقيقية لا مجازية، كما أنه "يرفع توهم مضاف إلى المؤكَّد... وذلك نحو: (جاء زيد نفسه)، فـ (نفسه) توكيد لـ (زيد)، وهو ما يرفع توهم أن يكون التقدير: جاء خبر زيد، أو رسوله، وكذلك: (جاء زيد عينه)"(١).

ويجب اتصال جميع ألفاظ التوكيد بضمير مطابق للمؤكد(٢)، ومنه قول الشاعر:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَحْبَبْتُكِ الحُبَّ كُلَّهُ وزِدْتُكِ حُبًّا لَمْ يَكُنْ قَبْلُ يُعْرَفُ(٣)

وتنفرد (النفس والعين) من بين ألفاظ التوكيد بجواز زيادة الباء فيهما(٤)، نحو قول الشاعر:

هَذا لَعَمْرُكُمُ الصَّغارُ بِعَيْنِهِ لا أُمَّ لِي إِنْ كانَ ذاكَ ولا أَبُ(٥)

ومما ورد من التوكيد المعنوي بلفظ (كل) في أدب الرافعي قوله: "وأما بعد: فكأنما أفرط علي القلم فيما كتبتُ عن الحب؛ فإنه يخيل إلي الساعة أن روح شيخنا الجليل تريد أن تغسل هذا الكتاب كله، وتدعه ورقا أبيض"(٦).

يريد الكاتب أن يعبر عن شعور بعدم الرضا عما خطه عن الحب وما يتصل به من معانيه وأوصافه، وجاء هذا بعد أن انتهى من وصف الشيخ محمد عبده، ثم دهمته فجأة من فجآت المرض، فكسرت حدة نفسه، وهيأته تهيئة جديدة لكلام جديد، كما يقول.

---

(١) شرح ابن عقيل ٣/ ١٧٠.
(٢) انظر أوضح المسالك ٣/ ٢٨١، وشرح ابن عقيل ٣/ ١٧١، والكواكب الدرية ص٥٦٣.
(٣) البيت بلا نسبة في الخصائص ٢/ ٢١٢.
(٤) انظر شرح الرضي ٢/ ٣٦١، والجنى الداني ص٥٥، والكواكب الدرية ص٥٦٥.
(٥) هذا البيت لضمرة بن ضمرة، رجل من مذحج، في الكتاب ٢/ ٢٩٢، والمقتضب ٤/ ٣٧١، وشرح التصريح على التوضيح ١/ ٣٤٥، وهمع الهوامع ٥/ ٢٨٨ برواية (هذا وجَدِّكم)، وكذا في الدرر اللوامع ٦/ ١٧٥، وخزانة الأدب ٢/ ٣٨، ٤٠.
(٦) السحاب الأحمر ص١٣٥.

وقد أتي بالتوكيد المعنوي (كله) ليفيد تأكيد شمول واستغراق جميع الأفكار والمعاني التي ذُكرت في هذا الكتاب دون استثناء لشيء منها، ولو يسيرا. وواضح أن هذا انعكاس طبيعي لما في نفس الكاتب من مشاعر الانكسار التي جلبها له المرض، وقد ظهر أثر ذلك حين كان فصل: (الشيخ محمد عبده) هو ختام لكتاب (السحاب الأحمر) الذي لم يخط فيه فصلا بعده.

ومنه قوله: "**فواها لك يا شعر الشعراء، أنت النقص كله مع لذات الدنيا، وأنت الكمال كله مع آلامها**"(١).

يرى الكاتب من وجهة نظره أن الشعر يكون نقصا وضعفا ولينا في حال اللذة والسرور، ويكون كمالا وقوة وجزالة في حال الألم والهموم، وذلك على أساس أن الألم يذكي قريحة الشاعر، ويلهب مشاعره، ويحرك وجدانه بعنف، فيخرج منه أجود نتاجه الشعري، وأن السرور ترق معه نفس الشاعر، فيخرج شعره لينا رقيقا.

ولإيمان الكاتب برأيه هذا ويقينه به، أتى بلفظ (كله) ليحيط بالمعنى إحاطة تامة، ولا يدع مجالا لتطرق المجاز إليه، ولو أنه لم يأت بهذا التوكيد لربما فُهم أنه قد أطلق لفظي النقص والكمال، وأراد بعض الشيء منهما، في حين أن ورود التوكيد قد أثبت بالقطع إرادة تمام النقص وتمام الكمال، وهذا بالطبع يعطي الكلام قوة، والفكرة المراد إثباتها دعما.

ومنه قوله: "**نوائب الأسرة كلها قد يسترها البيت إلا عار المرأة ... والعار حكم ينفذه المجتمع كله، فهو نفي من الاحترام الإنساني**"(٢).

---

(١) رسائل الأحزان ص٦٣.

(٢) من وحي القلم ١/ ٢٣٦.

الكاتب هنا مهموم بأمر المرأة الشرقية، وتحذيرها من كل ما يسوؤها، يقول في بداية حديثه: "**وقد أجمعت أن أضع كلمة للمرأة الشرقية فيما تحاذره أو تتوجس منه الشر**"[١]. وهو يريد أن يمكّن في نفسها هوان كل نوائب البيت، واستطاعة سترها، والإغضاء عنها، ما عدا نائبة العار، واقتراف الرذيلة. ومبالغة منه في الحرص عليها وعلى كيان الأسرة أتى بالتوكيد المعنوي (كلها) ليصغر في عينها كل نوائب الأسرة، ثم يهوّل ما استثنى من ذلك الكل، وهو عارها. كما أنه يبالغ في تحذيرها وإخافتها من العاقبة، فيؤكد لها أن المجتمع (كله) شاملا كل أفراده على اختلاف ثقافتهم وفئاتهم وطبقاتهم يشتركون في محاكمة المرأة التي تقترف ذلك الإثم.

ومنه قوله:"**خرجنا كلانا بالحب والجمال من حد الإنسان إلى حد العالم، وتحولنا كلانا بالهوى من حالة شخص إلى حالة عقل**"[٢].

يبين الكاتب سموه هو وحبيبته بحبهما، وارتقائهما به عن الذاتية والمادية. وجاء التوكيد المعنوي (كلانا) ليؤكد تشاركهما معا في هذا التسامي وذلك الارتقاء، ويدفع الظن بأنه يتحدث عن نفسه تجوُّزا بضمير الجمع (نا) في قوله: (خرجنا)، فأتى لذلك بما ينص صراحة على دخولها معه في هذا الإطار، وفي هذا أيضًا إعلاء من قدرها، وبيان مدى التوافق بينهما في المنحى والمسار.

وما ورد من التوكيد المعنوي بلفظ (أجمع)، قوله:

مَلَكَ البَيَانَ ومَنْ غَدَا في أَهْلِهِ ... فَذَّ المَشارِقِ والمَغارِبِ أَجْمَعَا[٣]

(١) السابق ١/ ٢٣٢.

(٢) أوراق الورد ص٣٩.

(٣) ديوان الرافعي ١/ ٤٣.

جاء هذا البيت ضمن أبيات يمدح بها الشاعر الشيخ عبدالمحسن الكاظمي (شاعر العصر). وسياق المدح من السياقات التي يكثر فيها المبالغة والتهويل، ولذلك نجد الشاعر هنا لم يكتف بأن جعل ممدوحه فذ المشارق والمغارب (بصيغة الجمع) حتىٰ أتىٰ بالتوكيد المعنوي (أجمع) الذي يفيد الإحاطة والشمول، وما ذاك إلا مبالغة منه في مدح الممدوح.

ومنه قوله:

رَبِّ بارِكْ في بَنِيَّ أَجْمَعِينْ ... وكُنِ اللَّهُمَّ لِي خَيْرَ مُعِينْ(١)

ورد هذا الدعاء علىٰ لسان فلاح يشاركه أولاده في العمل، ويبين الشاعر من خلال التوكيد المعنوي (أجمعين) مدىٰ رحمة هذا الفلاح الأب وعدله في أولاده؛ فهو يشملهم جميعًا بالدعاء مؤكدا بذلك أنه لا يستثني أحدا، ولا يفرق بينهم، فحبه ودعاؤه قسمة بينهم.

ومنه قوله: "**ومِنْ ثَمَّ يكون اختلاف كل عاشق مع الناس أجمعين في تقدير الجمال الذي يعشقه واعتباره**"(٢).

يأتي الكاتب بالتوكيد المعنوي (أجمعين) ليبين عمق الاختلاف بين العاشق وغيره من الناس حول تقدير الجمال المعشوق؛ إذ التقدير ثمة لا يكون "**بعينه ولا بعقله، ولكن بقلبه**"(٣). وإذا كان الأمر متصلا بالقلب فلا غرابة حينئذ في هذا الاختلاف الكبير. وفي لفظ (أجمعين) ما يؤكد الشمول لكل الناس، ويرفع احتمال إرادة

---

(١) ديوان الرافعي ٣/ ١٤١.

(٢) رسائل الأحزان ص٨٥.

(٣) السابق ص٨٥.

الخصوص بلفظ العموم، مما يبرز بصورة واضحة حجم ذلك الاختلاف؛ إذ إنه ليس مع بعض الناس، أو حتىٰ معظمهم، بل مع جميعهم.

وبما ورد من التوكيد المعنوي بلفظ (جمعاء) قوله: "ولا يغدو ابن المدير إلىٰ مدرسته، ولا يتروح منها إلا وراءه جندي يمشي علىٰ أثره ....، تفصح شارته العسكرية بلغات السابلة جمعاء أن هذا هو ابن المدير، فإذا رآه العربي أو اليوناني أو الطلياني أو الفرنسي أو الإنجليزي أو كائن من كان من أهل الألسنة المتنافرة التي لا يفهم لسان منها علىٰ لسان فهموا جميعًا من هذه الشارة أن هذا هو ابن المدير ..."[1].

يؤكد الكاتب من خلال التوكيد المعنوي (جمعاء) أن كل لغة من اللغات تصرخ معلنة أن هذا الطفل الذي يسير خلفه هذا الجندي هو ابن المدير، كما يؤكد من خلال الحال (جميعًا) أن ذلك الأمر من الوضوح بمكان بحيث إنه لا يخفىٰ علىٰ أحد من الناس أيا ما كان جنسه أو لسانه.

ويرمي الكاتب من وراء توكيده إلىٰ إظهار مفسدة عظيمة من مفاسد الغنىٰ، وهي غرور النعمة، ويصب نقده غير المباشر علىٰ إحدىٰ صور تلك المفسدة التي يبرز فيها طفل يحرسه من خلفه جندي من جنود الدولة، وما كان لهذا الطفل أن يبلغ ذلك الشرف إلا أنه (ابن المدير) وحسب.

ومن الواضح أنها صورة منفرة تسترعي الانتباه، وتستلفت النظر، مما حدا الكاتب علىٰ استخدام التوكيد في تصويرها ليتسنىٰ له إظهار مفاسدها وسوءاتها.

---

(١) من وحي القلم ١/ ٥٨.

ومما ورد من التوكيد المعنوي بلفظ (النفس)

قوله:"ولست أصدق أن ملحدا يعمل لخير الناس ابتغاء الخير نفسه"[١].

يشكك الكاتب في نوايا عمل الملحد الخير للناس، وجاء التوكيد المعنوي (نفسه) ليؤكد هذا الشك، ويقرر نفي احتمال إرادة الملحد الخير خالصا لذاته من دون أي شيء، بل "**يريد به الرجل برهانا على صحة إلحاده الإنساني، يخدع به من يقدم له الخير، أو من يراه وهو يقدمه**"[٢]. ولو أنه اكتفى بذكر (الخير) دون توكيد بـ (نفسه) لربما تُوهم أن الملحد يعمل ابتغاء الخير، وابتغاء أشياء أخرى معه، وهذا خلاف مراد الكاتب الذي يريد أن يكشف فساد نية هذا الملحد، وأن إرادة الخير ليست واردة من الأصل هنا.

ومنه قوله: "وعلة شقائه هي نفسها علة سروره بشعره"[٣].

يتحدث الكاتب عن الشاعر الملهم، ويقرر أن سبب شقائه هو سبب سروره. وفي ذكر التوكيد المعنوي (نفسها) تمكين لهذا المعنى الذي يتطلب توكيدا وتثبيتا لما يكتنفه من الغرابة؛ إذ كيف تلتقي علة الشقاء وعلة السرور معا في آن واحد، وهما على قطبي نقيض؟!. ولكن الكاتب قصد ذلك المعنى، وأتى بما يمكّنه في نفس المخاطب، ويدفع به ظن المجاز عنه.

ومما ورد من التوكيد المعنوي بلفظ (العين)، قوله:

"قالت: أفليس في الحب إلا الخوف؟ قلتُ: فيه الرجاء، ولكنه هو الخوف بعينه"[٤].

---

(١) حديث القمر ص٤١.

(٢) السابق ص٤١.

(٣) رسائل الأحزان ص٦٣.

(٤) رسائل الأحزان ص٧٧.

لقد أفرط الكاتب في حديثه عن الخوف في الحب، حتى تساءلت حبيبته مستنكرة: (أفليس في الحب إلا الخوف؟) فكان جوابه لها أن فيه الرجاء، ثم استدرك بأن هذا الرجاء هو الخوف، ولغرابة هذا الجواب– من أن الرجاء هو الخوف، في حين أنهما ضدان– جاء بالتوكيد المعنوي (بعينه) ليدفع الظن بأنه أراد الخوف بمعنى مجازي، وليس بمعناه الحقيقي، أو أنه أراد مضافا إلى الخوف، كما أنه بذلك يحاول أن يرسّخ ذلك المعنى في نفسها، كما ترسخ في نفسه. ولرغبته في زيادة التوكيد زاد الباء على (عينه)، وما كان ذلك كله إلا تعبيرا عن إيمان عميق بالفكرة التي يحدّث بها.

ومنه قوله: "**حتى دلال المرأة التي تحبها فهو بعينه لو حققت هو معنى ظريف رقيق من .. من .. من وقاحتها ...**"[1].

يرى الكاتب أن القبح أصل كامن في الجمال، "**فليس من جمال إلا وبعض مادته في أصلها من القبح**"[2]، ثم يطبق هذا الرأي على المرأة مؤكدا أن أجمل ما فيها- وهو دلالها- هو أقبح ما فيها، وقد أتى بالتوكيد المعنوي (بعينه) ليرفع به احتمال أي تجوّز في الكلام، وذلك لأن المعنى الذي ذكر ليس جليا تماما، لذلك قال: (لو حققتَ)، فالأمر يحتاج إلى تحقيق وتدقيق. ولدعم التوكيد والتثبيث أتى بلفظ التوكيد (عينه) مزيدا بالباء.

ويلاحظ أنه مع الاشتراك في الدلالة بين لفظي التوكيد المعنوي: النفس والعين، من رفع المجاز عن الذات[3]، فإن الرافعي المبدع كان يراوح بينهما في استخدامه، ولا

---

(١) أوراق الورد ص٢١٢.

(٢) السابق ص٢١٢.

(٣) انظر التوطئة ص٢٠١، وشرح المقدمة الجزولية ٣/ ٦٨٤، وأوضح المسالك ٣/ ٢٨٠.

تفسير لاختياره أحدهما دون الآخر في سياق بعينه إلا التسليم بأن "الكلمات قد تتقارب من حيث المعنى، ولكن بعضها أدل على إحساس الشاعر من بعض، والشاعر الموفق هو الذي يهتدي إلى الكلمة التي تكون شديدة الإبانة عما يريد"[١].

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب ص٤٥٢.

الفصل الثاني

التوكيد بالمفعول المطلق

الفصل الثاني

(التوكيد بالمفعول المطلق)

يعبر عنه النحاة بالمصدر[1]. وهو عِوض عن تكرار الفعل مرتين[2].

ويأتي المفعول المطلق في الكلام لواحد من ثلاثة أغراض؛ وذلك لأنه فضلة، ولا بد للفضلة من فائدة[3]:

الأول: توكيد معنىٰ عامله.

الثاني: بيان نوع عامله.

الثالث: بيان عدد مرات وقوع عامله.

وقبل تفصيل الكلام في كل نوع، وذكر النماذج له، تجدر الإشارة إلىٰ شيء مهم، هو أن كلا من المصدرين: المبين للنوع، والدال علىٰ العدد يدل أيضًا علىٰ التوكيد، زيادة علىٰ ما تدل عليه صورته، إلا أن النحاة نظروا إلىٰ الصورة، فأعطوا الاسم الذي تدل عليه الصورة، ولم ينظروا إلىٰ دلالته علىٰ التوكيد؛ لأنه أمر عام يكون فيه وفي غيره، ولما كان المصدر المؤكد لعامله لا يدل علىٰ غير التوكيد خصوه بذلك[4].

---

(١) انظر الأصول لابن السراج ١/ ١٥٩، واللمع ص١٠١، والتخمير ١/ ٢٩٦، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ١٠٩، وشرح المقرب (المنصوبات) ١/ ٣٨٥، والشرح الكبير ١/ ٣٣٢، وارتشاف الضرب ٣/ ١٣٥٣، وحاشية الصبان ٢/ ١٥٩، وشرح الكافية الشافية ١/ ٢٩٣، وحاشية الخضري ١/ ٣٧٥، وشرح شذور الذهب ص٢٥٢.

(٢) البلاغة العربية ٢/ ١١٠.

(٣) انظر توجيه اللمع ص١٦٧.

(٤) انظر أوضح المسالك ٢/ ١٧٤، وشرح التصريح١/ ٤٩٠، والنحو الوافي ٢/ ١٠٧: ١٠٩.

الأول: توكيد معنىٰ عامله[١]

"وذلك حاصل بذكر المصدر وحده"[٢]"منكرا غير مضاف ولا موصوف"[٣]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[٤]. وقد ذكر الدكتور تمام حسان أن التحديد والتوكيد القرينة المعنوية الدالة علىٰ المفعول المطلق."والمقصود بالتحديد والتوكيد تعزيز المعنىٰ الذي يفيده الحدث في الفعل، وذلك بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته؛ لأن المصدر هو اسم الحدث، ففي إيراده بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنىٰ الفعل، وتكون التقوية بواسطة ذكره مفردا منونا علىٰ سبيل التأكيد ..."[٥]. وفي هذا النص إيضاح لسبب إفادة المفعول المطلق التوكيد.

وما ورد في أدب الرافعي من المفعول المطلق المؤكد للعامل

قوله:

لَمْ أَكَدْ أَعْرِفُ الصَّبابَةَ حَتَّىٰ ... بَرَّحَتْ بي هُمُومُها تَبْرِيحًا[٦]

---

(١) انظر الكتاب ١/ ٢٣١، والأصول لابن السراج ١/ ١٦٠، واللمع ص١٠١، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٦٢، وشرح الأنموذج ص٤١، وشرح الرضي ١/ ٢٩٨، والإرشاد إلىٰ علم الإعراب ص٩٢، وشرح شذور الذهب ص٢٥٣، وأوضح المسالك ٢/ ١٧٣، وحاشية الصبان ٢/ ١٦٤.

(٢) توجيه اللمع ص١٦٧.

(٣) أوضح المسالك ٢/ ١٧٣.

(٤) النساء: ٦٥.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها ص١٩٨.

(٦) ديوان الرافعي ١/ ٨١.

يتحدث الشاعر عن محصلته في الحب، فيؤكد من خلال المفعول المطلق (تبريحا) فعل هموم الصبابة به، تلك الهموم التي كانت سببا قويا مؤثرا في جلب المعرفة الحقة للصبابة، فمن ذاق عرف. وقد تضمن التعبير بالمفعول المطلق هنا شكوىٰ من آلام الحب وتباريحه، ولكنها شكوىٰ من طرف خفي، كما أنه رفع توهم المجاز في الفعل، وهو من الفوائد التي تذكر للتوكيد بالمفعول المطلق(١).

ومنه قوله:

حَنانًا بِمَنْ لا يَنْشُرُ البَدْرُ ضَوءَهُ عَلَيْهِ ولا يَأْتي حِماهُ نَسِيمُ(٢)

يلتمس الشاعر الحنان والرحمة ممن يكابد الليل في هواه، وقد أتىٰ بالمفعول المطلق (حنانا) تأكيدا لهذا الالتماس، ويلاحظ أنه قد حذف الفعل (حنّ)، واتجه مباشرة إلىٰ ذكر المصدر مُصدّرا به البيت، ويمكن أن يُستنبَط من هذا الحذف دلالتان: الأولىٰ أن الشاعر من سوء حاله: (لا ينشر البدر ضوءه عليه، ولا يأتي حماه نسيم) قد ذُهِل عن كل كلام سوىٰ ما يعبر عن حاجته، فأول ما نطق به لسانه هو: (حنانا). والثانية أنه ربما أراد أن يتجنب ذكر الفعل لأنه علىٰ صيغة الأمر (حنّ)، وهو الذي في موضع لا يسمح له بأن يأمر أو ينهىٰ، بل يطلب، ويجمل في الطلب.

ومنه قوله: "**وإنها لتمشي وكأنْ ليس فيها دم ينتهي إلىٰ قدميها، فهي تجرهما جرا، وتقتلعها بين الخطوة والخطوة**"(٣).

(١) انظر البلاغة العربية ص١١٠.

(٢) ديوان النظرات ١/ ٧٨.

(٣) كتاب المساكين ص ٦٥.

يصف الكاتب فتاة مسكينة بلغ بها الفقر مداه، وقد أتى بالمفعول المطلق (جرًّا) توكيدا لضعفها الشديد، وخور قواها نتيجة لفقرها المدقع. وكان يكفي لإيصال المعنى أن يقول: (تجرهما)، ولكن في مجيء المفعول المطلق- إضافة إلى التوكيد- إسهام كبير في رسم صورة واضحة لحال تلك الفتاة، وكأنها ماثلة للعيان، كما أن فيه إثارة لمشاعر الشفقة والرقة لدى المتلقي إزاء تلك المسكينة.

ومنه قوله: **"ثم رمَت بعينها إلى السماء، وانحرفت تواجه تلك السيدة، فما تبيّنَتها هذه، وألـمّت بها في نفسها حتى انقبضت عنها... غير أن الفتاة ملأت عليها الطريق بحركاتها، فكانت وجهها كيفما أمّت أو انحرفت يمنة أو يسرة، وكأنها تطاردها مطاردة"**[1].

الحديث هنا موصول عن الفتاة المسكينة، وجاء المفعول المطلق (مطاردة) مؤكدا ملاحقة الفتاة السيدةَ الغنية، وإلحاحها الشديد عليها بطلب الإحسان، كما أكد المفعول المطلق من جانب آخر حرص الفتاة على الحياة، ذلك الحرص الذي دفعها إلى (مطاردة) تلك السيدة باعتبارها أملا يمكنها أن تستمد منه أنفاس الحياة.

وقد عد ابن جني المصدر المؤكد من قبيل التوكيد اللفظي، وعده آخرون من التوكيد المعنوي لإزالة الشك عن الحدث، ورفع توهّم المجاز، وعليه الآمدي[2]،

(١) كتاب المساكين ص ٦٥.

(٢) انظر همع الهوامع ٣/ ٩٦.

والأبذي[١]. ولذا لا يثنىٰ ولا يجمع باتفاق؛ لأنه بمنزلة تكرير الفعل، والفعل لا يثنىٰ ولا يجمع، فكذلك ما هو بمنزلته[٢].

ومع عدم المساس بآراء هؤلاء العلماء العظام فإني أرىٰ أن المفعول المطلق مبحث مستقل بذاته بين مباحث علم النحو وأبوابه، وأنه يتميز بأشياء تفترق به عن كل من التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي. ولا أريد أن أطيل الكلام هنا، وقد وردت بهذا المصنف دراسة خاصة لكل مبحث من المباحث الثلاثة بما يُظهر بوضوح الفرق بين كل منها.

الثاني: بيان نوع عامله[٣]

وذلك حاصل بذكر المصدر موصوفا[٤]، كقوله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[٥]، أو مضافا[٦]، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٧].

(١) انظر حاشية الشيخ ياسين بشرح التصريح ١/ ٣٢٣.

(٢) انظر شرح الكافية الشافية ١/ ٢٩٤، وشرح التسهيل ٢/ ١٨٠، وشرح الرضي ١/٢٩٨، والبسيط ١/ ٤٧٢، وحاشية الصبان ٢/ ١٦٨.

(٣) انظر الكتاب ١/ ٢٣١، والأصول لابن السراج ١/ ١٦٠، واللمع ص١٠١، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٦٢، وشرح الأنموذج ص٤١، وشرح الرضي ١/ ٢٩٨، والإرشاد إلىٰ علم الإعراب ص٩٢، وشرح شذور الذهب ص٢٥٣، وأوضح المسالك ٢/ ١٧٣، وحاشية الصبان ٢/ ١٦٤.

(٤) انظر توجيه اللمع ص١٦٨.

(٥) البقرة: ٢٤٥.

(٦) انظر شرح شذور الذهب ص٢٥٣.

(٧) القمر: ٤٢.

وقد ورد المفعول المطلق المبين للنوع بصورة واضحة في أدب الرافعي، ومن ذلك قوله:

فقُمْتُ قِيامَ اللَّيْثِ فارَقَ غِيلَهُ وقَدْ حُطِّمَتْ أَنْيابُهُ ومَخالِبُهْ(١)

يبين الشاعر حالته أمام غادة صادفها في الترام، مستعينا بالمفعول المطلق (قيام الليث فارق غيله ...)، ليؤكد من خلاله تمام استسلامه أمام جمال تلك الغادة، وعدم قدرته علىٰ المقاومة، بله الهجوم. وقد أفاد غرضَه مجيءُ المفعول المطلق مبينا للنوع، فقيامه نحوها كان قيام ليث فارق عرينه الذي هو موطن عزته ومنعته، ليس هذا فحسب، بل وقد فقد كل مقومات قوته من الأنياب والمخالب!.

وفي هذه الصورة تأكيد لمنتهىٰ الضعف، وفقدان القوة والقدرة معا، وهي الحالة عينها التي عليها الشاعر.

وليس بخاف فضل (المبين للنوع) في التوكيد والبيان، وعدم سد (المؤكد للعامل) مسده في إيفاء الغرض المراد توصيله.

ومنه قوله:

راحَ بِنَوْمِي واضْطِرارِي مَعًا يَتِيهُ تِيهَ المَلِكِ الظَّافِرِ(٢)

جاء المفعول المطلق (تيه الملك الظافر) ليؤكد الشاعر من خلاله شعور النشوة والخيلاء لدىٰ المحب بأن استطاع أن يُطير النوم من عينه، والصبر من فؤاده.

وإمعانا في البيان، أورد الشاعر المفعول المطلق مبينا للنوع عن طريق الإضافة المميزة (تيه الملك)، وكان لذلك دور بارز في توضيح المعنىٰ، وتعميق الشعور الذي

(١) ديوان الرافعي ١/ ١١٦.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ١٠٠.

يحس به؛ إذ لا يفوق (تيه الملك الظافر) تيه، ولا يعادله. ولو أنه أتى في صورة المؤكد للفعل، كنحو: (يتيه تيها) لكان التعبير قاصرا عما هو عليه الآن.

ومنه قوله:

تَتَرَامَىٰ بِنَا رِيَاحُ الرَّزَايَا ... كُلَّ يَوْمٍ تَرَامِيَ العَنْكَبُوتِ(١)

جاء البيت في سياق الحديث عن عدم الاكتراث بالنوائب والحادثات، فقد أُلفت، ولم يعد لها خطر يبالى به.

والشاعر هنا يؤكد تتابع المصائب وازديادها عن طريق المفعول المطلق المبين للنوع (ترامي العنكبوت)، وكان لهذه الإضافة فضل توكيد، ومزية بيان، إذ إن من المعلوم عن العنكبوت سرعة تتابعه، وازدياد خيوطه ونسجه بشكل ربما لم يشاركه فيه مخلوق غيره.

ومنه قوله:

ويا نَفَحَاتِ الصَّباحِ احْمِلِي ... بِجَيْبِ الصَّبَا نَفَحاتِ السَّلامْ
ومُرِّي بِتِلْكَ الدِّيَارِ التِي ... بَكَيْتُ عَلَيْهَا بُكاءَ الغَمامْ(٢)

يؤكد الشاعر كثرة بكائه علىٰ ديار المحبوبة، فيأتي بالمفعول المطلق (بكاء الغمام) مبينا للنوع؛ لأنه أدل تعبيرا عن الكثرة، وقد استفيد ذلك من الإضافة إلىٰ (الغمام).

ومنه قوله: "**ولو أن الله مكنها من لغة كتابه الكريم لغُصّ منها في هذا الشرق العربي كل كاتب وكاتبة غُصة لا تُساغ، ولا تُتنفس**"(٣).

(١) السابق ١/ ١٢٤.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ٩٨.

(٣) رسائل الأحزان ص٦٥.

جاء المفعول المطلق (غصة لا تساغ) ليؤكد الكاتب من خلاله بلاغة حبيبته العالية التي لا تدانى فيها، وأنها لو مُكّنت من اللغة العربية لنفِس عليها كتاب المشرق العربي وكاتباته. وقد لجأ الكاتب إلى التوكيد لأنه بصدد الرد على اتهامه بالمبالغة ومجاوزة الحد في وصف تلك الكاتبة اللبنانية. ونلحظ زيادة في التوكيد من خلال مجيء المفعول المطلق مبينا للنوع عن طريق الصفة، فلم يكتف بذكر المصدر (غصة) حتى نعته بـ (لا تساغ ولا تتنفس)، وفي تضخيم حجم هذه الغصة ما يشير إلى درجة بلاغة الكاتبة، كما يشير إلى حجم الأمر في نفس الكاتب، مما جعله يسلك ذلك المسلك من التوكيد.

ومنه قوله: "ومرَّ هذا الكونت في فلسفته يمضغها مضغ الماء"[1].

يؤكد الكاتب من خلال المفعول المطلق (مضغ الماء) تشرّب الكونت رأيه في المرأة، وفلسفته في الزواج.

وفي اختيار الكاتب المفعول المطلق مبينا للنوع دلالته العميقة؛ إذ في إضافته المصدر إلى (الماء) الذي ليس من شأنه المضغ ما يبين ويؤكد اقتناعه التام بفكرته تلك، واستساغته لها استساغة كاملة كاستساغة الماء في الحلق، واستعذابه.

وبعد استعراض تلك النماذج وتحليلها، يلاحظ بوضوح كثرة استخدام الرافعي المفعول المطلق المبين للنوع، إذ إن له مزية وفضلا على المؤكد للعامل؛ لأنه إلى جانب إفادته التوكيد يسهم بصورة واضحة في بيان المعنى المراد توكيده، سواء من خلال الوصف أم من خلال الإضافة.

(١) كتاب المساكين ص١١٠.

الثالث: بيان عدد مرات وقوع عامله[(١)]

وذلك في ثلاث صور[(٢)]:

١- أن يكون مصدرا مختوما بتاء الوحدة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[(٣)].

٢- أن يكون مصدرا مختوما بعلامة تثنية أو علامة جمع، نحو قولك: (ضربته ضربتين)، أو قولك: (ضربته ضربات).

٣- أن يكون المفعول المطلق اسم عدد مميزا بمصدر، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾[(٤)].

ومما ورد من المفعول المطلق المبين للعدد، قول الرافعي:

"وضربَت الحياةُ ضربة أو ضربتين، فإذا أبنية الخيال كلها هدم هدم"[(٥)].

يناقش الكاتب مشكلة شاب قد غلّب اختياره الزواج بحبيبته على رضا أهله عنها؛ إذ إنهم يرون بأعينهم ما لا يرى بعينه. وقد جاء المفعول المطلق مبينا للعدد ليؤكد من خلاله سهولة انهيار تلك الزيجة التي كان الخيال بناءها، وذلك بـ (ضربة

(١) انظر الكتاب ١/ ٣٥، والأصول لابن السراج ١/ ١٦٠، واللمع ص١٠١، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٦٢، وشرح الأنموذج ص٤١، وشرح الرضي ١/ ٢٩٨، ٣٠٠، والإرشاد إلى علم الإعراب ص٩٢، وشرح شذور الذهب ص٢٣٥، وأوضح المسالك ٢/ ١٧٣، وحاشية الصبان ٢/ ١٦٤.

(٢) انظر توجيه اللمع ص١٦٨، وأوضح المسالك ٢/ ١٧٤.

(٣) الحاقة: ١٣.

(٤) النور: ٤.

(٥) من وحي القلم ١/ ٣٠٧.

أو ضربتين) فحسب، فالعدد هنا يكشف عن أن الأمر لا يحتاج إلىٰ أكثر من هذا حتىٰ يتقوض هذا البناء القائم بَدِيًّا علىٰ جرف هار، وهذا ما يدل بدوره علىٰ هشاشة تلك العلاقة التي لم تكد تثبت أمام (ضربة أو ضربتين) من ضربات الحياة، فما بني علىٰ غير أساس فالانهيار أولىٰ به، في حين أن العلاقة الأسرية المتينة لا تؤثر فيها ضربات الحياة، بل تقويها، وتشد عودها.

ومنه قوله: "ستموتين أربعة آلاف ميتة"(١).

جاء المفعول المطلق مبينا للعدد في (أربعة آلاف ميتة) ليؤكد من خلال هذا العدد الهائل جزع تلك المرأة الشديد.وللعدد هنا دلالته الواضحة، فوروده لم يكن عبثا في الكلام، إذ إنه شف لنا عن مدىٰ الفزع والهلع الذي تملّك قلب المرأة، حتىٰ جعلها تصورت أن كل مقاتل في الجيش ملك موت سيزهق روحها، ويذيقها من العذاب قبل أن تموت الموت الحق.

وما كان لهذه الدلالة أن تظهر دون مجيء المفعول المطلق مبينا للعدد؛ إذ تركزت الدلالة جلها حول العدد ومعطياته.

ومنه قوله: "فنظَرَتْ إليَّ نظرة لن أنساها"(٢).

يتحدث الكاتب عن واحدة من نساء المسرح الذي يقام ليلا علىٰ شاطئ البحر، وقد حاولت جهدها لفت انتباهه، فما كان جوابه إياها إلا أن نظر إليها نظرة قد فعلت فعلها فيها.

---

(١) من وحي القلم ١/ ١٣. ورد هذا الكلام علىٰ لسان مارية وصيفة ابنة المقوقس، حين نزل عمرو بن العاص بجيشه علىٰ بلبيس، وكان عدد الجنود أربعة آلاف رجل.

(٢) من وحي القلم ١/ ٢٤٢.

وقد أتىٰ بالمفعول المطلق المبين للعدد (نظرة) الدال علىٰ الوحدة في قوله: (فنظرَتْ إلي نظرة...)، ليؤكد أنها لم تحتجْ أكثر من (نظرة) واحدة لإيصال المعنىٰ الذي ألمَّ بنفسها إليه، وبالفعل قد أدت النظرة الدور المنوط بها، فنفذت إلىٰ قلب الكاتب، وطُبعت في وجدانه، حتىٰ إنه لن ينساها.

ومن نافلة القول أن أذكر أن تلك النظرة المؤثرة قد جاءت بعد أن أسمعها الكاتب كلاما قاسيا لاذعا، فكأنها جاءت ردا علىٰ كلامه هذا.

ومن المفعول المطلق ما جاء علىٰ صورة **المثنىٰ المضاف** لقصد التكرير، نحو: حنانيك، ولبيك، وسعديك، ودواليك[١].

ومنه قول طرفة بن العبد:

أَبَا مُنْذِرٍ! أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنانَيْكَ! بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ[٢]

وقد ذكر سيبويه أن هذه الصورة يراد بها التوكيد[٣]، وقال: "وكأن هذه التثنية أشد توكيدا"[٤].

ومما ورد من ذلك في أدب الرافعي:

(حنانيك)، وقد ذكر الخوارزمي في معناه:"الحنان: هو الرحمة، يقال: حن عليه حنانا، وقولهم: حنانيك معناه: رحمة بعد رحمة"[٥].

---

(١) انظر المقدمة الجزولية ص٢٧٦.

(٢) البيت في ديوانه ص٦٦.

(٣) انظر الكتاب ١/ ٣٤٨، ٣٤٩، والتخمير ١/ ٣٠٩، ٣١٠، وشرح الرضي ١/ ٣٢٩، والإرشاد إلىٰ علم الإعراب ص٣٩، وارتشاف الضرب ٣/ ١٣٦٣، وهمع الهوامع ٣/ ١٠٩.

(٤) الكتاب ١/ ٣٥٠.

(٥) التخمير ١/ ٣٠٩.

ومنه قول الرافعي:

فَيَا بَارِئَ الدُّنْيَا حَنَانَيْكَ إِنَّما طَغَى الناسُ جَهْلًا بِالذِي كُنْتَ تَشْرَعُ(١)

وقوله:

حَنَانَيْكَ يا رَبَّ الضِّعافِ فَهُمْ كَمَا تَحَمَّلَ قَيْدَ الأَرْجُلِ الضَّخْمَ أُضْبُعُ(٢)

وقوله:

حَنَانَيْكَ يا رَبَّاهُ كَمْ باتَ سَيِّدٌ يَمُدُّ يَدَيْهِ يَسْأَلُ النَّاسَ مَطْعَمَا(٣)

استعان الشاعر بالمفعول المطلق (حنانيك) بصيغة المثنى لتوكيد طلب الرحمة، وقد جاء مناسبا للسياقات الثلاثة التي ورد بها، إذ يجمع بينهما جامع، فالشاعر يتحدث في البيتين الأول والثاني عن الحرب وويلاتها وأثرها على الناس، لا سيما الضعاف منهم، وفي البيت الثالث يتحدث عن حريق ميت غمر، ونتائجه المروعة، وما ألمّ بالخلق من جرائه.

ومن الواضح تماما أنها مواطن يجمل فيها طلب الرحمة والإلحاح فيه وتوكيده. كما يلاحظ توجه الشاعر بطلب تلك الرحمة إلى الله– عز وجل– الذي كتب على نفسه الرحمة، وذلك في قوله:

فيا بارئ الدنيا حنانيك

حنانيك يا رب الضعاف

حنانيك يا رباه

---

(١) ديوان الرافعي ٢/ ٢١.

(٢) ديوان الرافعي ٢/ ٢٢.

(٣) السابق ١/ ٦٥.

وقد أحسن الشاعر وأصاب في توجهه ذاك.

وورد أيضًا (لبيك)، قيل معناها: "أي أنا مقيم على طاعتك، وكان حقه أن يقول: لبًّا لك، وثنّى على التأكيد، أي إلبابا لك بعد إلباب، وإقامة بعد إقامة. وعن الخليل: هو من قولهم: دار فلان تلبّ داري، أي تحاذيها، أي أنا مواجهك بما تحب إجابة"[١].

ومنه قول الرافعي: "**حتى إذا اعتدل الليل ليمضي، وانتبه الفجر ليقبل، انكفأت إلى دارها، فنضّت وشيها، وخرجت من زينتها، وخلعت روحا، ولبست روحا، وقالت: اللهم إليك، ولبيك اللهم لبيك، ثم ذهبت فتوضأت، وأفاضت النور عليها، وقامت بين يدي ربها تصلي!.** "[٢].

يتحدث الكاتب عن امرأة "**لعوب حسنة الدَّلّ...، تحيي ليلها راقصة مغنية**"[٣]، ثم بعد ذلك تقوم بين يدي الله مصلية. وقد جاء المفعول المطلق (لبيك) مكررا؛ ليؤكد إقبالها على الله وإقامتها على طاعته. وقد تطلب السياق هذا التوكيد؛ لأن ما تقدم من وصف لتلك المرأة يجعل قبول ما أسند إليها بعد ذلك من أخبار ليس بالأمر اليسير.

(١) التخمير ١/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٢) من وحي القلم ١/ ٢٨٤.

(٣) السابق ١/ ٢٨٤.

وينوب عن المفعول المطلق عدة أمور، من أهمها:

- مصدر آخر يقاربه في الاشتقاق والمعنى، كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[2]،[3].

- مصدر مرادف، نحو: جلست قعودا[4]، ويعجبني حبا، وأبغضه كراهية[5].

- اسم مصدر غير علم، نحو: توضأت وضوءًا[6].

- صفة المصدر، كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾[7]، ونحو: سرت طويلا[8].

- ما أضيف إلى المصدر من (كل وبعض) وما أدى معناهما[9]. ومن أمثلة ذلك قوله

---

(١) المزمل: ٨.

(٢) نوح: ١٧.

(٣) انظر أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥، والتخمير ١/ ٢٩٨، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ١١١.

(٤) انظر التخمير ١/ ٢٩٨، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ١١١، وشرح الكافية الشافية ١/ ٢٩٤، وشرح التسهيل ٢/ ١٨٠.

(٥) انظر توجيه اللمع ص١٧٢.

(٦) شرح التسهيل ٢/ ١٨٠.

(٧) آل عمران: ٤١.

(٨) انظر شرح المقرب (المنصوبات) ١/ ٣٨٥، وشرح التسهيل ٢/ ١٨١، وارتشاف الضرب ٣/ ١٣٥٧، وهمع الهوامع ٣/ ١٠٢.

(٩) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٦٤، وتوجيه اللمع ص١٧٢، وشرح المقرب (المنصوبات) ١/ ٣٨٥، وشرح الكافية الشافية ١/ ٢٩٤، وشرح التسهيل ٢/ ١٨١، وارتشاف الضرب ٣/ ١٣٥٦، وشرح قطر الندى ص٣٠٣، وهمع الهوامع ٣/ ١٠١.

تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾[٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾[٣] بإضافة أفعل التفضيل إلى المصدر المحذوف وتقديره: عمرانا. وقولك: أحسنت أي إحسان.

- ما دل على نوع من المصدر، نحو قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾[٤]، ومنه: رجع القهقرى، وقعد القرفصاء، وأدلج سُرى[٥].

- كما ينوب عن المفعول المطلق أيضًا ضميره، وعدده، وآلته، والإشارة إليه، وهيئته[٦].

وبما ورد من ذلك قول الرافعي:

وأَحْمَقُ هذَا الوَرَى مُسْتَبِدٌّ ... يُخادِعُ بِالعَدْلِ مَن يظْلَمُونْ

كَمَنْ راحَ يَصْرُخُ جِدَّ الصُّراخِ ... وحاذَرَ أَنْ يَسْمَعَ الجالِسُونْ[٧]

يتحدث الشاعر هنا عن زمن الحماقة، وجاء بنائب المفعول المطلق (جد الصراخ) ليؤكد بلوغ المستبد حدا متناهيا في الحمق والغباء؛ إذ إنه يجهر بظلمه، ويحسب أنه

---

(١) النساء: ١٢٩.

(٢) الحاقة: ٤٤.

(٣) الروم: ٩.

(٤) النازعات: ١.

(٥) انظر الكتاب ١/ ٣٥، وشرح الكافية الشافية ١/ ٢٩٤، وشرح التسهيل ٢/ ١٨١، وهمع الهوامع ٣/ ١٠٢.

(٦) انظر شرح الكافية الشافية ١/ ٢٩٤، وشرح التسهيل ٢/ ١٨١، وهمع الهوامع ٣/ ١٠٢، ١٠٣.

(٧) ديوان الرافعي ٣/ ٤٠.

يخادع المظلومين، وأنهم لا يدرون عن ظلمه شيئا، تماما كحال من يصرخ صراخا مدويا- ليس صراخا عاديا أو خفيتا- ثم يحاول عبثا ألا يسمعه السامعون.

وفي لفظ (جد) ما يدفع عن المعنىٰ احتمال أي هزل أو توهّم عبث في هذا الأمر.

ومنه قوله: "**ورثيت لها أشد رثاء وأبلغه في الرحمة والرقة**"(١).

يتحدث الكاتب عن (الربيطة)(٢)، وقد أحوجه السياق إلىٰ التوكيد: توكيد حاله من الإشفاق عليها، والحزن علىٰ ما هي عليه، وذلك لأن هذا يعد نقطة تحول في موقفه حيالها؛ إذ إنه كان في البداية حانقا عليها ساخطا، فهذا التحول من النقيض للنقيض يطلب مؤكدا يدعم قبوله، فكان نائب المفعول المطلق (أشد رثاء)، وربما فُضّل النائب عليه لما فيه من زيادة توكيد أتت من اسم التفضيل مضافا إلىٰ المصدر، ثم يلاحظ اختياره بلفظ (أشد) دون غيره لما يحمله اللفظ من قوة تلائم قوة الإحساس المراد توكيده.

ولعل هذا التعبير أقوىٰ وأعمق من لو أنه قال: (رثيت لها رثاء). ومن جانب آخر قد جسد هذا التوكيد شعور الكاتب الإنسان، وتأثره العميق بحال هذه الساقطة الجميلة المسكينة!.

ومنه قوله: "**ثم جاء مع الليل... فغنيته أحر غناء وأشجاه**"(٣).

---

(١) السحاب الأحمر ص١٠٩.

(٢) هي المرأة البغي تُربط بأجر أو بعقد مدني في بيت رجل، فتنزل منزلة الزوجة علىٰ أنها مدبرة بيته، وتكون ساقطة المعنىٰ شريفة الاسم (maitresse). السحاب الأحمر ص١٠٥.

(٣) من وحي القلم ١/ ٩٥. يحكي الكاتب قصة سلّامة جارية سهيل بن عبدالرحمن المغنية الحاذقة الظريفة الجميلة الفاتنة الشاعرة القارئة المؤرخة المتحدثة، وعبد الرحمن بن أبي عمار الذي يلقبونه بالقسّ لعبادته ونسكه.

ورد نائب المفعول المطلق (أحر غناء) ليؤكد من خلاله درجة حرارة الغناء الذي تغنت به سلَّامة للقس، إذ إنه غناء قلبها المحرور من حبها الرجل، وهو يصد عنها، ويتحاماها، فناسب ذلك التعبير بـ(أحر غناء) الذي يتلاءم تماما وأحر المشاعر. ولعلها كانت تهدف من وراء ذلك إلى إيصال ما تخفي في ضميرها عبر ما تظهر في غنائها له. وقد ساعد على إبراز هذا المعنى وتوكيده انتقاء لفظ (أحر) بما يحمل من دلالة توافق المعنى المحمول له أبلغ موافقة.

وتتضح القيمة الدلالية لهذا التعبير إذا استعرضنا إلى جانبه نموذجا آخر في الموضوع نفسه، وهو قوله: "**وغنَّيْته والله غناءَ والهة ذاهبة العقل كاسفة البال**"[1].

فالحال هنا مختلفة تماما، ولذا كان التعبير مختلفا تبعا لذلك؛ فسلَّامة هنا تغني بين يدي الخليفة يزيد بن عبدالملك الذي (اشتراها) بعشرين ألف دينار، أي أنه ملكها بماله، ولكنها لا تحمل أي مشاعر تجاهه.

فجاء المفعول المطلق (غناء والهة...) مبينا للنوع ليؤكد من خلاله حال غنائها الذي كله شرود للفكر، وذهاب للعقل، ليس به (حرارة)، ولا شعور كما كانت الحال مع غنائها لحبيبها، ذلك الغناء الذي كان من ورائه قصد وغاية.

وقد ناسب المفعول المطلق المبين للنوع السياق؛ إذ إن ما يعنى به هنا هو بيان الحال إضافة إلى توكيده.

(١) من وحي القلم ١/ ٩٢.

ومنه قوله: "**ولو أني راجعتكِ في ذلك مائة مرة، ولكل مرة برهان، ومع كل برهان اقتناع، لما استطعت أن أنتزع دلالكِ أو نعتكِ من هذه الكلمة...**"[١].

لقد رمَت الكاتبَ حبيبته بكلمة كان لها أثرها في نفسه، وهي قولها: (قد أخطأتَ)، وقد أتى في رده عليها بنائب المفعول المطلق (مائة مرة) ليعلن من خلاله يأسه التام في إقناعها، ونفي التهمة التي ألصقتها به "**لا بواقعة ولا دليل**"[٢].

وفي اختيار هذا العدد ليكون نائبا إلماح منه بشخصية تلك المرأة العنيدة التي لا تفلح معها ولا (مائة) مراجعة، حتى لو شُفعت بالبراهين المقنعة.

وبذلك تكون النماذج التي وردت في هذا الفصل قد تنوعت بين مجيء المصدر مؤكدا للعامل، ومبينا للنوع- وهو أكثرها- ومبينا للعدد، ومجيئه أيضًا على صورة المثنى المضاف، وأخيرا مجيء ما ينوب عنه، وقد تمثل ذلك في اسم التفضيل، ولفظ (جِدّ) مضافين إلى المصدر، وكذا العدد.وقد أدى هذا التنوع إلى ثراء دلالي كبير.

---

(١) أوراق الورد ص٢٥٣.

(٢) أوراق الورد ص٢٥٣.

الفصل الثالث

التوكيد بالحال المؤكِّدة

الفصل الثالث

(التوكيد بالحال المؤكِّدة)

تنقسم الحال بحسب التبيين والتوكيد إلى قسمين: مبينة، وتسمى مؤسّسة، وهي التي لا يستفاد معناها بدون ذكرها، ومؤكدة، وهي التي يستفاد معناها بدون ذكرها[1]، وفائدتها أنها تأتي لتوكيد الخبر، وتقرير مؤداه، ونفي الشك عنه[2].

وتأتي الحال المؤكّدة على ثلاثة أضرب:

الأول: المؤكدة لعاملها[3]، نحو قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[4]، "وذلك لأن الإزلاف هو التقريب؛ فكل مزلَف قريب، وكل قريب غير بعيد"[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[6]، ومنه قول بِشر بن أبي خازم:

كَفَى بِالنَّأْيِ مِن أَسْماءَ كافِي ... ولَيْسَ لِـحُبِّها إِذْ طالَ شافِي[7]

---

(١) انظر مغني اللبيب ٢/ ٩٧٥، وشرح التصريح على التوضيح ١/ ٥٦٩، والبلاغة العربية ٢/ ١١٠.

(٢) انظر التخمير ١/ ٤٣٥.

(٣) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٩٤، والشرح الكبير ١/ ٣٣٥، وشرح شذور الذهب ص٢٦٩، ٢٧٢، وأوضح المسالك ٢/ ٢٨٨، وشرح المكودي ص١٤٧.

(٤) ق: ٣١.

(٥) شرح شذور الذهب ص٢٧٢.

(٦) البقرة: ٦٠.

(٧) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي في ديوانه ص٢٩، وكذا في الخصائص: "لأنه إذ كفى فهو كاف لا محالة" ٢/ ٥٧، والمرتجل ص١٦٤.

الثاني: المؤكدة لصاحبها[١]، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[٢]. "فـ (جميعًا) حال من فاعل (آمن)، وهو (من) الموصولة مؤكدة لها؛ لأن (جميعًا) يدل على الإحاطة، فهي مؤكدة للعموم الذي في (من) الموصولة"[٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾[٤]، "فـ(جميعًا) حال الكاف والميم المضاف إليه (مرجع)"[٥].

ومثل (جميعًا): (كافة) و(طُرًّا) و(عامة) و(قاطبة).

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[٦]،"فـ (كافة) حال من المجرور، وهو (الناس)"[٧].

ومنه قول الشاعر:

تَسَلَّيْتُ طُرًّا عَنكُمُ بَعْدَ بَيْنِكُمْ ... بِذِكْراكُمُ حَتَّى كَأَنَّكُمُ عِنْدِي[٨]

"فـ (طرا) بمعنى (جميعًا) حال من الكاف والميم"[٩].

---

(١) انظر أوضح المسالك ٢/ ٢٨٨، وشرح شذور الذهب ص٢٧٢، والأشباه والنظائر ٢/ ٨٣.

(٢) يونس: ٩٩.

(٣) شرح التصريح على التوضيح ١/ ٦٠٦.

(٤) يونس: ٤.

(٥) شرح التصريح على التوضيح ١/ ٥٩٢.

(٦) سبأ: ٢٨.

(٧) شرح التصريح على التوضيح ١/ ٥٩٠.

(٨) البيت بلا نسبة في شرح التسهيل ٢/ ٣٣٨، وأوضح المسالك ٢/ ٢٦٩، ٢٧٠، وشرح التصريح على التوضيح ١/ ٥٩٠.

(٩) شرح التصريح على التوضيح ١/ ٥٩٠.

وقد اختلف النحاة حول توجيه الألفاظ السابقة (جميعًا- كافة- طرا- عامة- قاطبة) ما بين القول بالتوكيد والقول بالحال، فذهب ابن مالك إلى أنها تفيد التوكيدكـ (كل) إذ قال:"وذكرت مع (كل) جميعًا وعامة كما فعل سيبويه، وأغفل ذلك أكثر المصنفين سهوا أو جهلا، فيقال: جاء القوم جميعهم وعامتهم، كما يقال: جاءوا كلهم، والمعنى واحد"[١].

وذكر أن سيبويه نبه على أن (جميعًا) بمنزلة (كل) معنى واستعمالا[٢]. وعدَّ أبو حيان من ألفاظ التوكيد (جميع) و(عامة) بمعنى (كل)[٣]. وكذا عدَّها الحَطّاب من ألفاظ التوكيد المعنوي تبعا لابن مالك[٤]، في حين ذهب غيرهم من النحاة إلى أنها أحوال، فقد نص المبرد[٥] والرضي[٦] على أن (كافة وقاطبة وطرا) أسماء تلزم الحالية. وعدَّها ابن هشام من الحال المؤكدة لصاحبها[٧]. وأنكر الفاكهي إفادتها التوكيد بقوله: "والتوكيد بجميع وعامة غريب"[٨]، وأيده الأهدل[٩]. ونُقل عن المبرد أنه أنكر (عامة)، وقال: إنما هي بمعنى (أكثر)[١٠].

---

(١) شرح التسهيل ٣/ ٢٩١.

(٢) انظر الكافية الشافية ١/ ٥٢٣، والكتاب ١/ ٣٧٧.

(٣) انظر ارتشاف الضرب ٤/ ١٩٥٠.

(٤) انظر الكواكب الدرية ص٥٦٣.

(٥) انظر المقتضب ٣/ ٢٣٨.

(٦) انظر شرح الرضي ٢/ ٥٢.

(٧) انظر شرح شذور الذهب ص٢٧٢.

(٨) الكواكب الدرية ص٥٦٣، وانظر أوضح المسالك ٣/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٩) انظر الكواكب الدرية ص٥٦٣.

(١٠) انظر ارتشاف الضرب ٤/ ١٩٥٠، ١٩٥١، وهمع الهوامع ٥/ ١٩٩.

ويمكن القول بأن لهذه الألفاظ وجهين إعرابيين:

الوجه الأول: إعرابها توكيدا معنويا إذا جاء معها الضمير، وذلك بناء على القاعدة التي توجب اتصال جميع ألفاظ التوكيد المعنوي بضمير مطابق للمؤكد(١)، ويؤيد ذلك ما ورد في نص سيبويه: "وأما كلهم وجميعهم وعامتهم وأنفسهم فلا يكن أبدا إلا صفة"(٢). فالأمثلة المذكورة بالنص مقترنة بالضمير، وسيبويه يستخدم الصفة بمعنى التوكيد.

الوجه الثاني: إعرابها حالا، وذلك إذا عريت عن الضمير، فيقول سيبويه في باب (ما ينتصب أنه حال...):"وذلك قولك: مررت بهم جميعًا، وعامة، وجماعة، كأنك قلت: مررت بهم قياما"(٣).

وقال الأهدل:"ليس من التوكيد نحو: جاء الناس عامة أو قاطبة أو كافة، وإن كان فيها معناه لفقد الضمير، بل هي منصوبة على الحال المؤكدة لصاحبها في الأصح ...، وجميعًا في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٤) حال من (ما) مؤكدة لها، خلافًا لابن عقيل" (٥).

ومعنى ذلك أن مدار الأمر هو وجود الضمير أو عدمه مع تلك الألفاظ.

وثمة نقطة متصلة بالحال المؤكدة لصاحبها، وهي مجيء الحال بصورة المضاف إلى المعرفة (الضمير)، نحو: (اجتهد وحدك)(٦)، و(الحمد لله وحده)، فـ (وحده) منصوبة

---

(١) انظر أوضح المسالك ٣/ ٢٨١، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٤٧، والكواكب الدرية ص٥٦٣.
(٢) الكتاب ١/ ٣٧٧.
(٣) الكتاب ١/ ٣٧٦.
(٤) البقرة: ٢٩.
(٥) الكواكب الدرية ص٥٦٣، وانظر أوضح المسالك ٣/ ٢٨١.
(٦) انظر التخمير ١/ ٤٣٢، وشرح شذور الذهب ص٢٧٥، وشرح المكودي ص١٤١، ١٤٢.

علىٰ الحال عند جمهور النحويين[١]، ولكن هناك خلافًا حول توجيه هذا النصب؛ فمذهب الخليل[٢] وسيبويه[٣] والمبرد[٤] وابن جني[٥] أنه اسم موضوع موضع المصدر الموضوع موضع الحال. وذهب يونس وهشام في قوليه إلىٰ أنه انتصب انتصاب الظرف[٦]، فيجريه مجرىٰ (عند)[٧].

وذلك خلاف لا طائل تحته في ناحية الدلالة، وإنما هو كما قال الإمام السيوطي:"هذا كلام النحاة، وهو توسّع فيما تقتضيه الصناعة واللسان، والمعنىٰ متقارب، كله دائر علىٰ ما يفيده من الحصر في المذكور. فقول (الحمد لله وحده) يفيد حصر الحمد في الله سبحانه وتعالىٰ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾[٨]- والضمير يعود علىٰ: ﴿رَبَّكَ﴾- فمعناه لم يذكر معه غيره، وكذلك قولنا: (لا إله إلا الله وحده) أنّا أفردناه بالوحدانية، فانظر كيف تجد المعنىٰ في ذلك كله سواء"[٩].

---

(١) الأشباه والنظائر ٤/ ١١٢.

(٢) انظر الجمل في النحو ص١٠٤.

(٣) الكتاب ١/ ٣٧٣، ٣٧٨.

(٤) انظر المقتضب ٣/ ٢٣٩.

(٥) انظر الخصائص ٢/ ٢٢.

(٦) انظر الكتاب ١/ ٣٧٧، ٣٧٨، وشرح المقرب (المنصوبات) ١/ ٥٠٧، والأشباه والنظائر ٤/ ١١٣.

(٧) الأشباه والنظائر ٤/ ١١٣.

(٨) الإسراء: ٤٦.

(٩) الأشباه والنظائر ٤/ ١١٣، ١١٤.

وقد التفت المنطقيون إلى نكتة بلاغية في (وحده) إذ قالوا: "إن (وحده) يصير الكلام بها في قوة كلامين، فقولنا: (رأيت زيدا) أفاد إثبات رؤيته فحسب، وقولنا: (رأيت زيدا وحده) أفاد إثبات رؤيته، ونفي رؤية غيره"[١].

الثالث: المؤكدة لمضمون الجملة[٢]، نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾[٣].

وقول الشاعر ابن دارة:

أنا ابْنُ دارَةَ مَعْرُوفًا بِها نَسَبِي وهَلْ بِدارَةَ يا لَلناسِ مِنْ عارِ؟[٤]

هذا، ولم أظفر من أدب الرافعي بنماذج للحال المؤكدة لعاملها أو المؤكدة لمضمون الجملة، ولذا فقد اقتصرتُ على تقديم نماذج للحال المؤكدة لصاحبها.

ومن الحال المؤكدة لصاحبها بلفظ (جميعًا)

قول الرافعي: "**كان السجين كالميت... ابتلاه الله بالجريمة، ثم ابتلاه بالقصاص، ثم تمم عليهما بمصيبة في مقدار عذابهما معا، وهي رؤية أهله جميعًا في حالة لا يملك فيها قدرة ولا صبرا**"[٥].

(١) السابق ٤/ ١١٤.

(٢) انظر الكتاب ٢/ ٧٨، والمقتضب ٤/ ٣١٠، وأمالي ابن الشجري ٣/ ٢٢، والمرتجل ص١٦٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٦٤، وارتشاف الضرب ٣/ ١٦٠١، وأوضح المسالك ٢/ ٢٨٨، ومغني اللبيب ٢/ ٩٧٥، وشرح المكودي ص١٤٧.

(٣) البقرة: ٩١.

(٤) البيت لسالم بن دارة اليربوعي في شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٦٤، وشرح الرضي ٢/ ٥٠، وشرح شذور الذهب ص٢٧٢، وشرح ابن عقيل ٢/ ٢٣٤، وحاشية الصبان ٢/ ٢٧٦.

(٥) السحاب الأحمر ص١٠٢.

أتت (جميعًا) حالا مؤكدة لصاحبها (أهله)، وقد لاءمت السياق الواردة فيه، إذ إن دلالتها على الإحاطة والشمول قد خدمت الصورة التي أراد الكاتب أن يصورها، وهي صورة الحزن العميق الذي يتراءى في عين السجين، وأعظم مصدر لهذا الحزن هو رؤيته أهله (جميعًا)، أي في حال اجتماع تحت ناظريه.

ولو خلا السياق من تلك الحال، كأن يقول: (**وهي رؤية أهله في حالة لا يملك فيها قدرةً ولا صبرًا**) لفقدت الصورة عنصرا مهما من عناصر تأثيرها، لأن عظم المصيبة ليس آتيا له من باب رؤيتهم فحسب، بل آتيهِ من رؤيتهم مجتمعين أمامه، وهو ما عبرت عنه الحال المؤكدة (جميعًا).

ومنه قوله:"**الحظ يا بني كلمة غامضة غموض النفس الإنسانية، يتعزىٰ بها أهل الأرض جميعًا**"[١].

جاءت الحال المؤكدة (جميعًا) لتؤكد شمول أهل الأرض في تعزّيهم بالحظ، وتعلّلهم به، وتعليقهم عليه كثيرا مما يجري في حياتهم. وبهذا التوكيد الذي يفيد الشمول والعموم يبين المتكلم القيمة الكبيرة التي تتمتع بها تلك الكلمة (الحظ) في نفوس الناس، ومدىٰ تمكّنها من قلوبهم، وذلك لأنها "**لشمول معناها الطبيعي وإبهامه كأنها لغة للنفس الإنسانية أين وُجدت**"[٢].

ومنه قوله:"**ولو اجتمع أهل الأرض في صعيد واحد، وصوبوا ألحاظهم جميعًا إلىٰ ذرة من الهباء ما تحركت الذرة، ولا قدمها ذلك ولا أخرها**"[٣].

---

(١) كتاب المساكين ص١٤٠.

(٢) كتاب المساكين ص١٤٠.

(٣) حديث القمر ص٥٧.

جاء هذا الحديث ضمن سلسلة طويلة من محاورات الرافعي للملحدين، ويبين هنا الضعف الشديد والعجز المطلق لأهل الأرض أمام"**هذه الساعة الفلكية الكبرى (السماء)**"(١). ولتأكيد هذا المعنى أورد الحال المؤكدة (جميعًا) التي أتت متمكنة في موقعها، فقد أظهرت حجم هذا الضعف والعجز، فلو صوبوا ألحاظهم (مجتمعين) لم يتخلف منهم واحد إلى (ذرة من الهباء)، مجرد ذرة، ما استطاعوا تحريكها عن مكانها قيد أنملة، ولو أنه جاء بالكلام مستغنيا عن تلك الحال، ما تم له ما أراد، لوجود ثغرة لاحتمال الانفراد.

ومن الحال المؤكدة لصاحبها بلفظ (كافة)

قوله:"**وما أشبه الإيمان بجبل راسخ يحمل الناس كافة، غير أن المؤمن يصعد مرتقيا من جهة، والكافر ينزل منحدرا من الجهة الأخرى!.**"(٢).

يعتقد الكاتب أن الإيمان يشمل المؤمن وكذا الكافر، ولو على طريقة. ولتأكيد هذا الاعتقاد أتى بـ(كافة) حالا مؤكدة لصاحبها (الناس)، ويلاحظ أن معنى الشمول كان مفهوما ضمنا من لفظ (الناس)، ولكنْ حَرَصَ الكاتب على دفع أي احتمال يلحق بكلامه؛ إذ قد يُظن أنه أطلق لفظ (الناس)، وأراد بعضهم، أو حتى معظمهم، في حين أنه أراد استقصاء جميع الأفراد.

وربما كان مدعى الظن، ومِنْ ثَمَّ مبعث التوكيد، هو ما في قوله مما يدعو للاستغراب؛ فمن المعلوم أن الإيمان يحمل المؤمنين، فكيف بالناس كافة مؤمنهم وكافرهم؟!.

---

(١) السابق ص٥٧.

(٢) كتاب المساكين ص١٤٠.

ومن الحال المؤكدة لصاحبها بلفظ (طُرًّا)، قوله: **"لقد بدأت الحقيقة أيها القمر تتوارىٰ معك في حجاب الغيب، فهلا تلبثت قليلا يا صديقي السماوي الذي آنست منه معنىٰ الخلود، والذي لم أكد أصادفه حتىٰ ملأ قلبي من نور السماء وجمالها، وجعلني أشعر بمعنىٰ الإخلاص في الصداقة، وهو أحد المعنيين اللَّذَين لا يشعر بهما إلا أسعد الناس في الأرض طرا، ألا وهما الإخلاص في الصداقة، والإخلاص في الحب"**(١).

جاءت (طرا) حالا مؤكدة لصاحبها في قوله: (أسعد الناس في الأرض طرا)، وقد نمّت في موقعها عن وجدان الكاتب الداخلي الذي يُعْظم فيه قدر الإخلاص في الصداقة والحب، لدرجة يجعل فيها الشعور بقيمته مقصورا علىٰ أسعد أهل الأرض (طرا).

وكان بإمكان الكاتب أن يكتفي بقوله (في الأرض) للتعبير عن العموم والشمول، ولكنه أتىٰ بـ (طرا) إمعانا في التوكيد والاستغراق.

وهكذا يكون التعبير اللفظي قد جاء متوائما مع الإحساس الداخلي للمتكلم.

ومن الحال المؤكدة لصاحبها بلفظ (وحدي)، قوله:

وما أنا وَحْدِي مَن يقُولُون: عاشِقٌ ... ولكِنَّنِي وَحْدِي الذِي يَتَوَجَّعُ(٢)

وقعت (وحدي) حالا مؤكدة لصاحبها (أنا) في الشطر الأول، وياء المتكلم في الشطر الثاني.

وقد جاءت في قوله: (وما أنا وحدي...) في سياق النفي، وهو نفي منطقي؛ فإنه لا يُتصور ادعاء انفراد إنسان بالعشق، وقصره عليه، فـ(وحدي) هنا مؤكدة لهذا النفي،

---

(١) حديث القمر ص٨٧.

(٢) ديوان الرافعي ٢/ ٨٤.

وممهدة لما سيأتي في الشطر الثاني؛ إذ جاءت (وحدي) في قوله: (ولكنني وحدي...) في سياق الإثبات بغرض توكيد تفرده بالتوجع دون العاشقين، وليس بخافٍ ما في ذلك من مبالغة كبيرة؛ لأن التوجع سبيل مطروقة لكل محب عاشق، فكيف يحصره في نفسه فقط؟!.

وهنا تظهر القيمة الدلالة للحال المؤكدة؛ فقد كشفت عن مدىٰ سيطرة الشعور بالألم علىٰ نفس الشاعر، وتمكّنه منه إلىٰ تلك الدرجة التي جعلته يتوهم أن التوجع في الحب قد خلص له.

ومنه قوله:

بُلِيتُ بِهذا الحُبِّ أَحْمِلُهُ وَحْدِي وكُلٌّ لَهُ وَجْدُ الُمحِبِّ ولا وَجْدِي[1]

البيت دائر علىٰ المعنىٰ السابق ذاته، وهو انفراده ببلاء الحب وعذاباته، وفي هذا أيضًا من المبالغة ما فيه، وقد خفف حدتها حين أثبت الوجد للجميع، وإن كان بعد ذلك نفىٰ المثلية عن وجده، وكأنه بهذا يسوّغ ما ادعاه بداية.

وقد كرر الشاعر المعنىٰ نفسه مرة أخرىٰ، ولكن صاغه في صورة الاستفهام ليبدي من خلاله حيرته وأساه، وذلك قوله:

هَلْ كُلُّ مَن يهْوَىٰ يَمُوتُ أَسًىٰ أَمْ قَدْ بُلِيتُ بِذَا الأَسَىٰ وَحْدِي؟[2]

ومن الحال المؤكدة لصاحبها بلفظ (وحده)

قوله: "**فإذا كانت الأمومة هي التي تلد حقيقة الحياة بمعانيها الواقعة، فإن الحب وحده هو الذي يلد الحياة بشعرها ومجازها ومعانيها الخيالية الجميلة**"[3].

---

(١) السابق ٢/ ٩٠.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ٨٧.

(٣) أوراق الورد ص٥٦.

وقوله: "**فإذا ضجر أهل الخيال من الخيال، لم يصلحهم إلا الحب، فهو وحده ناموس التطور للقوة المتخيلة، ولن تجد في الأشياء العجيبة أعجب منه، حتى كأنه أم تلد، فالمرأة تلد الإنسان، ولكن حبها يلد النابغة**"[1].

وقوله: "**ألا إنه بالحب وحده يحيا الإنسان أكثر من حياة إنسان، وتكون الطبيعة أكثر مما هي، ويزيد كل شيء في حس العاشق؛ لأنه هو زاد بحبيبه**"[2].

وقوله:"**وكل ما فيه الحب فهو وحده الحياة، ولو كان صغيرا لا خطر له، ولو كان خسيسا لا قيمة له، كأن الحبيب يتخذ في وجودنا صورة معنوية من القلب، والقلب على صغره يخرج منه كل الدم، ويعود إليه كل الدم**"[3].

وقوله:"**وإن كان في الأرض عبودية شريفة فهي للحب وحده**"[4].

في تلك النماذج الخمسة وقعت (وحده) حالا مؤكدة لصاحبها، واتفقت في صاحب الحال، وهو (الحب)، أو الضمير العائد عليه.

وقد أراد الكاتب من خلال ذلك (إفراد) الحب ببعض الصفات، وحصرها فيه بما يَبِين عن عِظم قدره، وعلو مكانته، وأهمية دوره.

فالحب هو الذي تخلق منه الحياة الجميلة الحالمة في مقابل الحياة الواقعية الجافة، كما ورد في النموذج الأول، لا سيما والحب وحده ناموس التطور لقوة الخيال، كما في

(١) السحاب الأحمر ص٩٣.

(٢) أوراق الورد ص١٧٢.

(٣) السحاب الأحمر ١٠٥.

(٤) حديث القمر ص٢٢.

النموذج الثاني. والحب سبب أوحد في زيادة حياة إنسان علىٰ حياة آخر، وزيادة كل شيء، كما في النموذج الثالث، بل وأكثر من ذلك لا توجد حياة أصلا إلا حيثما وجد الحب، كما في النموذج الرابع. وأخيرا يصل الأمر إلىٰ حد التقديس، فتكون للحب العبودية الشريفة، إن وجدت، كما في النموذج الخامس. وما ذاك إلا لأن "**العبودية للحب الصحيح هي مبدأ العبودية الصحيحة لله**"(١).

وهكذا أفادت الحال المؤكدة في الكشف عن معتقد الكاتب في فلسفة الحب، وفي توكيد هذا المعتقد، بما تفيده (وحده) من إثبات المذكور، ونفي ما عداه، وإفراده بالحكم، وتوكيده(٢).

وبما اجتمع فيه أكثر من حال مؤكدة لصاحبها

قوله: "**والناحية الأخرىٰ التي ينظر منها الطفل لأمه الدميمة الشوهاء ناحية الصفات الإلهية؛ فإن الحب الصحيح الذي يمكن أن يسمىٰ حبا لا يمكن فيما ترىٰ من لون وشكل وتركيب وتناسق وغيرها مما يُظهر البشرية علىٰ أتمها وأحسنها في الشخص المحبوب كما يظن الناس خطأً، بل هو في عكس ذلك، أي فيما يخفي البشرية بمحاسنها وعيوبها جميعًا، ويظهر في أمكنتها خصائص الروح المحبوبة وحدها، فمن ثم يبدو لك شخص المحبوب علىٰ أي أشكاله وهيئاته كأنه تمثال سماوي وُضع لروحك خاصة، فهو مجبول من مادة واحدة هي مادة الفتنة، ولو كان في أعين الناس كافة تمثال الأرض السفلي يصور كل ما تشتت فيها من القبح**"(٣).

---

(١) حديث القمر ص٢٢.

(٢) انظر المقتضب ٣/ ٢٣٩، والأشباه والنظائر ٤/ ١١٣، ١١٤.

(٣) كتاب المساكين ص١٦٩.

في هذا النص يبين الكاتب ماهية الحب الصحيح في رأيه، ليصحح من خلال ذلك البيان مفهوما سائدا في ثقافة المجتمع، وهو ربط الحب بالجمال الظاهري، ولذا فقد تطلب السياق غير مؤكِّد، وقد اجتمعت ثلاث أحوال مؤكدة: جميعًا، ووحدها، وكافة.فـ(جميعًا) في قوله: (فيما يخفي البشرية بمحاسنها وعيوبها جميعًا) تأتي ليؤكد بها اجتماع اختفاء المحاسن والعيوب الشكلية الخارجية في شخص المحبوب، في مفهوم الحب الصحيح؛ لأنه سيظهر مكانها ما هو أهم، وما عليه المعوّل، وهو روح المحبوب. ومِنْ ثَمَّ تأتي الحال المؤكدة (وحدها) في قوله: (ويظهر في أمكنتها خصائص الروح المحبوبة وحدها) لتؤكد انفراد الروح بالمكانة الأَوْلىٰ دون حسن المظهر. وأخيرا تأتي (كافة) في قوله: (**ولو كان في أعين الناس كافة تمثال الأرض السفلي**) ليوضح الكاتب أنه إذا تحقق معنىٰ الحب الصحيح بدا المحبوب رمزا للفتنة في عين محبه، ولو (اجتمع) الناس علىٰ رؤيته قبيحا. وقد أفادت (كافة) عمقا دلاليا إذ أكدت اجتماع الناس اجتماعا لا يندّ عنه فرد منهم، وبذلك تكون الأحوال الثلاثة قد تضافرت علىٰ توكيد وجهة نظر الكاتب أن الحب المستحق أن يسمىٰ حبا إنما يكون الشأن فيه للروح المحبوبة، وليس للمادة الجميلة.

الفصل الرابع

التوكيد بالنعت المؤكِّد

الفصل الرابع
(النعت المؤكِّد)

عرف النحاة النعت بأنه "التابع المقصود بالاشتقاق وضعا أو تأويلا"[1]، "ويُقال له الوصف والصفة"[2].

ويأتي النعت- من بين ما يأتي له- ليؤدي دورا دلاليا هو محض التوكيد والتثبيت والتمكين للمعنىٰ، وقد ذكر ذلك فريق من النحاة[3]. فابن جني أورده تحت باب أسماه: (التطوّع بما لا يلزم)، وذكر أن هذا النعت "من التطوّع المشامِّ للتوكيد"[4].

ومن أمثلة النعت المؤكِّد قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾[5]. فواحدة نعت علىٰ جهة التأكيد؛ لأنه قد عُلم أن النفخة واحدة[6]، كما أنه

---

(١) شرح التسهيل ٣/ ٣٠٦، وانظر الشرح الكبير ١/ ١٩٥، وشرح الرضي ٢/ ٢٨٣، والبسيط ١/ ٢٩٧، والإرشاد إلىٰ علم الإعراب ص١٦٣، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٠٧، وأوضح المسالك ٣/ ٢٥٦، وشرح المكودي علىٰ الألفية ص٢١٤.

(٢) حاشية الصبان ٣/ ٨٢، وانظر شرح الآجرومية ص٧٢.

(٣) انظر المقدمة الجزولية ص٥٦، والتخمير ٢/ ٨٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٤٧، والتوطئة ص١٧٨، وشرح الكافية الشافية ١/ ٥٢٠، وشرح الرضي ٢/ ٢٨٧، ٢٨٨، والبسيط ١/ ٢٩٧، والإرشاد إلىٰ علم الإعراب ص١٦٣، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٠٧، وشرح شذور الذهب ص٤٣٨، وهمع الهوامع ٥/ ١٧١، وشرح التصريح علىٰ التوضيح ٢/ ١٠٩، والكواكب الدرية ص٥٢٧.

(٤) الخصائص ٢/ ٥٧.

(٥) الحاقة: ١٣.

(٦) انظر الشرح الكبير ١/ ١٩٧.

"جيء بلفظ الواحدة... لمكان نظم الكلام"[١].ومنه قوله تعالى:﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾[٢]، ويوضح الزمخشري وجه النعت في هذه الآية الكريمة بقوله:"فما وجه قوله:﴿إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾؟ قلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دالّ على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أُريدت الدلالة على أن المعْنيّ به منهما والذي يساق إليه الحديث، هو العدد شُفع بما يؤكده، فدل به على القصد إليه والعناية به. ألا ترى أنك لو قلت: (إِنَّما هُوَ إِلَهٌ)، ولم تؤكد بواحد: لم يحسن، وخُيّل أنك تُثْبت الإلهية لا الوحدانية"[٣].

ومن نماذج النعت المؤكد في أدب الرافعي

قوله:

وكَيْفَ بِقَلْبٍ واحِدٍ أَحْمِلُ الهَوَىٰ ... عَجِيبًا عَلَىٰ طَبْعِي وغَيْرَ عَجِيبِ[٤]

وقعت هنا لفظة (واحد) نعتا مؤكدا لمنعوتها (قلب)، وقد أتى به ليؤكد معنى الإفراد، وهو مُدرَك ضمنا من لفظة المنعوت؛ إذ لا تحتمل ببنيتها معنى التثنية أو الجمع، فهو مَعْنِيّ بالعدد خاصة، إذ يكشف عن حجم تعجبه من المقدرة على حمل الهوى بما له من أحوال متغايرة بقلب (واحد)، ولذا نجده في الأبيات السابقة يتمنى أن يكون له قلبان: قلب مريض بحب حبيبه، وقلب طبيب مُداوٍ لجرحه:

ألا ليتَ لي قلبيْن: قلبٌ بحبِّه ... مريضٌ، وقلبٌ بَعْدَ ذاك طَبِيبي[٥]

(١) المثل السائر ٢/ ١١٣.
(٢) النحل: ٥١.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٧٠.
(٤) أوراق الورد ص٥٨.
(٥) السابق ص٥٨.

ولو أن الشاعر قد اكتفىٰ بالمنعوت لكان المعنىٰ المراد قد فُهم من السياق؛ إذ يَبعد عن الظن قَصْد الدلالة علىٰ الجنسية، فتبين من ثَمَّ أن ذكر النعت هنا جاء علىٰ جهة المبالغة في التوكيد.

ومنه قوله: "**كالعاشق يرىٰ في ألحاظ حبيبته بالنظرة الواحدة ما في نفسه وما في نفسها جميعًا**"(١).

جاءت لفظة (الواحدة) نعتا مؤكِّدا لمنعوتها (النظرة) ليثبت من خلاله مدىٰ الفهم الذي بين العاشق وحبيبته؛ إذ لا يحتاج أكثر من نظرة (واحدة) ليدرك كل شيء. ومعلوم أن المعنىٰ كان تاما ولو لم يذكر النعت، فمعنىٰ الوحدة تحمله لفظة (نظرة)، ولهذا فإن إيراد النعت كان إمعانا في تمكين المعنىٰ وتوكيده، وربما أراد الكاتب أن يرفع التوهّم عن المنعوت؛ إذ قد يُظن أنه يقصد من (النظرة) جنس النظرة عامة، في حين أن المراد- كما هو واضح من السياق- هو معنىٰ العدد، ولذا أكد المعنىٰ الذي يريد بالنعت المؤكد.

هذا وقد تكرر مجيء النعت المؤكِّد بلفظ (**واحد**) و(**واحدة**) بصورة يصعب معها الحصر، ولكن المُلاحَظ هو اشتراك النماذج الواردة في دلالة توكيد معنىٰ الوحدة أو الإفراد المُستفاد ابتداء من لفظ المنعوت.

ومن تلك النماذج العديدة:

قوله:

* "**ولكن أفتِني، فإني لا أعرف هذا الذي تسميه الحب، فهل هو بين النفسين شيء غير الصداقة؟ قلت: هو هي إلا فرقا واحدا**"(٢).

---

(١) حديث القمر ص٢٣.

(٢) السحاب الأحمر ص١٣٢.

* "ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد هو صفاتها التي تجعل رجلها أعظم منها"(١).

* "درهم واحد من الشعب يكون بالشعب كله، ويجعله مالكا بعد أن كان مملوكا، وحاكما بعد أن كان محكوما، ويخرجه في التاريخ من رتبة إلى رتبة"(٢).

* "لم تحيرني المتناقضات ولا المتشابهات، ولا ضِقت بأسباب الفكر فيها، فإن ذلك الحب جعل فيَّ عقلين لا عقلا واحدا، أحدهما يقرني في هذه الدنيا، والآخر ينقلني إلى ثانية، دنيا الناس جميعًا ودنيا امرأة واحدة، دنيا السماوات والأرض ودنيا قلبي"(٣).

* "إن جمالك أيتها الحبيبة ليس جمالك كما تظنين، وإلا فقد شركتك الحسان فيه، لكنه بكلمة واحدة في قلبي أنا"(٤).

* "إني لأبكي في غمضة واحدة بدموع أكثر عددا من كلماتكَ"(٥).

<u>ومن نماذج النعت المؤكد أيضا:</u>

قوله: "أكتب عن (...) ذلك الاسم الذي كان سنة كاملة من عمر هذا القلب، على حين أن السعادة قد تكون لحظات من هذا العمر الذي لا يُعدّ بالسنين ولكن بالعواطف"(٦).

---

(١) من وحي القلم ٢/ ١٣٤.
(٢) حديث القمر ص١٩.
(٣) رسائل الأحزان ص٤٤.
(٤) أوراق الورد ص١٦٩.
(٥) من وحي القلم ١/ ١٥١.
(٦) رسائل الأحزان ص٤٤.

وردت لفظة (كاملة) نعتا مؤكِّدا للمنعوت (سنة)، وقد أوردها الكاتب ليرفع أي إيهام قد يلحق بقوله (سنة)، فأكد بالنعت تمامها، وفي ذلك التوكيد ما يكشف عن شعوره بالألم والمرارة على ما مضى من عمر قلبه مع تلك الإنسانة (سنة كاملة)، ويَعظم الشعور بالألم حين لا تكون السعادة في هذا العمر سوى لحظات.

وكان يمكن أن يكتفي الكاتب بقوله (سنة)، ولكن الكلام قد اكتسى دلالة مع النعت لم تكن لولا تأتِّيه.

ومنه قوله:"**وكان يعتمل طوال يومه في بعض المصانع أو هو يحمل طعامها الذي لم ينله إلا ببيع نفسه يوما كاملا**"(١).

يتحدث الكاتب عن طفل قروي يعمل في المدينة عائلا أمه العمياء. وقد جاءت كلمة (كاملا) نعتا مؤكِّدا لـ (يوما)، إذ رفع به المجاز الذي كان يحتمله قوله (يوما) لو أنه اقتصر عليه، فقد يُطلق اليوم ويراد بعضه أو أكثره، ولكنه أراد أن يؤكد أنه يعمل اليوم كله (كاملا) غير منقوص، وقد رمى الكاتب من خلال استخدام النعت المؤكد إلى دلالة بعيدة، إذ إنه أكبرَ من قيمة الطعام الذي يحمله حين أكبرَ من زمن العمل الذي كان ثمنا لذلك الطعام، ليبين من وراء ذلك قدر الإحسان العظيم الذي أقدم عليه الطفل الفقير حين تنازل عن الطعام الغالي الثمن (عمل يوم كامل) لمسكينة في الطريق بَصُر بها!.

(١) كتاب المساكين ص٦٧.

وهناك ألفاظ خاصة وقعت نعتا مؤكِّدا، منها: (كل) و(حق) و(جِدّ)

وقد أشار سيبويه إليها في قوله: "... قولك: هذا العالم حقُّ العالم، وهذا العالم كلُّ العالم، إنما أراد أنه مستحق للمبالغة في العلم، فإذا قال: هذا العالم جدُّ العالم، فإنما يريد هذا عالم جدا، أي هذا قد بلغ الغاية في العلم"(١).

ويعلق د.**أحمد سعد محمد** على النص السابق بقوله:"فليس هذا بنعت ككل النعوت؛ لأنه لا يُراد به التوضيح فقط، ولا الثناء والتعظيم فحسب، ولكنه فوق كل ذلك يفيد أيضًا معنى التوكيد والمبالغة"(٢).

وقد أوضح ابن مالك أن هذه الأوصاف ينعت بها دالة على معنى (كامل) بشرط إضافتها إلى مثل المنعوت بها لفظا ومعنى(٣). ومنه قول الشاعر:

وإِنَّ الذِي حانَتْ بفَلْجٍ دِماؤُهُمْ   هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يا أُمَّ خالِدِ(٤)

وقول ابن مالك يتفق وما جاء من أمثلة في الكتاب، وإن لم ينص سيبويه على ذلك نصا صريحا، ونخلص من ذلك بأن تلك الألفاظ ترد في نمط خاص من أنماط التراكيب ليصح وقوعها نعوتا مؤكِّدة.

---

(١) الكتاب ٢/ ١٢، ١٣.

(٢)الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، د. أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص١٩٩.

(٣) انظر شرح الكافية الشافية ١/ ٥١٨، وسبك المنظوم وفك المختوم ص١٦٩، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٤٩، ١٩٥٠.

(٤) البيت بلا نسبة في مغني اللبيب ١/ ٤٧٤، وللأشهب بن رميلة، وقيل للحريث بن محفض في همع الهوامع ١/ ١٦٨، والدرر اللوامع ١/ ١٤٨، وخزانة الأدب ٢/ ٣١٥، ٦/ ٧، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ١٣٣، ٨/ ٢١٠.

وتجدر الإشارة إلى أن وجه التوكيد في هذا الباب أن النعت لم يُضف معنى جديدا لم يكن في منعوته، بل على العكس من ذلك، فالمعنى كان معلوما ومُدرَكا من المنعوت قبل ذكر النعت، يقول ابن يعيش: "ومعنى التأكيد هنا أن مدلول الصفة مستفاد مما في الموصوف، فصار ذكره في الصفة كالتكرار؛ إذ ليس فيه زيادة معنى"[١]. ومعلوم أن "التكرار يعطي مزية التقرير والتأكيد"[٢].

وبناء على ذلك يمكن القول بأن أي نعت أفاد توكيد منعوته وتمكين المعنى يدخل في هذا الباب.

<u>ومن مجيء النعت المؤكِّد بلفظ (كل) قول الرافعي:</u>

والسَّعْدُ كُلُّ السَّعْدِ فِيما أَرَىٰ ... عَوْدُ غَرِيبِ الدارِ لِمَأْلَفِ[٣]

استخدم الشاعر النعت المؤكِّد (كل السعد) ليطرح من خلال ذلك رأيه أن منتهى السعد وغايته في عوْد الغريب لمألفه، ويلاحَظ أن النعت هنا لم يُكسب الكلام معنى جديدا لم يكن موجودا قبل ذكره، فكان يمكنه أن يقف عند حدود المسند إليه، ولكن ذكر النعت أفاد توكيد المعنى، وهو أمر يحتاجه السياق، لأن ما ذكره مجرد رأي واردٌ فيه الاختلاف؛ لأن تقدير السعادة يتفاوت من عين لأخرى، ولعله مدرِك لذلك، فاعترض بقوله (فيما أرى)، ومن ناحية أخرى فإن النعت المؤكِّد في البيت قد أسفر عن أحاسيس الشاعر وانفعالاته الداخلية؛ إذ إن شعور الغربة مسيطر عليه

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٤٨.

(٢) فن البلاغة ص٢١٤.

(٣) ديوان الرافعي ٢/ ١١٠.

لدرجة أنه يرىٰ كمال السعادة في العودة، الأمر الذي أخرج الكلام منه علىٰ ذلك النحو من التوكيد، والذي أملىٰ عليه اختيار اللفظ الذي يعبر عن شعوره، وهو لفظ (كل) بما يحمل من معاني الشمول والإحاطة والاستغراق والكمال[١].

ومن مجيئه بلفظ (حق) قوله: "**فلتعلمنَّ أنَّ في المال مشغلة عما سوىٰ المال، وأن الحرص عليه حق الحرص لا يُداخل أمرا من أمور الحياة، فيعترض بين ورده وصدره إلا ساء أحدهما أو كلاهما وفسد الأمر ...**"[٢].

يشير الكاتب إلىٰ عاقبة الحرص علىٰ المال، وكيف أنه مُفسد لأمر ما داخَله، وجاء بالنعت المؤكِّد (حق الحرص) ليؤكد منعوته (الحرص)، وفي اختيار لفظ النعت (حق) من بين الألفاظ الأخرىٰ ما يشف عن دلالة عميقة مستمدة من مدلول اللفظ نفسه، فالحرص علىٰ إطلاقه ليس مذموما، وقد ورد في القرآن الكريم النهي عن التبذير: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[٣]. أليس هذا شكلا من أشكال الحرص علىٰ المال؟ ولكن المبالغة في الحرص إلىٰ درجة أن يصير الحرص (حقا) معلوما ثابتا للمال فهذا هو المستكرَه المفسد الذي أشار إليه الكاتب.

---

(١) كل: اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكَّر، والمعرَّف المجموع، وأجزاء المفرد المعرَّف. وتكون نعتا لنكرة أو معرفة، فتدل علىٰ كماله. انظر مغني اللبيب ١/ ٤٤٥، ٤٤٦.

(٢) كتاب المساكين ص١٠٤.

(٣) الإسراء: ٢٦.

ومنه قوله:"**ومهما تبلغ المرأة من العلم فالرجل أعظم منها بأنه رجل، ولكنَّ المرأة حق المرأة هي تلك التي خُلقت لتكون للرجل مادة الفضيلة والصبر والإيمان، فتكون له وحيا وإلهاما وعزاء وقوة، أي زيادة في سروره، ونقصا من آلامه**"[1].

يثبت الكاتب للمرأة شيئا من قدرها بعد أن أعطى للرجل المزيَّة عليها، وقد استعان بالنعت المؤكِّد (حق المرأة) لـ (المرأة) ليوضح ويؤكد أن هذا القدر وتلك المكانة ليست للمرأة بإطلاق، وإنما للمرأة الحقة، وقد وقع النعت المؤكِّد موقعه من الكلام؛ إذ لو لم يذكره واكتفى بقوله (ولكن المرأة هي تلك التي...) لَتُوُهِّم أن الحديث منصرف إلى جنس المرأة، وهو خلاف المراد، كما أن لاختيار لفظ النعت (حق) دلالته، فلم يقل مثلا (المرأة كل المرأة) أو (المرأة جِدّ المرأة) لأن القدر الذي أثبته عظيم، فلا يكون إلا للمرأة التي (تستحق) أن يصدق عليها وصف (امرأة) لا (أنثى)، في مقابل وصف (رجل).

ومن خلال تحليل النماذج السابقة تظهر قدرة الرافعي وعنايته الفائقة بانتقاء النعوت التي تعبر عن مراده، وتؤدي الدلالة المنوطة بها.

---

(١) من وحي القلم ٢/ ١٣٤.

الفصل الخامس

التوكيد بضمير الفصل

الفصل الخامس

(التوكيد بضمير الفصل)

حدَّ النحاة ضمير الفصل بأنه"صيغة ضمير منفصل مرفوع"(١). وقد اتفق أهل العربية على أن الفصل– مع صحة الكلام بدونه– يفيد التوكيد(٢). نص على ذلك سيبويه بقوله:"... لأن الفصل يجزئ من التوكيد، والتوكيد منه"(٣). فسيبويه"لم يقف عند حدود الصحة والفساد... بل تعدى ذلك إلى بيان القيمة البلاغية للفصل بالضمير، فهو وإن كان زائدا لغوا في الكلام فإن الإتيان به ينبئ عن غرض في نفس المتكلم، ألا وهو التوكيد"(٤). وكذا فعل الرضي حيث قال: "وإنما قلنا إن الفصل يفيد التوكيد، لأن معنى زيد هو القائم: زيد نفسه القائم"(٥).

ومن العلماء المحدَثين الذين قالوا بإفادة ضمير الفصل التوكيد الدكتور/ تمام حسان، فقد ذكر في البيان أن "الفصل بالضمير وسيلة من وسائل تأكيد معنى الإسناد في الجملة، وربما كان من الأدلة على أن الضمير للفصل أن الجملة يتم إسنادها ومعناها

(١) ارتشاف الضرب ٢/ ٩٥١، وانظر المقدمة الجزولية ص١٨٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١١٠، وشرح الكافية الشافية ١/ ٩٨، وشرح التسهيل ١/ ١٦٧، ومغني اللبيب ٢/ ١٠٣١، وهمع الهوامع ١/ ٢٣٥.

(٢) انظر الكتاب ٢/ ٣٨٩، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٦٢، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٤٩٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١١٠، وشرح الرضي ٢/ ٤٥٧، ورصف المباني ص١٢٨، وارتشاف الضرب ٢/ ٩٥٩، وهمع الهوامع ١/ ٢٣٦، ٢٤١.

(٣) الكتاب ٢/ ٣١٩.

(٤) الأصول البلاغية في كتاب سيبويه ص١٠٨، وانظر أثر النحاة في البحث البلاغي ص٨٠، ٨١.

(٥) شرح الرضي ٢/ ٤٥٧.

بدونه، فلا يضيف الضمير إلى معناها إلا جهة التأكيد، ومِنْ ثَمَّ لم يكن الضمير ركنا من أركان الجملة، ولم يكن له محل من الإعراب"[١].

ومما جاء من توكيد به في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾[٣]، إلى غير ذلك من الضمائر التي وردت على هذه الصفة، فإنها مفيدة التوكيد.

وقد يستفاد معنى التوكيد من ضمير الفصل بطريق القصر؛ فإنه "قد يأتي ضمير الفصل للدلالة على القصر، وإذا ذهب معنى القصر"[٤]، ويعد من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[٦]. كما أنه- أي ضمير الفصل- يفيد توكيد معاني القصر المتعددة التي يدخل عليها، فهو يفيد: [٧]

أ- **توكيد القصر الحقيقي**: فقد يكون الكلام دالا على القصر دون ضمير الفصل، فيأتي ضمير الفصل مؤكدا لهذا المعنى. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٨]، فلو حذف الضمير لبقي معنى القصر، ولكنه جاء بالضمير توكيدا لهذا المعنى.

(١) البيان في روائع القرآن ٢/ ١٣، ١٤، وانظر شرح التسهيل ١/ ١٦٨، ١٦٩.

(٢) البقرة: ٢٥٤.

(٣) الكهف: ٣٩.

(٤) معاني النحو ١/ ٤٨، وانظر البيان في روائع القرآن ٢/ ٥١.

(٥) الحجر: ٢٣.

(٦) النجم: ٤٣.

(٧) معاني النحو ١/ ٥٤، ٥٥، ٥٦ بتصرف يسير.

(٨) البقرة: ٣٧.

ب- **توكيد القصر الذي على جهة المبالغة:** قال تعالى في المنافقين: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾(١)، وقال فيهم أيضا: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، ومن المعلوم أن هناك مفسدين آخرين، وهناك سفهاء آخرين، ولكنه قصر الإفساد والسفه عليهم مبالغة على معنى أنهم أولى من يسمى هذا الاسم، أو على أنهم كاملون في هاتين الصفتين.

ج- **توكيد معنى المقايسة:** جاء في الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣): "ومعنى التعريف في: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة..."(٤).

د- **توكيد معنى الكمال:** جاء أيضًا في الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾(٥): "... أي أولئك هم الكاذبون على الحقيقة، الكاملون في الكذب..."(٦). وهذا النوع في الحقيقة من باب القصر الادعائي.

ومن فوائد الفصل عند جمهور النحاة ما يعرف بتمييز الخبر عن الصفة، وهو إعلام السامع من أول الأمر بأن ما بعده خبر لا نعت(٧). وبذلك يُصان الخبر عن توهّمه

---

(١) البقرة: ١٢.

(٢) البقرة: ١٣.

(٣) البقرة: ٥.

(٤) الكشاف ١/ ٨٦.

(٥) النحل: ١٠٥.

(٦) الكشاف ٢/ ٥٩٣.

(٧) انظر الكتاب ٢/ ٣٨٩، والمقدمة الجزولية ص١٨٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٠٩، وشرح الرضي ٢/ ٤٥٦، وهمع الهوامع ١/ ٢٤١.

تابعا[١]، ولذا يسميه البصريون فصلا، في حين يسميه الفراء وأكثر الكوفيين عمادا[٢]؛ "لأنه معتمَد عليه في تقرير المراد ومزيد البيان"[٣]، ويسميه بعضهم دِعامة؛ لأنه يُدعم به الكلام، أي يقوى ويؤكَّد[٤].

وأضاف البيانيون، وتبعهم السهيلي فائدة أخرى للفصل، وهي الاختصاص[٥]، فقد ورد في الإيضاح: "وأما توسّط الفصل بينه وبين المسند فلتخصيصه به"[٦]، أي تخصيص المسند إليه بالمسند، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[٧]، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾[٨].

وقد جمع الزمخشري تلك الفوائد معا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٩]، فقال: "و(هم) فصل، وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره"[١٠].

---

(١) انظر شرح التسهيل ١/ ١٦٧.

(٢) انظر أمالي ابن الشجري ١/ ١٦١، ٢/ ٣٧، ٥٠٧، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٧٠٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١١٠ حيث يقول: "فالفصل من عبارات البصريين كأنه فصَل الاسم الأول عما بعده، وآذن بتمامه، وإن لم يبق منه بقية من نعت ولا بدل إلا الخبر لا غير، والعماد من عبارات الكوفيين كأنه عمد الاسم الأول وقوّاه بتحقيق الخبر بعده، والغرض من دخول الفصل في الكلام ما ذكرناه من إرادة الإيذان بتمام الاسم وكماله، وأن الذي بعده خبر وليس بنعت"، وارتشاف الضرب ٢/ ٩٥١.

(٣) شرح التسهيل ١/ ١٦٧، وانظر شرح التصريح على التوضيح ١/ ٢٢٤.

(٤) انظر مغني اللبيب ٢/ ١٠٣٤.

(٥) انظر ارتشاف الضرب ٢/ ٩٥٩، ومغني البيب ٢/ ١٠٣٤، وانظر رأي السهيلي في همع الهوامع ١/ ٢٤١، لأني قد بحثت في كتابيه: نتائج الفكر، وأمالي السهيلي، فلم أجد رأيه فيهما.

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة ص٦٢.

(٧) الكوثر: ٣.

(٨) الأنفال: ٤.

(٩) البقرة: ٥.

(١٠) الكشاف ١/ ٨٥.

ويقع الفصل بين اسمين لا يستغني أحدهما عن الآخر، نحو المبتدأ والخبر، واسم إنّ وخبرها، واسم كان وخبرها، ومفعولي ظن وعلم، وما أشبه ذلك[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[2]، وقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[4].

ويشترط النحاة في الفصل أن يكون بين معرفتين، نحو: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[5]، أو بين معرفة وما قاربها من النكرات مما لا تدخله الألف واللام، نحو: خير منك، ومثلك، وأفضل منك، وشر منك[6].

وأجاز أهل المدينة مجيء الفصل بين نكرتين كمعرفتين، حكاه سيبويه، نحو: ما أظن أحدا هو خيرا منك[7]، ووافقهم أبو موسى الجزولي[8]، وحكى ابن الباذش أن قوما من الكوفيين أجازوا الفصل في النكرات كما تكون في المعارف. قالوا: ومنه قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾[9][10].

---

(١) انظر الكتاب ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، والمقتضب ٤/ ١٠٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٩٥٢، وارتشاف الضرب ٢/ ٩٥٢، وشرح جمل الزجاجي لابن هشام ص٢٢٣، وهمع الهوامع ١/ ٢٣٥.

(٢) المائدة: ١١٧.

(٣) الحجر: ٤٩.

(٤) الصافات: ٧٧.

(٥) البقرة: ٥.

(٦) انظر الكتاب ٢/ ٣٩٣، والمقتضب ٤/ ١٠٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٠٩، وشرح الكافية الشافية ١/ ٩٨، وشرح التسهيل ١/ ١٦٧، ومغني اللبيب ٢/ ١٠٣٠.

(٧) انظر الكتاب ٢/ ٣٩٦، وشرح الرضي ٢/ ٤٥٩، وهمع الهوامع ١/ ٢٣٨.

(٨) انظر قوله في المقدمة الجزولية ص١٨٤، وانظر شرح الرضي ٢/ ٤٥٩.

(٩) النحل: ٩٢.

(١٠) انظر همع الهوامع ١/ ٢٣٨، ٢٣٩.

ومما ورد من مجيء الفصل في أدب الرافعي

قوله:

أُولَئِكَ هُمْ شُبَّانُنا لَوْ عَرَفْتُمُ ... وهُمْ كُلُّ مَنْ في مِصْرَ غَيْرَ قَلِيلِ(١)

يعتصر قلب الشاعر لما يرى من سوء حال شباب الوطن، وقد شرح تلك الحال عبر عدة أبيات، منها(٢):

أَرَىٰ فِئَـةً كَالغانِيـاتِ تَدَلُّـلَا ... تَمِيلُ مَعَ الأَهْواءِ كُلَّ مَمِيلِ

وظَنَّ الفَتَىٰ أَنَّ التَّمَدُّنَ أُنْثَوِي ... فَتابَعَ فِيهِ كُلَّ ذاتِ حَلِيلِ

تَماجَنَ في أَشْكالِها مِنْ مُصَبَّغٍ ... إِلَىٰ كُلِّ مَجْلُوٍّ وكُلِّ صَقِيلِ

دَلالُ جَمِيـلٍ بِالجَمـالِ مُهَنَّئٍ ... فَآهٍ عَلَيْهِ مِنْ دَلالِ جَمِيلِ

وقد أتى بضمير الفصل في قوله: (**أُولَئِكَ هُمْ شُبَّانُنَا**) ليؤكد في تحسر انسحاب جميع الأوصاف التي ذكر على هؤلاء الشباب، وثبوتها لهم، وتتعاظم تلك الحسرة حين لا يكون هؤلاء شرذمة قليلين، فـ (**هُمْ كُلُّ مَنْ في مِصْرَ غَيْرَ قَلِيلِ**). كما تُظهر الإضافة في قوله: (**شُبَّانُنَا**) صدق مشاعره، وعنايته بالأمر المتحدث عنه، فلم يقل مثلا: شبابكم أو شباب الوطن.

ومنه قوله: "**هذا القلب هو سر الجمال الإنساني**"(٣).

(١) ديوان النظرات ١/ ٢٦.

(٢) ديوان النظرات ١/ ٢٥، ٢٦.

(٣) رسائل الأحزان ص٦٧.

للرافعي فلسفة خاصة في الجمال وتقديره، ومن جوانب تلك الفلسفة أنه ينحّي كل شيء يعدّ سرا للجمال، ويثبت ذلك للقلب وحده. وقد استعان في إبراز رأيه بضمير الفصل (هو) الذي أمدّه بقصر المسند على المسند إليه، وتوكيده أيضا، وقد أفاد ذلك الضرب من التوكيد في إطلاعنا على رسوخ ذلك المعتقد في وجدان الكاتب، واقتناعه به اقتناعا تاما، لا سيما وقد ذكر صفات هذا القلب التي تعزّز ما ذهب إليه مؤكِّدا، وتعلّل له في الوقت ذاته، ومن هذه الصفات أنه قلب"**جليل سامي النزعة، قارّ كالصبر، مجتمع كالإيمان**"(١)، كما أنه أيضا "**فيه بركة النفس وزينتها وسكنها**"(٢). فحقَّ لقلب تلك صفاته أن يكون سرا للجمال الإنساني، بمعنى الجمال الذي يقصده الكاتب ويوضحه في قوله:"**وما جمال النفس الإنسانية إلا خلُق وفكرة وفضيلة مؤمنة**"(٣).

نستخلص من ذلك كله أنه ثمة قلب خاص، سر لجمال خاص في رأي الكاتب.

ومنه قوله:"**ومن هنا يكذب الرجل ذو المنصب، فيُرفع شخصه فوق الفضائل كلها، فيكبر عن أن يكذب، فيكون كذبه هو الصدق**"(٤).

ينتقد الكاتب وضعا مشينا فاشيا في المجتمع، وهو أن مكان بعض الشخصيات من ذوي المناصب الرفيعة يكون فوق المعاني والفضائل والقيم جميعًا، ومن تجليات تلك الفوقية أن الكذب من هذه الشخصيات لا يُعدّ كذبا، بل لا يُعدّ سوى الصدق!.

---

(١) رسائل الأحزان ص٦٧.

(٢) السابق ص٦٧.

(٣) السابق ص٦٧.

(٤) من وحي القلم ١/ ٥٩.

ويأتي ضمير الفصل (هو) الذي يؤكد قصر الصدق علىٰ كذبها، وفي ذلك ما يظهر مدىٰ فساد هذا الوضع، وتناقضه مع المنطق السليم والحق القويم اللذَين يقضيان قطعا بأن الصدق صدق، والكذب كذب، ولا يمكن الحكم بغير ذلك إلا في وضع اجتماعي معوجّ.

كما يعبر اختيار ضمير الفصل للتوكيد عن نفسية الكاتب الحانقة المغيظة، فقد عدل عن أن يقول مثلا: (فيكون كذبه صدقا)؛ لأنه لو قال ذلك لهان الأمر، ولكن حين قال: (كذبه هو الصدق)، دل علىٰ ما في نفسه من الحنق والغضب من هذا الفساد والاعوجاج.

ومنه قوله:"**فتلك هي الياقوتة التي تُرمىٰ في اللهب ولا تحترق**"[١].

يشير الكاتب إلىٰ المرأة التي يكون لها مرجعية ثابتة من الدين والأخلاق، فتلك المرأة لا يُخشىٰ عليها من أي فتن تحيط بها، ويؤكد بضمير الفصل (هي) عصمتها التي تكون معها كالياقوتة التي"**يكون لها في طبيعة تركيبها الياقوتي ما تهزم به طبيعة التركيب الناري**"[٢]. كما أفاد ضمير الفصل معنىٰ الاختصاص، أي أن الصفة المذكورة في المسند ثابتة في المسند إليه دون غيره، ومن وراء ذلك تنويه علىٰ ضرورة تحصين المرأة بالدين القويم والأخلاق السامية.

ومنه قوله: "**فالفقر هو الذي صبغ الغنىٰ بألوانه البهجة الرفافة**"[٣].

---

(١) من وحي القلم ١/ ٢٨٥.

(٢) السابق ١/ ٢٨٥.

(٣) حديث القمر ص٢٩.

كثيرا ما يعالج الكاتب قضية الفقر والغنىٰ، ويريد هنا أن يؤكد أن الذي يضفي علىٰ الغنىٰ معاني البهجة والسرور والمتعة وغير ذلك هو الفقر نفسه، يعني أهله، ففي رأيه أن تلك الصفات ليست صفات ذاتية للغنىٰ.

ويأتي ضمير الفصل (هو) الذي يؤكد المعنىٰ، والذي يحمل في طياته تحميل الكاتب أهل الفقر المسؤولية عن تلك الهالة الكاذبة المنسوجة حول الغنىٰ، فإن ضمير الفصل قد أفاد توكيد قصر الفعل (صبغ) علىٰ الفقر، والمقصود أهله بالطبع. وفي هذا محاولة للنزول بهم من سماء الخيال إلىٰ أرض الواقع والرضا به.

ومنه قوله: "**فوهن القلوب بحب الدنيا- علىٰ ما ينطوي في هذه العبارة من المعاني المختلفة- هو علة الشرق**"(١).

يتعرض الكاتب خلال حديثه عن نهضة الأقطار العربية للمشكلات التي يعاني منها الشرق، ويركز حديثه هنا علىٰ علة واحدة، وهي (وهن القلوب بحب الدنيا)، ويأتي ضمير الفصل (هو) الذي يفيد توكيد القصر علىٰ وجه المبالغة، فمن غير الواقع أن تكون تلك هي العلة الوحيدة التي ليس للشرق علة سواها، ولكن قصر العلل كلها عليها إنما يشير إلىٰ خطرها، وأهمية التنبه لها، والسعي في معالجتها.

ومنه قوله: "**وإجلال الماضي في كل شعب تاريخي هو الوسيلة الروحية التي يستوحي بها الشعب أبطاله، وفلاسفته، وعلماءه، وأدباءه، وأهل الفن منه**"(٢).

---

(١) من وحي القلم ٣/ ١٥٦.

(٢) السابق ٣/ ٣٤.

يتحدث الكاتب عن الماضي أو العادات، باعتبارها مقوما من مقومات الاستقلال. ويؤكد من خلال ضمير الفصل (هو) أهمية ذلك الماضي/ العادات في استيحاء الرموز الفاعلة في بناء المجتمع من أبطال وفلاسفة وعلماء وفنانين، وذلك بعد أن ذكر لتلك العادات التي هي "**الماضي الذي يعيش في الحاضر**"(١) مجموعة من الصفات التي ترشح ما ذهب إليه وأكده آنفا، ومن تلك الصفات أنها "**وحدة تاريخية في الشعب... ثم هي كالدين في قيامها على أساس أدبي في النفس، وفي اشتمالها على التحريم والتحليل... والعادات هي وحدها التي تجعل الوطن شيئا نفسيا حقيقيا**"(٢).

ويهدف الكاتب من وراء هذا التوكيد- الذي جاء فيه النص على تقدير العادات- إلى بيان أنه بالعادات إضافة إلى اللغة والدين تقوى دعامة الشعب، وينحصر في ذاتيته السامية، فيصعب انتزاعه منها، أو اندياحه في ذاتية أخرى مستعمرة.

ومنه قوله: "**فالبلغاء هم أرواح الأديان والشرائع والعادات، وهم في الأرض ألسنة السماء والأرض، وإذا شهد عصر من العصور أمة ليس فيها بليغ فذلك هو العصر الذي يكون تاريخيا لأضعف طبائع الأمم**"(٣).

يُعلي الكاتب من شأن البلغاء، مستخدما ضمير الفصل (هم) في توكيد المكانة السامية والمهمة التي يعتلونها، وهي كونهم أرواح الأديان والشرائع والعادات، بمعنى أنهم بمثابة الشروح والتفاسير لمعانيها، والقادرون على إيصالها للناس بصناعة وفن.

---

(١) السابق ٣/ ٣٤.

(٢) من وحي القلم ٣/ ٣٤.

(٣) حديث القمر ص٦.

ثم يأتي ضمير الفصل الثاني (هو) مؤكدا أن العصر الذي يشهد أمة تخلو من وجود بليغ فيها هو العصر الذي يؤرخ ضعف تلك الأمة وانهيارها، ويرمي الكاتب من خلال هذين الضميرين المؤكدين إلىٰ مرمىٰ بعيد، وهو أنه يضع البلغاء- بعد توكيد الدور الذي يضطلعون به، ومدىٰ شين العصر الذي يخلو منهم- في مصافّ الدعاة والمصلحين والمربين، ويكفي إخباره عنه بأنهم (ألسنة السماء والأرض).

ومما يلفت إلىٰ عناية الكاتب بهذه الفكرة، واجتهاده في توصيلها، ذكره إياها في موضع آخر حين تحدث عن النوابغ في الأدب، كما استخدم أداة التوكيد عينها، أعني: ضمير الفصل، وذلك في قوله: "**والمَثَل الأعلىٰ هم الداعون إليه، والأشواق النفسية هم موقظوها، والعواطف هم المصوّرون لها، وسرور الحياة هم الذين حوّلوه إلىٰ الفن**"[(١)].

فقد تكرر مجيء ضمير الفصل (هم) في كل جملة من هذه الجمل، وأفاد في توكيد معنىٰ الكمال، أي أنهم المستحقون لتلك الصفات، الكاملون فيها، ولا يخفىٰ ما في ذلك من قدر من المبالغة أفرزتها حمية الكاتب لهؤلاء البلغاء النابغين الذي هو لا شك واحد منهم، وهكذا لا تقف دلالة ضمير الفصل علىٰ ما عُرف بتمييز الخبر عن الصفة، بل تتعدىٰ ذلك إلىٰ التوكيد الذي يكون أحيانا بطريق القصر، وإلىٰ إفادة معنىٰ الاختصاص، وهذا كله مع التعبير عن نفسية المبدع وآرائه المختلفة، كما اتضح من خلال تحليل النماذج السابقة.

---

(١) من وحي القلم ٣/ ٢٠٠.

الباب الثالث: التوكيد بالجمل

وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: التوكيد بالقسم
- الفصل الثاني: التوكيد بأسلوب القصر
- الفصل الثالث: التوكيد بذكر المسند إليه

جاءت تلك الفصول تحت هذا الباب لأن"القسم جملة"[1] قد تكون فعلية أو اسمية، وأسلوب القصر لا يقع إلا في الجمل، والمسند إليه إما أن يكون مبتدأ فيقع في جملة اسمية، أو فاعلا فيقع في جملة فعلية.

---

(١) شرح المقدمة الجزولية الكبير ٣/ ٨٥٣.

الفصل الأول

التوكيد بالقسم

الفصل الأول

(التوكيد بالقسم)

القسم لغة: "اليمين، ويجمع على أقسام، والفعل: أقسم"(1)، وجاء في الصحاح: "أَقْسَمْتُ: حَلَفْتُ، وأصله من القَسامَة، وهي الأيمان تقسم على الأولياء في الدم، والقَسَم بالتحريك: اليمين، وكذلك المُقْسَم، وهو المصدر(2).

ولا يختلف القسم في اصطلاح النحويين عنه عند أئمة اللغة كثيرا، فمعناه: الحلف واليمين(3).

وقد اتفق النحاة على مجيء القسم للتوكيد(4). ونصَّ سيبويه على ذلك بقوله: "اعلم أن القسم توكيد لكلامك"(5).

---

(1) كتاب العين للخليل بن أحمد (قسم) ٥/ ٨٦، وانظر لسان العرب (قسم) ١٢/ ١٠٤، والقاموس المحيط (قسم) ٤/ ١٦٦.

(2) الصحاح للجوهري (قسم) ٥/ ٢٠١٠، ٢٠١١، وانظر لسان العرب ١٢/ ١٠٤.

(3) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٧٤، والأساليب الإنشائية ص١٦٢.

(4) يقول ابن السراج: "والقسم في الكلام إنما تجيء به للتوكيد" - الأصول لابن السراج ١/ ٤٣١، ويقول ابن جني: "اعلم أن القسم ضرب من الخبر يُذكر ليؤكَّد به خبر آخر"- اللمع ص٢٤١، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٧٤، ويقول الزمخشري: "القسم ... جملة فعلية أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية"- التخمير ٤/ ٢٤٩، ويقول ابن عصفور: "فأما القسم فهو جملة يؤكد بها جملة أخرى كلتاهما خبرية"- الشرح الكبير ١/ ٥٣١، ويقول ابن مالك: "القسم جملة يجاء بها لتوكيد جملة"- شرح الكافية الشافية ١/ ٣٧٦، ويقول الرضي: "وإنما أجيبَ القسم بهما لأنهما مفيدان للتأكيد الذي لأجله جاء القسم" - شرح الرضي ٤/ ٣٠٩، ويقول ابن أبي الربيع: "وأما القسم: فهو كل جملة يؤكد بها الخبر" - البسيط ٢/ ٩١١، ويقول القرشي الكيشي: "هو تحقيق جملة بأخرى، والمحقَّق بها يدعى القسم"- الإرشاد إلى علم الإعراب ص١٤٥.

(5) الكتاب ٣/ ١٠٤، ويقول أيضا: "والحلف توكيد". الكتاب ٣/ ٤٩٧.

ويستوي في ذلك توكيد النفي والإثبات[1]، ذكر ذلك ابن يعيش مبينا الغرض من القسم بقوله: "اعلم أن الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات... إنما أكدت خبرك لتزيل الشك عن المخاطب"[2]. وقال العكبري: "والغرض منه توكيد الكلام الذي بعده من إثبات أو نفي"[3].

والقسم يُعد من أقوىٰ وسائل التوكيد، فحين يلجأ المتكلم إلىٰ الاستعانة به يدل ذلك علىٰ أنه قد بلغ درجة من الرغبة في تأكيد كلامه، وإماطة الشك عنه، وأنه لم يجد وسيلة أجدىٰ لتحقيق غرضه من القسم بمعظم.

ويؤيد ما ذهبت إليه نص لابن الخباز ذكر فيه أن القسم "إنما يؤتىٰ به لتوكيد جملة المحلوف عليه؛ لأن المخبِر إذا أخبر بجملة موجبة أو منفية، وخاف أن يُظن به الكذب، أقسم بمن يعظم في اعتقاده علىٰ أن الأمر كما ادعىٰ من إيجاب أو نفي"[4].

فالغرض من القسم إذن تحقيق الخبر، ورفع الشك عن المخاطب، وحاجة المتكلم إلىٰ دفع الظن عن كلامه.

والقسم إضافة لذلك أسلوب فني من أساليب التعبير والتصوير الأدبي الذي يسهم في الإرهاص النفسي للقضايا والمعاني التي يحملها النص التابع لصيغة القسم[5].

---

(١) انظر أسرار العربية ص١٥٦.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٩٠.

(٣) اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٧٤.

(٤) توجيه اللمع ص٤٧٤.

(٥) انظر بلاغة القسم في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية د. رفعت محمد الشرقاوي ص ٨٢، ٩٦ بتصرف كبير.

ويأتي القسم بالأفعال، نحو: أقسم، وأحلف، وبالأسماء، نحو: لعمر الله، ويمين الله، وبالحروف الجارة لما بعدها.

أولًا: الأفعال:

تنعقد جملة القسم من الفعل والفاعل، نحو: حلفت بالله، وأقسمت بالله، وعَلِم الله، ويعلم الله... [1].

ولما كان فعل القسم غير متعد بنفسه، نحو: أقسمت وحلفت، احتاج إلى حرف جر يوصله إلى المقسم به [2]، قال الخليل:"إنما تجيء بهذه الحروف؛ لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف به ..."[3].

ومما ورد من مجيء القسم بالفعل (حلَف) في أدب الرافعي قوله:

أَحْلِفُ بِالله عَلَىٰ أَنَّنِي لَوْلَا اتِّقَاءُ الرَّيْبِ لَمْ أَحْلِفِ
لَأَضْعَفَتْنِي عَيْنُ تِلْكَ التِي إِنْ نَظَرَتْ فِي حَجَرٍ يَضْعُفِ[4]

جاء فعل القسم مضارعا متبوعا بباء القسم، والمقسم به لفظ الجلالة، ليؤكد من خلال ذلك قوة تأثير عين وقع في هواها. وفي تصديره فعل القسم ما يشير إلى اهتمامه بإنشاء معنى القسم ذاته مع عِظم المقسم به، آية ذلك أنه قبل أن يتم جملة القسم بذكر المقسم عليه، يعترض بقوله: على أنني لولا اتقاء الريب لم أحلف، ليبين الدافع الذي اضطره للقسم، وهو مخافة الشك في مقالته، وإلا فما هو بمقسم، وليس بخاف ما يحمله

(١) انظر التخمير ٤/ ٢٤٩.

(٢) انظر المقتضب ٢/ ٣١٧، وتوجيه اللمع ص٤٧٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٩١.

(٣) الكتاب ٣/ ٤٩٧، وانظر ٣/ ٤٩٦.

(٤) ديوان الرافعي ٢/ ١٠٩.

حرف الجر (علىٰ) من معنىٰ الاستعلاء[١]، وهو يلبي حاجة نفسية لدىٰ الشاعر إذ يرفع عنه شيئا من إحساسه بالضعف المؤكد في جواب القسم في قوله: (لأضعفتني).

وتلقىٰ القسم باللام لإفادتها التوكيد الذي جيء بالقسم لأجله[٢]، يقول المالقي: "إنها دخلت اللام في جواب القسم ليتلقىٰ بها مبالغة في التوكيد؛ إذ القسم توكيد المقسم عليه"[٣].

ثم نجد في صلة الموصول التي قدمها ما يلتمس به العذر لضعفه، فلتلك العين أثرها الفعال علىٰ الجماد: (إن نظرت في حجر يضعف)، فكيف بالبشر إن كان هذا حال الحجر؟!. ويتردد هذا المعنىٰ في موضع آخر من ديوانه في قوله:

وَاللهِ لَوْ يَنْطِقُ صَخْرٌ لَـمَا خاطَبَ هَذا الحُسْنَ إِلَّا بِآهْ[٤]

فتردد هذا المعنىٰ يدل علىٰ تمكنه من نفسه، واقتناعه به.

وهكذا يكون القسم معبرا عن أحاسيس الشاعر وعواطفه تعبيرا صادقا.

ومنه قوله في (رواية قلم)، وهي رسالة وضعها علىٰ قلم الحبيبة: "**أمّا بلاغته فبالله أحلف صادقة ما رأيت أكمل منك لسان قلم**"[٥].

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٣٧.

(٢) انظر التخمير ٤/ ١٦٧، ٢٤٩، وشرح الرضي ٤/ ٣٠٩، وهمع الهوامع ٤/ ٢٤٢، وشرح التصريح علىٰ التوضيح ١/ ٣١١.

(٣) رصف المباني ص٢٣٩.

(٤) ديوان الرافعي ٣/ ١١١.

(٥) أوراق الورد ص١٣٣.

يؤكد الكاتب من خلال القسم بلاغتَه التي وصل فيها حد الكمال، وقد انتقى (الباء) لتأدية هذا الغرض؛ لما تنفرد به الباء من جواز إثبات فعل القسم معها، وهو ما يعطي دعما للتوكيد من ناحية الجمع بين المقسم به، وهو لفظ الجلالة، وفعل القسم، كما أن لاختيار الباء دلالة أخرى، لأن"معنى الباء الذي لا يفارقها الإلصاق، والمراد هنا إلصاق معنى القسم بالمقسم به، وإيصاله إليه... فعندما تقسم بالله تلصق معنى القسم بلفظ الجلالة"(١).

وفي القسم بـ (الله) وتقديمه على الفعل ما يعطي قوة للكلام ببيان عِظم من تحلف به، مما يدفع ارتقاء الشك إلى المحلوف عليه. ولحرص الكاتبة (الحبيبة) على نفي الظن بالمبالغة في رأيها أو المجاملة فيه، فقد احترزت بالحال (صادقة)؛ لأن القسم يحتمل الصدق والكذب فيما أُقسمَ عليه.

وقد تلقى القسم هنا بـ (ما) النافية، وهي من الحروف التي يجاب بها القسم في مقام النفي(٢)، لأنها تنفي رؤيتها أو علمها بأبلغ منه.

وفي ذلك كله ما لا يخفى من اعتداد الرافعي ببلاغته العالية وبيانه التام، وإن كان قد ألقى بذلك على لسان غيره!.

ويتكرر القسم بنفس الصيغة في قوله على لسان الحبيبة أيضا:"**أما بلاغته فبالله أحلف صادقة لقد نقل إلي الكلمة التي لم تكتبها، وسألتني اللقاء**"(٣).

---

(١) الجملة المحتملة للاسمية والفعلية ص٩٤، وانظر همع الهوامع ٤/ ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) انظر التخمير ٤/ ٢٤٩، وتوجيه اللمع ص٤٨٠، والشرح الكبير١/ ٥٣٧، وشرح الرضي ٤/ ٢٠٨، وشرح جمل الزجاجي لابن هشام ص١٥٨.

(٣) أوراق الورد ص١٣٥

فيؤكد من خلال القسم أن بلاغة كتابه من فرطها استطاعت أن تنقل ما لم يُكتب، ومن الواضح أن القسم هنا يدور في نفس المضمار الذي دار فيه القسم السابق عليه، وهو توكيد بلاغة الرافعي.

ومنه قوله: "**هي يمينٌ حلَف الدهر بها لَيكذبَنَّ كذبة بيضاء مُغشَّاة**"(١).

لأصالة الباء في القسم دخلت على المضمر(٢) في قوله: (حلف بها)، ويبيّن الكاتب من خلال هذا القسم وجها من أوجه المقارنة التي عقدها بينه وبين حبيبته، فيؤكد أنها مجرد أكذوبة من أكاذيب الدهر، في حين أنه "**كلمة قد استوى ظاهرها وباطنها ... فلا تحتمل أبدا معنيين**"(٣).

وقد اختار الكاتب أسلوب القسم مركبا من عدة أجزاء، لكل جزء دلالة خاصة على المعنى المراد توصيله، فأولا اختار القسم بالفعل (حلف) في صيغة المضي، ليدل على أن الأمر المحلوف عليه تم وانقضى، ثم أسند فعل الحلف إلى الدهر، وهو مما لا يتصور منه القيام بهذا الفعل، ولكنه لما أراد تعظيم الأمر وترسيخه في نفوس المتلقّين ألقى بالحلف على لسان الدهر، ولم يلقه على لسان أحد من البشر. ثم في اختيار الباء، وهي الأصل في حروف القسم، والتي أتاحت له أن يجعل المقسم به مضمرا (ها)، وكأنه لا يريد إظهارها ولو في اللفظ؛ لأنها لا تعدو كونها (كذبة)، وبالمقابل نجده يظهر نفسه بقوله: (**وأنا؟ أنا كلمة** ...). وأخيرا يأتي بجواب القسم متلقّى بلام التوكيد، مؤكَّدا بالنون الثقيلة.

---

(١) رسائل الأحزان ص٤٦.

(٢) انظر الجمل في النحو ص٢٠٨، والكتاب ١/ ٤٢١، والمقتضب ٢/ ٣١٧، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٣٥، والصاحبي ص١٠٩، والتخمير ٤/ ٢٥٢، والشرح الكبير ١/ ٥٣٤، وشرح الكافية الشافية ١/ ٣٨٧، ٣٨٨، والبسيط ٢/ ٩٢٤، ٩٢٥.

(٣) رسائل الأحزان ص٤٦.

ومن الواضح لي بعد هذا التناول أن اختيار القسم بهذه الصورة لم يكن عبثا، بل كان مقصودا لخدمة المعنى، وقد "أدرك النحاة أن هناك ارتباطا قويا بين ما يسمى بالتراكيب، وما يسمى بالمعاني والأفكار"(١)، وهو ما حاولت أن أبينه من خلال التحليل.

ومن القسم بالفعل (أقسم) قوله:

وقالُوا حَكَيْتَ الظَّبْيَ جِيدًا ولَفْتَةً ... وأَشْبَهْتَ غُصْنَ البانِ في هَيَفِ البانِ
وأُقْسِمُ ما الغِزْلانُ في لَفَتاتِها ... ولا هَيَفُ الأَغْصانِ إلَّا الشَّبِيهانِ(٢)

يبالغ الشاعر في وصف المحبوبة، حتى إنه ليجعل المشبه (هي) أعلى حالا من المشبه به (الغزلان وغصن البان) في الوضوح والجلاء، وهو ما يعرف بالتشبيه المقلوب، و"من شرط التشبيه كون وجه الشبه أظهر في المشبه به من المشبه، وفائدة قلب التشبيه نقل تلك الزيادة من المشبه به إلى المشبه لقصد المبالغة"(٣). والمبالغة من المواطن التي يحسن معها التوكيد؛ لأن النفس قد لا تقبلها، فتحتاج إلى ما يقويها ويدعمها، ولذا اختار الشاعر أسلوب القسم، وركز اهتمامه على الفعل دون غيره من أركان جملة القسم(٤)، ليقرر دعواه، ويمكنها في نفس المخاطب(٥). وأتى بفعل القسم مضارعا ليدل على استمرار المعنى وتجدده في نفسه، بخلاف الماضي مثلا، فلم يقل: (أقسمت)؛ لأنها تعني أن الأمر قد انتهى. ومن جهة أخرى احتاج المقام إلى التوكيد بالقسم؛ لأنه جاء يرد على من يخالفونه الرأي، وقد أتوا بالتشبيه على وجهه في البيت السابق.

---

(١) البلاغة والأسلوبية ص٣٩.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ٨٣.

(٣) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص١٧١.

(٤) من باب حذف المقسم به اجتزاء بدلالة الفعل عليه، نحو: أقسم لأفعلن، أي: أقسم بالله. انظر شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٩٤.

(٥) يذكر العلوي في طرازه أن التشبيه المقلوب "قد يرد لأغراض كثيرة أولها التقرير والتمكين في النفس". الطراز ٣/ ١٨٣.

ومنه قوله:

وأُقْسِمُ لَوْلَا اغْتِرارُ العُقُولِ ... لمَا كَفَّ أَرْبابُها عَنْ أَرَبْ[١]

استخدم الشاعر فعل القسم، وحذف المقسم به عناية بمعنىٰ القسم نفسه أيا ما كان المقسم به، هادفا إلىٰ توكيد ثقته بقدرة الشرقيين علىٰ تحقيق كل غاية لولا الغرور الذي يداخلهم.

ومن القسم بـ (عَلِم الله)[٢]، قوله:

"وما طرقت- علم الله- بابا إلا استقبلوني بما معناه: هل أنت معجزة مالية؟ هل أنت مائة جنيه؟"[٣].

جاء القسم هنا متمكنا في موقعه من الكلام، فالذي يراجع الحديث برمته يلفىٰ الكاتب متشددا في اتهامه الرجل العزب بأنه مطيق للزواج ولا يتزوج، ملحقا به مجموعة من الصفات غير الحميدة، ومِنْ ثَمَّ احتاج المتكلم إلىٰ القسم باعتباره أسلوبا قويا من أساليب التوكيد للرد علىٰ الكاتب، وقد أتىٰ به معترضا بين أركان الجملة: الفاعل والمفعول به، رغبة في المبادرة برفع هذه التهمة عنه، وكأنه استشعر عدم تصديقه، فأسرع بالقسم بـ (علم الله) ليؤكد أحقية إلقاء التبعة علىٰ المجتمع.

وفي القصر بـ (ما) و(إلا) توكيد من جهة أخرىٰ علىٰ أن المغالاة في المهور صارت لازمة وراء كل باب يطرق للزواج، فمن أحق باللوم إذن؟.

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٢٦.

(٢) "الذي يدل علىٰ أن (علِم الله) قسم قولهم: علم الله لأفعلن، فيجاب بما يجاب به القسم في قوله: بالله لأفعلن". التخمير ٤/ ٢٥٠.

(٣) من وحي القلم ١/ ١٩٢.

ومنه قوله:

عَلِمَ اللهُ أَنَّني بِكَ صَبٌّ ولِذِكْرَىٰ حِماكَ ما عِشْتُ أَصْبُو[1]

للسياق دور فاعل في توجيه مجيء أسلوب معين دون آخر، فقد أتىٰ القسم لدفع وشاية وُشيت بالشاعر عند أحد أصدقائه:

وقَدْ سَعَوْا بي إِلَيْكَ بِالعَيْـ ـبِ ومالِي سِوَىٰ المَحَبَّةِ عَيْبُ[2]

وقد استخدم (علم الله) ليعزو توكيد أن عرىٰ المحبة وُثقىٰ، وأنه قائم علىٰ الذكرىٰ ما دام حيا إلىٰ علم الله، فهو سبحانه المطلع علىٰ ما تكنّ الصدور. وبذا يكون القسم قد خدم السياق الذي ورد فيه من حيث إنه مهّد به الشاعر إلىٰ تبرئة ساحته مما لحق بها من وشاية كاذبة، وفتح الباب لعتاب هذا الصديق الذي يبدو أنه أعار الوشاة أذنا مصغية، وقطع الكتب عن الشاعر، يدل علىٰ ذلك قوله معاتبا في البيت التالي لبيت القسم:

يا حَلِيفَ الوَفا أَمَا لِيَ عُذْرٌ يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِنْ يَكُنْ لِيَ ذَنْبُ؟[3]

ثانيًا: الأسماء:

استخدم الرافعي في القسم جل الأنماط العربية التي وردت في القسم، "وقد عقدت العرب جملة القسم من المبتدأ والخبر، كما عقدتها من الفعل والفاعل، فقالت: لعمرك لأقومنّ، ولايمن الله لأذهبنّ"[4]، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٢٢٢.

(٢) السابق ١/ ٢٢٢.

(٣) ديوان الرافعي ١/ ٢٢٢.

(٤) اللمع ص٢٤٥.

يَعْمَهُونَ ﴾[١]، فعمرك: مبتدأ، واللام: لام الابتداء التي تفيد التوكيد[٢]، والخبر محذوف تقديره: قسمي، وقد حذف لطول الكلام بالمقسم عليه، وأنه معلوم، ولزمه الحذف[٣]، أو حذف لأنه كثر في كلامهم[٤]، فيكون بذلك حذفه للاختصار أو للتخفيف، ويمكن القول بأن الحذف كان للتركيز على لفظ المقسم به، وإبرازه في الكلام.

والقسم بالجملة الاسمية له دلالته الخاصة التي تقوّي دلالة القسم على التوكيد بشكل عام، إذ "تتسم الجملة الاسمية بطابع الثبات والاستقرار والدلالة على الدوام والاستمرار"[٥].

وقد تنوعت ألفاظ القسم في الجملة الاسمية في أدب الرافعي، فجاء القسم بلفظ:

- **يمين الله.**
- **لعمر الله.**
- **لعمري.**
- **لعمرك.**
- **عمر أبيك.**

---

(١) الحجر: ٧٢.

(٢) "ومن لام الابتداء قولك: لعمرك". معاني الحروف ص٥٤.

(٣) انظر الجمل في النحو ص١٨٥، والأصول لابن السراج ١/ ٤٣٤، واللمع ص٢٤٥، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٧٧، وتوجيه اللمع ص٤٨٤، والتخمير ٤/ ٢٥٠، ٢٥١، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٩١، وشرح جمل الزجاجي لابن هشام ص١٦٢.

(٤) انظر الكتاب ٣/ ٥٠٢.

(٥) الجمل المحتملة للاسمية والفعلية ص٩٢، ٩٣.

وقبل التعرض للنماذج التي ورد القسم فيها بتلك الألفاظ تجدر الإشارة إلى أن الأصل أن يقسم بأسماء الله تعالى الحسنى، وبصفاته العلى، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى(١)، فقال: "ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله"(٢).

وأما الحلف بنحو: عمري وعمرك،... فإن "صناعة الإعراب تسوغ الحلف بكل اسم يجوز دخول حروف القسم عليه"(٣)، "وتكون اليمين حينئذ لغوية، لا شرعية"(٤).

ومن القسم بـ (يمين الله) في أدب الرافعي

قوله:

يَمِينَ اللهِ لَوْ عَقَلُوا لَعَزَّى المَيِّتُ الحَيَّا(٥)

يهدف الشاعر من خلال القسم إلى تنبيه المخاطبين على ضلالهم وإيقاظهم من غفلتهم، إذ لو أنهم أعملوا عقولهم لكان الأجدر بهم أن يقدموا العزاء لأنفسهم لا لأمواتهم؛ فهم أحوج إليه لسوء أحوالهم، وضياع القيم بينهم.

وتتجلى أهمية القسم في حاجة الكلام إلى التوكيد، إذ يقوم الشاعر بعملية نقد ونقض لقيمة من القيم المستقرة في نفوس المخاطبين، وفي موروثاتهم الاجتماعية*، ولذا

---

(١) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٧٤.

(٢) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله. فكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: لا تحلفوا بآبائكم. فتح الباري بشرح صحيح للبخاري ٧/ ١٤٨.

(٣) توجيه اللمع ص٤٧٤، وانظر اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٧٤، والبسيط ٢/ ٩٢٣.

(٤) القسم في الحديث ص٢١.

(٥) ديوان الرافعي ٢/ ٣٧.

* قال الرافعي هذه القصيدة في احتفال الناس بأمواتهم في مواسمهم المعروفة بمصر.

استعان بالقسم بـ (يمين الله)، وهو حلف عظيم، لإضافته للذات العليا، مما يفتح مغاليق القلوب لاستقبال الرأي المضاد والفكر المعارض.

ومن القسم بـ (عمر الله) قوله: **"وبئس - لعمر الله - الرجل يكون في صرعته، وما فيه إلا نفَس، ... ثم تراه متى أحس القوة قد ثار كما يثور الوحش من ضجعته"**[1].

يريد الكاتب أن يبرز سخطه على تلك الطائفة من الملحدين، أو من لا يلحدون ولكن يؤمنون بلا إيمان، وذلك من خلال التوكيد بالقسم بـ (عمر الله)، وهو قسم عظيم في حس المقسِم به لا يحلف به باطلا، وقد اعترض به بين فعل الذم والمخصوص بالذم، فلم يتمهل أن يتم جملة الذم حتى يوقع قسمه، وكأنه تعمد تأخير المخصوص بالذم (الرجل) – الذي هو رمز للملحدين – في اللفظ إشارة إلى تأخره وضعتِه في نظره واعتباره. وقدم عليه المقسم به لشرفه وعِظمه، ولا يخلو هذا القسم من إلماح دالّ على تعجبه من شأن هؤلاء؛ إذ إن من فلسفته في المرض أنه يكسب المرء فضل الإنسانية، وبر الفضيلة، وصحة الإيمان[2]، فكيف بهم إذا ما نشطوا من المرض والألم انقلبوا على أعقابهم متجردين من كل بر وفضل وإيمان؟!.

فجاء القسم معبرا عن شعوره بالغضب عليهم، والتعجب من حالهم.

ومن القسم بـ (لعمري) قوله:

لَعَمْرِي لَيْسَ في الدُّنْيا مَلِيحٌ ... يَكُونُ سَجِيَّةً فِيهِ الوَفاءُ[3]

---

(١) حديث القمر ص٦٦.

(٢) انظر حديث القمر ص٦٦.

(٣) ديوان الرافعي ١/ ٩٧.

يستخدم الرافعي ما كان العرب يستخدمونه من الحلف بحياتهم، فيقسم بحياة نفسه في قوله: (لعمري) ليقرر حقيقة استقرت في داخله، وهي انتفاء خلق الوفاء عن الحسان، وقد ساعده في ذلك اختيار القسم بـ(لعمري) لما يحمله من دلالة على الثبات والاستقرار(١)، فأجرى الحكم الذي أطلقه مجرى الحكمة الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان؛ لأنها ليست وليدة فترة معينة.

ويلاحَظ دخول لام الابتداء التي تفيد التوكيد على المقسم به.

ويحتمل أن يكون الدافع من وراء القسم هو إحساس الشاعر أن ما يقرره مجرد ادعاء ربما لا يسلم له من الاعتراض، فصدّره بالقسم ليتسنى له القبول والتصديق.

ومنه قوله:"**ولعمري إنه ليس أحد أخيَب رجاء، ولا أحق بأن يخيب ممن يسأل المتهالك على الربا– الذي يستنبت دراهمه بين الأحزان والدموع– إحسانا لوجه الله، فإنَّ الذي لا يعرف الله فيما يأخذ، كيف يعرف الله فيم يعطي؟**"(٢).

جاء القسم في سياق التنبيه على خطأ في توجّه الآخرين الذين يرجون الإحسان من المرابي، فأراد أن يؤكد لهم خطأ اعتقادهم الساذج من خلال أسلوب القسم بعمره، الذي ألمحُ فيه معنى التعجب، إضافة لمعنى التوكيد، وكأن قوله (لعمري) يرادف: (أقسم متعجبا). وقد تلقّى القسم بـ (إنّ) لأنه في مقام الإثبات والتوكيد، وزاد هذا التأكيد باللجوء إلى أسلوب البرهان العقلي مستعينا فيه بـ (إنّ) المؤكدة، إذ

---

(١) انظر الجمل المحتملة للاسمية والفعلية ص٩٢، ٩٣.

(٢) كتاب المساكين ص٥٣.

إنه لا يعقل أنَّ من لا يراعي ربه فيما يأخذ من أموال الناس بالربا، ولا يشفق عليهم، سيراعيه حين يسألونه العطاء!.

ولو أن الكاتب أجرى الكلام عاريا عن القسم ربما لم يحدث هذا التأثير العميق في نفوس المخاطبين.

ومنه قوله: "**ولَعمري إنّ ذلك التركيب الاجتماعي الذي يخلو من الحروب ليُزهّد الناس في جنة الله، ولا يدَع للأديان محلّا على الأرض**"(١).

يقدم الكاتب فلسفته في الحروب، فهو يرى أنها ضرورة اجتماعية، بل ودينية روحية، ويبدو هذا الرأي مغايرا تماما لما عليه عقول المخاطبين؛ فالثابت لديهم أن الحرب خراب ودمار وإفساد، حتى إنه ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك فيما جاء على لسان ملكة سبأ: ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾(٢)، والرافعي لا ينكر ذلك، بدليل أنه يقول في موضع سابق: "**فالحرب شر لا بد منه ...**"(٣)، ولكنه ينظر إلى المسألة من وجهة أخرى هي أن "**كل شر لا بد منه فهو خير لا غنى عنه**"(٤). وكأنه حين علم يقينا أن الحرب واقع مفروض راح يلتمس أوجه الخير في هذا الشر، كمن يحاول زرع الأمل في أرض اليأس، ولا شك في حاجته إلى الاستعانة بأسلوب القسم لتثبيت أركان هذه

---

(١) السابق ص١٥٥.

(٢) النمل: ٣٤.

(٣) كتاب المساكين ص١٥٤.

(٤) السابق ص١٥٤.

الفلسفة، ولأن المقسم عليه لا يعدو في النهاية أن يكون مجرد رأي خاص به، فاستخدم (لعمري) المؤكد باللام، ولعله قد اختار القسم بعمره الذي هو أعز ما يمتلك المرء ليكون ذلك مدعاة للإقناع وعدم التشكك فيما ادعى؛ إذ لا يُتصور أنه يقسم به باطلا، وهو عليه غال.

ومن القسم بـ (لعمرك) قوله:

لَعَمْرُكَ لَوْ تَبْنِي السِّياسَةُ حُجْرَةً ... بِغَيْرِ قُلُوبِ الناسِ باتَتْ تَزَعْزَعُ[1]

يأتي القسم هنا في سياق التحذير من سياسة الظلم، وما ينجم عنها من نتائج غير محمودة، وقد ناسب هذا السياق اختيار القسم بـ (لعمرك) لما فيه من إشارة واضحة إلى عناية الشاعر بالمخاطب، وحرصه على توجيه النصح والإرشاد له، فيقبل المخاطب بأذن مصغية وقلب مفتوح على ما سيلقيه عليه المتكلم.

ولمزيد من التوكيد أدخل لام الابتداء على القسم في قوله: (لعمرك)، وفي استخدام الرافعي لهذا القسم دليل على تمسّكه بالأساليب العربية في كلامه؛ فقد جرى على ألسنة العرب القسم بحياة مخاطبيهم تقديرا لهم، وإعزازا لمكانتهم، أو نحو ذلك.

ومن قسمه بـ (لعمري) و(عمر أبيك) قوله: **"ولعمري وعمر أبيك أيها القارئ، لو أن كاتبا ذهب فأكل فخلط فتضلع فنام فاستثقل فحلم أنه يتكلم في تفضيل كلمة العرب على تلك الآية، واجتهد جهده وهو نائم ذاهب الوعي، فلم يأل تحريفا واستطالة ... لما جاء في شأوه بأسخف ولا أبرد من مقالة (السيد)"**[2].

(١) ديوان الرافعي ٢/ ٢٢.

(٢) من وحي القلم ٣/ ٣٥٥.

يجمع الكاتب هنا بين قسمين من أقسام العرب، وهما القسم بـ(لعمري) و(عمر أبيك)، وقد جاءا مناسبين لمقتضىٰ الحال؛ فالكاتب في موقف المنافحة عن آية من آي الذكر الحكيم، والرد علىٰ من تطاول بتفضيل كلمة من كلام العرب عليها*.

وهذا الموقف يتطلب أمرين، الأول: القوة والثبات والاعتداد بالنفس من جهة المتكلم، وهو ما استفيد من القسم بـ (لعمري)؛ فإن صيغته تحمل هذه الدلالات. والثاني: إشراك القارئ في الحكم في تلك المسألة لكسب تأييده، وهو ما استفيد من القسم بـ (عمر أبيك)؛ لأن فيه إشعارا له بقدره حين ربطه بأصوله، وذكر له أمرا له مكانة عنده، ولعل هذا سبب إيثاره لهذا القسم علىٰ القسم بـ (عمرك).

وقد أفاد توكيد سخف وضلال ما ادعىٰ صاحب المقالة.

ثالثًا: الحروف:

يأتي الحديث عن الحروف في ظل الحديث عن التخفيف في جملة القسم؛ فالقسم أسلوب شائع في كلام العرب، جرىٰ علىٰ ألسنتهم بكثرة، فاستوجب ذلك إجراء الحذف عليه توخيا التخفيف منه، قال ابن يعيش: "اعلم أن اللفظ إذا كثر في ألسنتهم واستعمالهم آثروا تخفيفه، وعلىٰ حسب تفاوت الكثرة يتفاوت التخفيف، ولما كان القسم مما يكثر استعماله، ويتكرر دوره، بالغوا في تخفيفه من غير جهة واحدة"[٢].

---

* فضل كاتب (كوكب الشرق) قول العرب (القتل أنفىٰ للقتل) علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٩.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٩٤.

ومن الضروب التي توخىٰ العرب التخفيف في القسم فيها حذف الفعل، نحو: (بالله)، فتقديره: أقسم بالله، أو أحلف بالله[١]. ويحذف الفعل كثيرا للعلم به والاستغناء عنه[٢]، وحينها تستأثر الحروف بجملة القسم، ولذا خصصتها بفقرة مستقلة عن الأفعال، وإن كان الحرف في النهاية مع مجروره متعلقا بفعل قسم محذوف.

والحروف التي يصل بها القسم ثلاثة، هي: الباء والواو والتاء، هذه هي الحروف الأصلية.

١) <u>باء القسم</u>: وهي الأصل، فتدخل علىٰ كل محلوف به ظاهر أو مضمر، نحو: بالله لأفعلنّ، وبك لأفعلنّ[٣].

كما اختصت من بين حروف القسم بأمور منها: أنه يجوز ذكر فعل القسم معها[٤]. فيقال مثلا: أقسم بالله، وأحلف بالله. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾[٥].

وقد عالجت النماذج التي وردت فيها الباء في أدب الرافعي في الجزء الخاص بالأفعال؛ لأنني لم أعثر علىٰ نماذج انفردت بها الباء عن الفعل.

---

(١) انظر التخمير ٤/ ٢٥٠، ٢٥١، والصاحبي ص١٠٩، وتوجيه اللمع ص٤٧٦.

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٩٤.

(٣) انظر الجمل في النحو ص٢٠٨، والكتاب ١/ ٤٢١، والمقتضب ٢/ ٣١٧، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٣٥، والصاحبي ص١٠٩، والتخمير ٤/ ٢٥٢، والشرح الكبير ١/ ٥٣٤، وشرح الكافية الشافية ١/ ٣٨٧، ٣٨٨، والبسيط ٢/ ٩٢٤، ٩٢٥.

(٤) انظر التخمير ٤/ ٢٥٥، ومغني اللبيب ١/ ٢٣٩، والأشباه والنظائر ٢/ ٨٦، وهمع الهوامع ٤/ ٢٣٢.

(٥) النور: ٥٣.

٢) واو القسم: وهي بدل من الباء، ولذا فهي تدخل على الظاهر دون المضمر، نحو: والله لأكرمن[١]، ولكنها مع فرعيتها عن الباء أكثر أحرف القسم استعمالا. يقول سيبويه في حديثه عن حروف القسم: "وأكثرها الواو ثم الباء... ثم التاء"[٢]. ويقول الرضي عنها إنها "أكثر استعمالا من أصلها، أي الباء"[٣].

وقد ناظر هذا الواقع اللغوي لواو القسم استخدام الرافعي لهذا الحرف؛ فإني لم أجد في أدبه حرفا استعان به في القسم أكثر من الواو، مما يبين مدى حرصه على التمسك بالأساليب العربية والجري على قواعدها وعدم الخروج عليها.

وقد تعددت صور المقسم به بعد الواو على النحو التالي:

- **القسم بذات الله بالعلم الصريح وهو اسم (الله) تعالى.**
- **القسم بلفظ (الرب)، مريدا به الله عز وجل.**
- **القسم بصفة من صفاته تعالى.**
- **القسم بصيغة الاسم الموصول المتبوع بصلة فيها ذكر فعل من أفعاله عز وجل، أو صلة جملة اسمية تحمل خبرا متعلقا به سبحانه.**
- **القسم بأبيك.**

---

(١) انظر اللمع ص٢٤٢، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٧٥، وتوجيه اللمع ص٤٧٤، وشرح الأنموذج ص١٦٩، والشرح الكبير ١/ ٥٣٥، وشرح الكافية الشافية ١/ ٣٨٨، وهمع الهوامع ٤/ ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) الكتاب ٣/ ٤٩٦، وانظر الأصول لابن السراج ١/ ٤٣٠.

(٣) شرح الرضي ٤/ ٣٠٠، وانظر القسم في الحديث الشريف ص٢٧.

القسم بذات الله:

جاء القسم بذات الله في أدب الرافعي علىٰ صورتين:

الصورة الأولىٰ: مفردا، ويُقصد به مجيؤه عاريا عن شيء بعده كالوصف والإضافة ونحوهما.

الصورة الثانية: مركبا، فقد جاء في صورة التركيب الوصفي كما جاء في صورة التركيب الإضافي.

ومن مجيئه علىٰ صورة المفرد قوله:

أَنَا واللهِ أَشْتَهِي المَوْتَ في الحُبِّ لِيَأْسَىٰ عَلَيَّ هَذَا البَخِيلُ[1]

وقع القسم هنا في حشو الكلام معترضا بين ركني الإسناد: المبتدأ (أنا)، والخبر (أشتهي)، وقد ذكر النحاة أن القسم إذا وقع في حشو الكلام كان لغوا[2]. ولكن هذا لا يعني أن ذكره في الكلام يخلو من دلالة، ففي هذا البيت يؤكد الشاعر أنه يطلب الموت في هوىٰ من أحب، وربما قد أحس ما في خبره من غرابة بيّنة، إذ من ذا الذي (يشتهي الموت) وكأنه أمر محبوب للنفس؟!. فدفعه هذا الإحساس إلىٰ أن يعقب المبتدأ بالقسم قبل أن يذكر ذلك الخبر الغريب، وما كل ذلك إلا ليحزن عليه حبيبه البخيل، وفي الاعتراض دلالة علىٰ التوكيد[3] تنضاف إلىٰ دلالة القسم عليه، فكأن الاعتراض بالقسم أفاد الجملة توكيدين.

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٨٦.

(٢) انظر التخمير ٤/ ٢٤٩.

(٣) انظر قراءة في الأدب القديم ص ٥٥، ٥٦.

ومجيء الخبر جملة فعلية فعلها مضارع يدل علىٰ استمرار هذا الفعل وتجدده؛ لأن الفعل المضارع ببنيته صالح لزماني الحال والاستقبال[١]. ولم يقل مثلا: اشتهيت؛ لأنه يدل علىٰ أنه أمر حدث وانتهىٰ.

ومنه قوله:

فَوالله إِنَّ الحُبَّ خَيْرُ مَحَاسِني ووالله إِنَّ الحُبَّ شرَّ عُيُوبِي[٢]

تتضح قيمة القسم من خلال النظر إلىٰ السياق الذي ورد فيه؛ ففي هذا البيت تناقض جليّ، إذ كيف يكون الحب خير محاسنه، وهو ذاته شر عيوبه؟!. فهذان ضدان لا يجتمعان معا في آن واحد، فيأتي هنا دور القسم لرد هذا التناقض، ومحاولة تقريب الأمر المقسم عليه من دائرة القبول، ولذا تلقىٰ المقسم عليه بـ (إن) التي تفيد التوكيد في مقام الإثبات[٣]. وقد مهد لهذا القسم بالأبيات السابقة عليه إذ قال:

أَلَا لَيْتَ لِي قَلْبَيْنِ : قَلْبٌ بِحُبِّهِ مَرِيضٌ، وقَلْبٌ بَعْدَ ذَاكَ طَبِيبِي
وَيَا لَيْتَ لِي نَفْسَيْنِ: مِن رِئْمِ رَوْضَةٍ أَلُوفٍ، ومِنْ ذِي لِبْدَتَيْنِ غَضُوبِ[٤]

وفيها دليل واضح علىٰ التناقض والتضاد، فهو يتمنىٰ أن يحمل قلبين متناقضين: (مريض، وطبيب)، ونفسين متناكرتين: (من رئم روضة، ومن ذي لبدتين).

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٦.

(٢) أوراق الورد ص٥٨.

(٣) انظر التخمير ٤/ ٢٤٩، وتوجيه اللمع ص٤٨٠، والشرح الكبير ١/ ٥٣٧، وشرح الرضي ٤/ ٣٠٨، وشرح جمل الزجاجي لابن هشام ص١٥٨.

(٤) أوراق الورد ص٥٨.

ثم يقسم بـ (الله) مرة ثانية في قوله: "... **فقد- والله- كاد هذا الحب أن يجعلني على اختلاف أيامه أشخاصا مختلفين متناكرين**"(١). وكأنه بهذا القسم الجديد يقدم تسويغا لهذه الحال، ويؤكد أن مبدأ الأمر ومنتهاه عند الحب واختلاف أيامه معا، إلى أن أصبح على هذه الصورة من الاختلاف الكبير، وبات الحب أحسن محاسنه في ساعات الرضا، وشر عيوبه في أوقات الألم.

ومنه قوله: "**فوالله ما كان أمرها على ما رجمتَ، وإنها لأبلغ ذات لسان، وأبرع ذات فكر، وأروع ذات نفس**"(٢).

ورد القسم هنا في معرض منافحة محب عن حبيبته بنفي المظنة التي لحقتها من صديقه الذي كان يقص عليه من أنبائها، فيؤكد الكاتب أنها بخلاف ما رجم صديقه بالغيب من أن الوصف الذي ذكر في حقها ما هو إلا مبالغة من وهم محب عاشق!. فاستنفر هذا الاستنكار حميّة المحب، فأنشأ يقسم بـ (الله)، وهو قسم عظيم يلقي في روع المخاطب الهيبة والإجلال مما يجعله مهيئا لاستقبال ما يقسم عليه المتكلم بالتسليم واليقين. ثم يأتي جواب القسم مصدرا بـ (ما) النافية، لأن المقام يستدعي النفي، ويتبع ذلك التوكيد بـ (إن) على جملة صفات لها جاء بها بمثابة البرهان على صدق ما ادعى لها، وأنه ما بالغ في وصفها بَدِيّا، وإنما هي كذلك.

ولو أن الكلام جاء عاريا عن القسم، كأن يقول: "ما كان أمرها على ما رجمتَ" ما شف لنا عن نفسية الكاتب، وما اعتمل فيها من مشاعر، وما أضفى على الأسلوب تلك القوة التي ظهرت مع القسم.

---

(١) السابق ص٥٩.

(٢) رسائل الأحزان ص٦٥.

ومنه قوله: "**فقلت لها: إن جزاء ما قدمتِ ما تسمعينه مني، والله لأجعلنَّكِ حظي من دنياي فيما يؤثره الرجل من المرأة، ولأضربنَّ على نفسي الحجاب ما تنظر نفسي أنثى غيركِ أبدا. ثم أتممت سرورها فحدثتها بما حفظته عن أبي عبدالله البلخي، فأيقنت – والله يا أحمد – أنها نزلت مني في أرفع منازلها...**"(١).

جاء القسم هنا ملبيا لحاجة الكلام له، ومطابقا لمقتضى الحال، ففي هذا النص زوج قد رزئ بزوجة دميمة شوهاء، ولكنها مع ذلك تتمتع بفضل عقل وكريم خلق وحسن منطق. وهنا يأتي القسم ليشف لنا عن مشاعر القلق والاضطراب التي تملكت تلك الزوجة من خوفها بعدم قبول زوجها لها، تلك المشاعر التي أملت عليه أن يقسم ليؤكد لها رضاه بها حظا من الدنيا. ولعل في إيثاره القسم بـ (الله) ما يحمل لفظ الجلالة من إشعار للمخاطب بالطمأنينة والسكينة، وقد تلقى القسم باللام المؤكدة(٢) مما زاد من توكيد الجملة إضافة إلى نون التوكيد(٣). وكأن المتكلم أحس أنه قد نجح فيما قصد

---

(١) من وحي القلم ١/ ١٣٧، ١٣٨.

(٢) يقول الزجاجي: "وهذه اللام لشدة توكيدها وتحقيقها ما تدخل عليه يقدر بعض الناس قبلها قسما، ... ولكن إذا وقع بعدها المستقبل ومعه النون الثقيلة أو الخفيفة فهي لام القسم، ذكر القسم قبلها أو لم يذكر". كتاب اللامات ص ٧٨، ٧٩. ويقول ابن جني: "واعلم أن لام الابتداء أحد الحرفين الموجبين اللذين يتلقى بهما القسم، وهما اللام وإن" سر صناعة الإعراب ١/ ٣٣٢، ٣٣٣. ويقول الخوارزمي في التخمير: "أما لام اليمين وجوابها فمعناها تأكيد معنى الخبر في المقسم عليه مع ربطه بحرف القسم، كقولك: والله ليقومن زيد" التخمير ٤/ ١٦٧، وانظر ٤/ ٤٩. وذكر المالقي من أقسام اللام "أن تكون للتأكيد، أي لتمكن المعنى من النفس"، ومن مواضعها في ذلك "جواب القسم، نحو: والله لزيد قائم، ووالله ليقومن زيد وقوله تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ الأنبياء: ٥٧" رصف المباني ص ٢٤٢. وبذا قال المرادي، انظر الجنى الداني ص١٣٤، ١٣٥.

(٣) يقول الخوارزمي: "القسم إذا أجيب لا بد أن يكون معه نون التوكيد كقولك: بالله لأفعلن" التخمير ٤/ ٢٤٩.

من توصيل شعور اليقين لها، فأنشأ يقسم علىٰ ذلك بقوله: (فأيقنت والله أنها نزلت مني في أرفع منازلها).

ومن مجيء القسم بذات الله بالعلم الصريح، وهو اسم (الله) تعالىٰ علىٰ صورة التركيب الوصفي قوله:"ووالله خالق الجنة والنار، لو كان في سواء الجحيم غرفة من الجنة بنعيمها وزينتها، أو كان في سرارة الجنة قاع من جهنم بعذابه وآلامه، لكانا معا أشبه بها أجد منك"[1].

يقسم الرافعي بلفظ الجلالة (الله)، ثم يتبعه بصفة من صفاته، وهي (خالق الجنة والنار) ليؤكد اجتماع شعورين متنافرين في نفسه: نعيم الحب وعذابه، وأحسب أن إطالة القسم بهذا الوصف جاء لتفخيم شأن ما يقسم عليه، فلا يستهين به المخاطب الملقىٰ إليه بالقسم، وأما اختياره هذه الصفة خاصة، وهي صفة الخلق، وإضافتها إلىٰ الجنة والنار، فكان بمثابة التمهيد لجواب القسم لما بينهما من علاقة واضحة، وبذلك يكون القسم قد حقق مقصد المتكلم في إيصال ما في نفسه إلىٰ المخاطب من جهة، وفي التأثير فيه من جهة أخرىٰ، وقد أشار العقاد إلىٰ هذا المعنىٰ بقوله:"وقد أنقل المعنىٰ لأوصل ما في نفسي إلىٰ نفس السامع، وأكتفي بهذا، وقد أنقله لأؤثر فيه... فالتركيز علىٰ المقصد هو المهم"[2].

(١) أوراق الورد ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) تعقيب العقاد علىٰ محاضرة بعنوان: نظرة نقدية في مبادئ البلاغة ص ٧٣ المجمع اللغوي ١٩٦٣ نقلا عن أثر النحاة في البحث البلاغي ص١٩٧، لأنني بحثت في مجلة المجمع اللغوي بطبعتي القاهرة ودمشق لسنة ١٩٦٣م، فلم أجد هذا النص، فالعهدة علىٰ الناقل.

ومنه قوله: "**والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت كالمنافق رجلا إلا ذلك الواقف يدير وجهه بين مَرائِيَّ عن يمينه وشماله ومن ورائه وبين يديه، فله في كل واحدة وجه، ويتعدد الرجل وهو شيء واحد**"[1].

يؤكد الكاتب من خلال القسم تعدد أوجه المنافق، وقد جاء القسم باسم الله تعالى موصوفا بالاسم الموصول (الذي)، وصلته صفة من صفاته سبحانه، وهي صفة الوحدانية، ومن الواضح لي أن هذا الإطناب للمقسم به لم يكن عبثا، وإنما أتى به ليوصل للمتلقي مدى نفوره من شخص المنافق الذي يظهر بألف شكل وصورة. وحرصه على نقل هذا الشعور حدا به إلى استخدام هذا النمط القوي من أنماط القسم، وبذا لم يقتصر القسم على أنه وسيلة من وسائل التوكيد فقط، بل تعدى ذلك إلى أن غدا وسيلة فنية لتصوير أحاسيس المتكلم ومشاعره الداخلية، دليل ذلك أننا لو تأملنا الصورة التي قدمها لألفينا عدم حاجتها إلى التوكيد ابتداء، إذ هي صورة مستقرة في أذهان الناس وفي موروثهم الثقافي، وهي أن المنافق له وجوه عديدة.

ومن مجيء القسم بلفظ (الرب) مريدا به الله عز وجل في صورة التركيب الإضافي قوله:

فَوَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ إِنِّي لَأَرَىٰ في مَصارِعِ الحُبِّ رَمْسِي[2]

يؤكد الشاعر بلوغه في الوفاء أقصى المراقي، وقد استعان في ذلك بالقسم برب السماء والأرض ليضفي على حديثه التعظيم والتفخيم والمبالغة أيضًا في أمر ما يقسم

---

(١) السحاب الأحمر ص١١٤.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ٩٢.

عليه، وهو أنه أصبح (يرىٰ) رأي العين نهايته في هذا الحب الذي يفي له. وإضافة (الرب) إلىٰ (السماء والأرض) وهما من مخلوقات الله من قبيل نسبة المخلوق إلىٰ الخالق علىٰ سبيل التعظيم والتشريف، وهو مما يتيح فرصة للمتكلم أن يعظم حديثه، ويؤكده بلفت النظر إلىٰ أمور معظمة في عرف الناس(١).

وهناك دافع آخر ربما كان سببا في استخدام القسم هنا، ألا وهو إحساس الشاعر أنه في موضع اتهام وظن بالنسيان، وهو شيمة تنافي الوفاء، والشاهد علىٰ ذلك قوله في مفتتح القصيدة:

زَعَمُونِي نَسِيتُ، والهَجْرُ يُنْسِي وتَلاهَيْتُ بَعْدَ أيَّامِ أُنْسِي(٢)

فحرك هذا الظن شعوره، فأنشأ القسم ليدفع هذا الزعم عن نفسه، ويسد به ذرائع الشك فيه.

وقد أجيب القسم بالجملة الاسمية المنسوخة، والسبب في ذلك ما تفيده هذه الجملة من توكيد يتناسب مع المقصود من القسم، قال الأزهري: "وإنما دخلت (اللام) بعد (إنَّ) لأنها شبيهة بالقسم في التأكيد، قاله سيبويه"(٣). ويمكن من ذلك فهم وجود ارتباط بين مجيء جملة القسم المثبتة وتلقّيها بـ (إنَّ) المكسورة، وكثرة مجيء لام الابتداء المؤكدة في خبرها. وقد أشار النحاة إلىٰ ذلك(٤).

---

(١) انظر القسم في الحديث الشريف ص٦٤.

(٢)ديوان الرافعي ١/ ٩٢.

(٣) شرح التصريح علىٰ التوضيح ١/ ٣١١، وانظر الكتاب ٣/ ١٤٦، ١٤٧.

(٤) انظر التخمير ٤/ ٢٤٩، وتوجيه اللمع ص٤٨٠، والشرح الكبير ١/ ٥٣٧، وشرح الرضي ٤/ ٣٠٨، وشرح جمل الزجاجي لابن هشام ص١٥٨.

ومن القسم بصفة من صفات الله تعالى قوله:"ولا ومُصرّف القلوب، إنْ ذكرته منذ لحق بربه إلا أخذني من الحنين إليه ما لا يكون مثله لصديق ميت، بل لحبيب هاجر يشعرك موت الأيام كيف يكون"(١).

يستهل الرافعي القسم بالنفي بـ (لا) من قبيل توطئة نفي المقسم عليه، أي أنه يؤذِن من بادئ الأمر أنه يقسم على شيء لم يكن ليحدث. كما يحتمل أن تكون (لا) زائدة لتأكيد معنى القسم، أو "للإيذان بأن جواب القسم منفي"(٢)، كما زيدت في قوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٣)

وفي قول الشاعر:

فَلَا واللهِ ما في العَيْشِ خَيْرٌ ولا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ(٤)

و"يقصد المتكلم توكيد نفي المحلوف عليه، فيوقع القسم بين نافيين"(٥).

ثم يأتي القسم ليؤكد من خلاله أن الأيام لم تنقص من رصيد الشوق والحنين ولا ذرة من قلبه لهذا الراحل (منذ لحق ربه).

---

(١) السحاب الأحمر ص١٢٩.

(٢) شرح الرضي ٤/ ٤٣٦، وانظر لا النافية بين الحذف والزيادة ص٣٥.

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) البيت لأبي تمام في ديوانه ٤/ ٢٩٧، وفي لا النافية بين الحذف والزيادة ص٣٥.

(٥) كقول بعض الطائيين:

أَخِلائِي لا تَنسَوْا مَواثِيقَ بينَنا فَإني لا واللهِ ما زِلْتُ ذاكِرَا

شرح الكافية الشافية ١/ ٣٨٣.

ووجه مناسبة القسم بهذه الصفة من بين صفات الله تعالىٰ أن ما يقسم عليه قد يخالف المألوف في الواقع الإنساني في العلاقات؛ فإن بعد الأحبة يورث السلوىٰ، ومع مرور الزمن يورث النسيان، ولذا استعان بـ (مُصرّف القلوب) القادر علىٰ تصريف قلوب العباد في أي وجه شاء، فهو المتولي لها، وفي الحديث الشريف:"إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يُقلِّبها"[١]. فلا غرابة إذن أن يظل قلبه علىٰ هذه الحال من الذكرىٰ والحنين.

وقد جاء جواب القسم في صورة الحصر بـ (إنْ) النافية، و(إلا) لإفادة توكيد دوام تلك الحال.

ومن القسم بالاسم الموصول المتبوع بصلة جملة فعلية قوله:

والذِي أَثْقَلَ الرَّواسِيَ إِنِّي لَأَرَىٰ ظِلَّكُمْ عَلَىٰ الأَرْضِ صَخْرَا[٢]

يؤكد الشاعر مدىٰ استثقاله لهؤلاء اللّوّام السفهاء، وقد آثر توكيد شعوره بهذا القسم العظيم (والذي أثقل الرواسي) لما له من دور مهم في الدلالة علىٰ المعنىٰ المراد توصيله للمتلقي، فحين يقرع سمعه هذا القسم المطول يدرك أن خلفه شعورا عميقا أنتجه بهذا الشكل، فهو بذلك يعكس حالة المتكلم النفسية تجاه هؤلاء، فإن صورة ثقلهم في عينه استدعت صورة الجبال الراسية وعظيم ثقلها علىٰ الأرض، مما ناسبه الحلف بمن أثقل تلك الجبال.

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٤٦٩.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ١١٩.

ومن جانب آخر نلحظ الملاءمة اللفظية بين لفظتي (الرواسي) و(صخرا) مما يخدم الربط بين الصورتين.

وللرافعي ولع ظاهر بإحداث العلاقة والمطابقة بين المقسم به والمقسم عليه.

وأجيب القسم بجملة اسمية مثبتة منسوخة لما تفيده من توكيد يناسب القسم، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

ومن القسم بالاسم الموصول وصلته جملة اسمية قوله:

أَمَا والذِي في يَدَيْهِ القُلُوبُ لَقَدْ أَمْسَتِ العَيْنُ لا تَهْجَعُ[١]

مهد الشاعر لقسمه بالتنبيه بـ (أمَا) ليهيء المخاطب لاستقبال ما يلقي له من كلام، ثم يأتي القسم بـ (الذي في يديه القلوب) ليؤكد فراق الكرى عينه مذ فارقه أحبته.

وقد جاء اختيار المقسم به مناسبا للسياق الذي وقع فيه؛ لأنه يقسم على أمر له صلة بشأن القلوب وأحوالها، وقد افتتح القصيدة بعتاب إلى قلبه الذي فارقه، وهو يناديه ولكنه لا يسمع له نداء:

أُنادِيكَ يا قَلْبُ مُذْ وَدَّعُوا فما لي أُنادِي ولا تَسْمَعُ[٢]

وكأنه بعد ذلك فطن إلى أن قلبه ليس بمَلْكه، بل هو بملك من في يده القلوب يقلبها كيف يشاء، فأنشأ هذا القسم عن اقتناع بمعناه.

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٨٩.

(٢) السابق ١/ ٨٩.

وقد تلقىٰ القسم بلام التوكيد الداخلة علىٰ (قد)، والتي تفيد التحقيق لدخولها علىٰ الماضي[١].

ومنه قوله: "**ولكنّ في الرجل شيئا ينقذ المرأة منه، وإن هلك بحبها، وإن هدمت عيناها من حافاته وجوانبه. فيه الرجولة إذا كان شهما، وفيه الضمير إذا كان شريفا، وفيه الدم إذا كان كريما، فوالذي نفسي بيده*، لا تعوذ المرأة بشيء من ذلك ساعة تُجَنّ عواطفه، وينفر طائر حلمه من صدره إلا عاذت والله بمعاذ يحميها، ويعصمها، ويمد علىٰ طهارتها جناح ملك من الملائكة**"[٢].

يؤكد الكاتب أن صفات الرجل الشريف هي أعظم حام للمرأة منه إذا احتمت. واستخدم في ذلك القسم بالاسم الموصول (الذي)، وفي صلته صفة من صفات الله تعالىٰ (نفسي بيده)، فهو المالك للنفوس، المتصرف في أمرها. وأتىٰ القسم متمكنا في موقعه؛ لأنه متلائم مع السياق، إذ إنه أراد غرس اليقين في نفس مخاطبه، واقتلاع الوساوس منها؛ لأن ما أقسم عليه من الوارد الشك فيه؛ إذ كيف يمكن أن تكون المرأة في مأمن ومعاذ أمام رجل قد أخذت بمجامع قلبه؟ فأحوج الكاتب ذلك إلىٰ القسم بمعظّم، ووفق في اختيار صلة الموصول، فالذي نفسي ونفوس العباد بيده قادر علىٰ التحكم فيها، وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وإلهامها رشدها، مصداقا لقوله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾[٣].

---

(١) انظر شرح التسهيل ٤/ ١٠٨، وشرح الرضي ٤/ ٤٤٤، وهمع الهوامع ٤/ ٣٧٩.

* "والذي نفسي بيده هو قسم كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم كثيرا ما يقسم به". فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢/ ١٢٩.

(٢) رسائل الأحزان ص٦٦، ٦٧.

(٣) الشمس: ٧، ٨.

وكأنه لَـمَّا يطمئن إلى أن فكرته قد استقرت تمام الاستقرار في نفس المخاطب، فالتمس قسما آخر ليدعم التوكيد، وإن كان في قسمه الأول أقسم بالاسم الموصول مُكنّيا عن ذات الله فقد صرح به في المرة الثانية حين أقسم باسم الله (والله).

ومن القسم بـ (أبيك) قوله:

وأَراهُ أَحْيَا لِلبَلاغَةِ دَوْلَةً … ماتَ ابْنُ بُرْدٍ دُونَها والأَصْمَعِي
وأَبِيكَ لَوْلَا مُعْجِزاتُ بَيانِهِ … ما كانَ في إِحْيائِها مِنْ مَطمَعِ[1]

أتى الرافعي بالقسم هنا في سياق المدح، وهو من السياقات التي يُطلب التوكيد فيها، بسبب كثرة ما يُرتكب في المدح من مبالغات وتهويلات طلبا لإرضاء الممدوح. ففي هذا البيت يؤكد عظيم فضل رب السيف والقلم محمود سامي البارودي في إحياء البلاغة العربية، مستعينا في ذلك بالقسم بـ (أبيك) لما فيه من تعظيم وإجلال لشأن المخاطب، الأمر الذي يتناسب وغرض المدح.

ولعل المخاطب هنا في (أبيك) هو الممدوح ذاته، ثم عدل الشاعر بعد ذلك من الخطاب إلى الغيبة في (بيانه) على طريقة الالتفات لغرض بياني أراده.

والالتفات عادة افتنان في الكلام وتصرف فيه، والكلام "إذا نقل من أسلوب لأسلوب كان ذلك أحسن، تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"[2].

(١) ديوان الرافعي ١/ ٤٢.

(٢) الكشاف ١/ ٥٦.

٣) **تاء القسم**: وهي بدل من الواو، "ولما كانت بدلا عن بدل اختصت باسم الله تعالى خاصة؛ لأنه أكثر في باب القسم"(١)، نحو: تالله لأفعلن، "وحكى الأخفش دخولها على الرب، حكى من كلامهم: تَرَبِّ الكعبة لأفعلن كذا"(٢)، وقيل إنه شاذ(٣)، "وهو على شذوذه يتفق في المعنى مع قولهم تالله"(٤).

وقد أَلْمح النحاة إلى أن في (التاء) زيادة معنى وهو التعجب، قال سيبويه:"وقد تقول تالله وفيها معنى التعجب"(٥)، وقال الطاهر بن عاشور:"والتاء تختص بقسم على أمر متعجب منه، وتختص باسم الجلالة"(٦). وبذلك يكون القسم قد خرج عن أصل معناه ليفيد معنى التعجب،"ويبدو أن علة هذا الخروج البلاغية قائمة على أصل معنى القسم في إفادته التوكيد، فيكون التعجب بها دالا على التوكيد والمبالغة في إظهار التعجب أو الدهشة"(٧).

وقد أشار إلى ذلك الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾(٨)، **فقال:**"... كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتّيه؛ لأن ذلك كان أمرا

(١) اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٧٥، وانظر الكتاب ٣/ ٤٩٦، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٣٣، واللمع ص٢٤٢، وشرح الأنموذج ص١٦٩، وشرح الرضي ٤/ ٣٠٠، وهمع الهوامع ٤/ ٢٣٥.

(٢) الشرح الكبير ١/ ٥٣٥، وانظر شرح الكافية الشافية ١/ ٣٨٨، ومغني اللبيب ١/ ٢٦٢.

(٣) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٧٥، وهمع الهوامع ٤/ ٢٣٥.

(٤) القسم في الحديث الشريف ص٣٧.

(٥) الكتاب ٣/ ٤٩٧، وانظر الأصول لابن السراج لابن السراج ١/ ٤٣٠، ومعاني الحروف ص٤١، ومغني اللبيب ١/ ٢٦٢.

(٦) التحرير والتنوير ١٧/ ٩٧.

(٧) الأصول البلاغية في كتاب سيبويه ص١٨٨.

(٨) الأنبياء: ٥٧.

مقنوطا منه لصعوبته وتعذّره، ولعمري إن مثله صعب متعذر في كل زمان، خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه..."[1].

وفهم بعض العلماء من تفسير الزمخشري أن"المقسم عليه بالتاء يكون نادر الوقوع؛ لأن الشيء المتعجب منه لا يكثر وقوعه، ومِنْ ثَمَّ قل استعمال التاء، إلا مع اسم الجلالة؛ لأن القسم باسم الجلالة أقوى القسم"[2"، ووصف بعض النحاة القسم بـ (تالله) أنه أغرب ألفاظ القسم بالنسبة لأخواتها؛ فإن (والله) و(بالله) أكثر استعمالا وأعرف عند الكافة[3].

ولم تأتِ تاء القسم في أدب الرافعي إلا مع لفظ الجلالة، وهذا ما يتماشى مع المشهور في استعمالها.

ومن ذلك قوله:

هُمُ الناسُ حَتَّىٰ يَرْوِيَ الأَرْضَ مَدْمَعُ وتَاللهِ يُرْوَىٰ آكِلٌ لَيْسَ يَشْبَعُ[4]

ورد هذا البيت في سياق الحديث عن أفانين الحرب وويلاتها، وأنها لا ترضىٰ إلا بريّ الأرض من مدامع البشر، فيقسم الشاعر متعجبا من ري أَكُول نَهِم؛ إذ كيف يُروىٰ من لا يشبع؟!. وهو تعبير في غاية اللطف، وقد أُجري مجرىٰ الحكمة، مع جمعه التعجب إلى القسم المستفاد من القسم بالتاء. وتجدر الإشارة إلى ما جرىٰ من حذف لحرف النفي بعد القسم، والتقدير: وتالله لا يروىٰ، فحذفت توسعا وإيجازا،

(١) الكشاف ٣/ ١٢٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٣/ ٤٣، ٤٤، وانظر القسم في الحديث الشريف ص٣٨.

(٣) انظر خصائص التراكيب ص١٥٧.

(٤) ديوان الرافعي ٢/ ٢١.

وهي مرادة، نحو قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾[١]، "أراد: لا تفتأ، فحذف حرف النفي؛ لأنه لا يلتبس بالإثبات، لأنه لو كان إثباتا لم يكن بد من اللام والنون"[٢]. وحذْف حرف النفي – وهو خلاف الأصل – جاء متلائما مع الجو النفسي للشاعر؛ لأن في حذفه من لفظ الكلام إشارة خفية لرغبته في حذفه من الواقع إن يستطع، كما يفهم منه تعويل الشاعر على السياق ثقة في فهم السامع[٣].

ومنه قوله:

تَاللهِ لَوْ سَمِعَ الزَّمانُ تَنَهُّدِي يَوْمَ الجَفَا لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا جَفَا[٤]

يصور الشاعر لوعة الجفاء، وتأثيره في نفسه، وذلك من خلال القسم بـ (تالله) مؤكدا تعاطف الزمان معه شفقة له، وهو قسم يحمل في طياته المبالغة من جهة الشاعر في تضخيم شعوره بالأسىٰ والحزن، كما يحمل التعجب من قساوة هاجره؛ إذ حال الزمان هذه. والمبالغة والتعجب مما يناسبها القسم بـ (تالله) دون غيرها من ألفاظ القسم.

ومنه قوله:

تَاللهِ لَوْ جَدَّدُوا لِلبَدْرِ تَسْمِيةً لَأُعْطِيَ اسْمَكِ يا مَنْ تَعْشَقُ المُقَلُ[٥]

---

(١) يوسف: ٨٥.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٧٠.
(٣) انظر خصائص التراكيب ص١٥٦، ومنه قول امرئ القيس:
فقلتُ يمينَ الله أبرَحُ قاعدًا ولو قَطَعُوا رأسِي لدَيْكِ وأَوْصالي
ديوان امرئ القيس ص٦١، وفي اللمع ص٢٤٤.
وهو يريد: يمين الله لا أبرح.
(٤) ديوان الرافعي ٣/ ٧٣.
(٥) أوراق الورد ص٣٨.

يريد الشاعر من خلال القسم أن يؤكد جمال حبيبته وفتنة صورتها، لدرجة أنه لو أريد تجديد اسم البدر لكان اسمها علما عليه. وهذه المبالغة في الوصف ناسبها القسم بـ (تالله)، وقد سبقت الإشارة إلى دلالة هذا اللفظ على التوكيد والمبالغة في إظهار التعجب أو الدهشة.

ومنه قوله: "**وتالله إنه لأيسَرُ على الباحث أن يجِد السراب الذي يغترِف منه الظمآن بكفَّيْه ماء زُلالا مِن أنْ يعثُر على الكأس التي يقتَبِس منها السِّكِّير فضيلة أو فائدة**"(١).

جاء التوكيد بالقسم في موضع التنفير من محذور؛ فإن الكاتب ينعى على ظن بعض الأدباء أن الخمر ملهمة وموحية، مقسما على أن السراب الذي يحسبه الظمآن ماء قد يكون له وجود عن وجود الفضيلة أو النفع من الخمر. وقد ناسب القسم بـ (تالله) سياق الكلام؛ لأن من الواضح أن المقسم عليه أمر بعيد عن الوقوع، ولذا عمد إلى توكيده، واختار له ما يناسبه من ألفاظ القسم (تالله) لما ذُكر آنفا من أن المقسم عليه بالتاء نادر الوقوع؛ لأن الشيء المتعجب منه لا يكثر وقوعه.

ولزيادة التوكيد تلقّى القسم بـ (إنّ)، ووقع في خبرها لام الابتداء المؤكدة.

ومنه قوله: "**وتالله ما شيء أسوأ عند العزَب ولا أكره إليه من بقائه عزَبا**"(٢).

يأتي القسم هنا ردا على رأي الكاتب في مشكلة استحالة الزواج التي يحمّل فيها الرجل المسؤولية في المقام الأول. فيؤكد (العزب) من خلال القسم أن العزوبة أمر بغيض إلى نفس أي شاب، ووجه مناسبة القسم بـ (تالله) ما في المقسم عليه من خبر

---

(١) السحاب الأحمر ص١١٨.

(٢) من وحي القلم ١/ ١٩٤.

يدعو للتعجب والدهشة، لأنه ينافي تماما ما عليه معتقد الكاتب من أن العزوبة حال محبوبة لدى الشباب لا يبغون عنها حولا، بل ينتحلون المعاذير الواهية والعلل الباطلة للمروق من ربقة الزواج.

ومن هنا جاءت الحاجة إلى القسم، وناسب استخدام هذا اللفظ من ألفاظه في محاولة لنفي ما لحق بهم من ظنون.

وقد تلقى القسم بـ (ما النافية) لأنه في مقام النفي.

هذا، وقد وردت نماذج من أدب الرافعي حُذف فيها جملة القسم. وحذف جملة القسم كثير، وتدل عليه حينئذ اللام[1]، وتسمى لام القسم أو لام اليمين[2]؛ لأنها "إذا وليت المستقبل فلحقته النون لم تأت إلا على نية القسم"[3]، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾[4]، أي: والله لتعلمن. ويحدد ابن هشام مواضع حذف جملة القسم في قوله:"وحيث قيل: (لأفعلن) أو (لقد فعل) أو (لئن فعل)، ولم يتقدم جملة قسم فثم جملة قسم مقدرة، نحو: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[5] الآية، و﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾[6]،و﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾[7][8].

واللام في (لئن) زائدة مؤكدة[9].

---

(١) انظر البسيط ٢/ ٩١١.

(٢) انظر الكتاب ٤/ ٢١٧.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٤١، وانظر الكتاب ٣/ ١٠٦، وكتاب اللامات ص٧٨.

(٤) ص: ٨٨.

(٥) النمل: ٢١.

(٦) آل عمران: ١٥٢.

(٧) الحشر: ١٢.

(٨) مغني اللبيب ٢/ ١٣٢٧، وانظر ١/ ٥١٧، وانظر الكتاب ٣/ ١٠٧، ١٠٨.

(٩) انظر سر صناعة الإعراب ١/ ٣٤١.

ومن تلك النماذج قوله:

لَئِنْ مَنَعُوكِ فَسِلْكُ المَنامِ ما انْـفَكَّ ما بَيْنَنا يَنْقُلُ[١]

في هذا البيت جملة قسم محذوفة نبهت عليها اللام المؤطئة في قوله: (لئن)[٢]، وغرضه توكيد دوام الوصل بينه وبين حبيبته، وإن حُجبت عن ناظريه. ولعل في اختيار الشاعر هذا النمط من أنماط القسم إرادة الجمع بين القسم والشرط، وهو ما لا يتحقق إلا من خلال هذا التعبير، كما أنه يبين عدم انشغاله باختيار أداة القسم والمقسم به، بل وقع مباشرة على الأمر المعنّى به الذي يريد توكيده، وترك تقدير أجزاء القسم المحذوفة للمتلقي من باب مشاركة المتلقي للمبدع في عملية الإبداع.

ومنه قوله:

لَقَدْ كَذَبَ العَواذِلُ يَوْمَ قالُوا سَلَا أَوْ سَوْفَ يَنْساهُ فَيَسْلُو
وما أَنا والسُّلُوَّ ونَحْنُ قَوْمٌ إِذَا بَلَغُوا الهِدايَةَ لَمْ يَضِلُّوا[٣]

ينفي الشاعر عن نفسه السلوان في حبه، وذلك عن طريق التوكيد بأسلوب القسم الذي حذف جملته، وترك اللام مع (قد) دليلا عليها، وكأن حرقة اتهام العواذل له ألْـهتْه عن التفكير في ذكر المقسم به وأداته، وجعلته يصب اهتمامه على توكيد كذبهم وزعمهم مباشرة، ثم جاء البيت التالي بمثابة الاستدلال المنطقي على ما قدم؛ فمن بلغ

---

(١) ديوان الرافعي ٢/ ١١٢.

(٢) يقول المرادي عن اللام الموطئة: "وهي الداخلة على أداة الشرط ... فإن كان القسم مذكورا لم تلزم، وإن كان محذوفا لزمت غالبا... وإنما سميت هذه اللام موطئة لأنها وطأت للجواب، وتسمى أيضا المؤذنة". الجنى الداني ص١٣٦، ١٣٧، وانظر التخمير ٤/ ١٦٨، ١٦٩، ورصف المباني ص٢٤٢، ومغني اللبيب ٢/ ١٣٢٧.

(٣) ديوان الرافعي ١/ ٩١.

الهداية لم يضل، ومن أحب لم يسلُ، ومنه قوله:"**ولقد أعرف أن ما لم يُقض لي فهو مَقضيّ لغيري**"(١).

يبين الكاتب من خلال القسم المحذوف الذي أشارت إليه لام القسم تسليمه المطلق بحكمة الله في خلقه؛ فالأمر الذي يتحدث عنه من الأمور البدهية التي لا يعوزها توكيد ولا قسم، ولكنه أراد أن يظهر بصورة مؤكدة ما عليه معتقد نفسه، ولعله يومئ بذلك إلى المخاطب كي يتأسى به في هذا المعتقد الشريف الذي يخفف عن معتنقه كثيرا من أعباء الحياة وهمومها.

ما يقوم مقام الجملة القسمية: (لا جرم)

في تأويل هذه اللفظة خلاف بين النحاة؛ فمذهب سيبويه والخليل أن (جرم) فعل ماض، وذكر سيبويه أن معناها: حقَّ، وعند الخليل (لا جرم) إنما تكون جوابًا لما قبلها من الكلام بمعنى أن (لا) رد لكلام سابق(٢).

ومذهب الفراء أن (لا جرم) كلمة كانت في الأصل بمعنى (لا بد) و(لا محالة)، فجرت على ذلك، وكثر استعمالهم إياها، حتى صارت بمنزلة (حقًّا)، أي بمعنى القسم؛ للتأكيد الذي فيها، فلذلك تجاب بها يجاب به القسم، وحكى أن العرب تقول: لا جرم لآتينَّك، ولا جرم لقد أحسنت(٣).

---

(١) كتاب المساكين ص٩٦.

(٢) انظر الكتاب ٣/ ١٨٣.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٨، وشرح الرضي ٤/ ٣٤٧، والصاحبي ص١٥٣.

وذهب الزجاج إلى أن (لا) نافية لكلام متقدم، كما ترد قبل القسم في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾(١)، و(جرم) فعل ماضٍ بمعنى كسب(٢).

وذهب غيرُهم إلى أن معناها: لا صدَّ، ولا منع، وتكون جرم بمعنى القطع(٣).

ويستخلص من هذا الخلاف أن (لا جرم) على أي تأويل لا تخلو من معنى التوكيد الذي يدل عليه القسم، فحين"يقال: لا جرم لأفعلن، يستغنى عن ذكر المقسم به"(٤).

ومن مجيء (لا جرم) في أدب الرافعي قوله: **"أليس يعلم الإنسان أنه سائر إلى الموت، ويعلم كذلك أنه طالب ما لا يموت؟ فلا جرم كان شعوره بهذا التناقض مؤلما، وكان هذا الألم هو منشأ الهموم التي لا تدعه لنفسه، ولا تدع نفسه له"**(٥).

اعتمد الكاتب على (لا جرم) لدعم فلسفته في ألم الحياة وهمومها، وأن مردهما إلى الشعور بالمنازعة بين ما يطلب المرء من الدنيا، وهي أمور لها صفة البقاء، وبين ما يطلبه هو من الدنيا، يعني الموت، وهو أمر له صفة الفناء، فهو يؤكد أن التناقض بين ما شأنه البقاء وما شأنه الفناء يولد في النفس شعورا بالألم، ومِنْ ثَمَّ الهم، وقد ناسب استخدام (لا جرم) السياق الذي وقعت فيه، فقد قامت بدور الرابط المنطقي بين المقدمات والنتائج، إلى جانب التوكيد القائم في بنيتها.

---

(١) القيامة: ١.

(٢) انظر الدر المصون ٦/ ٣٠٣، ٣٠٤.

(٣) انظر السابق ٦/ ٣٠٣.

(٤) شرح الكافية الشافية ١/ ٣٩٦، وانظر ارتشاف الضرب ٤/ ١٧٩٠، وهمع الهوامع ٤/ ٢٦٠.

(٥) كتاب المساكين ص٩٤.

ومنه قوله: "**فلا جرم كان عقابها على الخطأ عقابا نفسيا يجمع من شدة الطبيعة إلى عَنَت الشرائع إلى قسوة الاجتماع**"[١].

يبين الكاتب صورة العقاب للمرأة التي (أخطأت)، وكيف أنه من نصيبها وحدها دون الرجل، "**لأن العفة إنما عرفت بالمرأة من أصل الخلقة**"[٢]، ولاقتناع الكاتب باستحقاقها آلم أنواع العقاب: (العقاب النفسي) استخدم (لا جرم)؛ إذ إنها إلى جانب أنها تقوم مقام القسم للتأكيد الذي فيها، كما سبق القول، فمن معانيها: حقَّ[٣]، وحقا[٤]، والقطع[٥]، وهي معان دالة ومؤدية للمعنى المراد، وكأنه يريد أن يقول: إن تلك المرأة حق لها هذا العقاب، أو حقا كان عقابها، أو لا قطع لكون هذا العقاب لها، وذلك لسوء ما اقترفت.

ولعل الرافعي في استخدامه (لا جرم) في هذا الموضع متأثر بالأسلوب القرآني حين وردت هذه اللفظة عند ذكر وجوب العذاب في قوله تعالى:﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾[٦] .

أي: حق وثبت كون النار لهم أو استقرارها لهم[٧]،ولا غرو في تأثره هذا؛ فثقافته الإسلامية الواسعة، وحفظه لكتاب الله قد انطبعا على نتاجه الأدبي بشكل عام.

---

(١) السابق ص١٢٥.

(٢) كتاب المساكين ص١٢٥.

(٣) انظر الكتاب ٣/ ١٣٨.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٨.

(٥) انظر الدر المصون ٦/ ٣٠٤.

(٦) النحل: ٦٢. وكذا في قوله تعالى:﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ غافر: ٤٣ " أي: حقَّ ووجب بطلان دعوته، أو بمعنى كسَب، فكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ النحل: ٦٢ . أي: لا قطع لذلك، بمعنى أنهم أبدا يستحقون النار، لا انقطاع لاستحقاقهم، ولا قطع". الكشاف ٤/ ١٧٤.

(٧) انظر الدر المصون ٦/ ٣٠٣.

الفصل الثاني

التوكيد بأسلوب القصر

وفيه:

- القصـر بالنفي والاستثناء
- القصـر بـ (إنَّما)

الفصل الثاني

(التوكيد بأسلوب القصر)

القصر عند النحاة:"هو إثبات الحكم للشيء المذكور دون غيره"(١)، وفي اصطلاح البلاغيين: هو إثبات الشيء المراد إثباته بطريقة قطعية، ونفي ما سواه بيقين أيضا(٢)، "ويكون ذلك صراحة بحرف النفي و(إلا)، وضمنا بـ (إنما)"(٣)، إلى غير ذلك من طرق القصر المتعددة.

ومن أهم مزايا القصر إضافة إلى الإيجاز الذي يُعدّ من خصائص العربية "أنه يقصد منه تمكين الكلام وتقريره في الذهن، وسبيله في هذا سبيل التأكيد ... ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة:

وما المَرْءُ إِلَّا كالشِّهابِ وضَوْئِهِ **يَحُورُ رَمادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ ساطِعُ(٤)"(٥)**

ومن أبرز طرق القصر:

- العطف بـ (لا) و(بل) و(لكن).
- النفي والاستثناء.
- إنَّما.

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٥٦.

(٢) انظر أثر النحاة في البحث البلاغي ص٣٠٤، ودلائل الإعجاز ص١٤٣، ١٤٤، وجواهر البلاغة ص١١٥، والأصول البلاغية في كتاب سيبويه ص١٣٣، والبيان في روائع القرآن ٢/ ١٣٦.

(٣) البيان في روائع القرآن ٢/ ١٣٦.

(٤) البيت للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه ص٨٨.

(٥) البلاغة العالية ص٤٩.

وسوف أقتصر في هذا الفصل على نقطتين، تمثل كل نقطة منهما طريقة من طرق القصر، وهما:

- النفي والاستثناء.

- إنَّما.

وذلك لأنني بحثت في أدب الرافعي، فلم أعثر على عدد كاف من النماذج يشكل ظاهرة أستطيع أن أقيم عليها مبحثا للقصر بالعطف بـ(لا) و(بل) و(لكن).

القصر بالنفي والاستثناء

ويطلق عليه النحاة (الاستثناء المفرغ)، وهو أسلوب من أساليب الاستثناء يقتضي تفريغ العامل قبل (إلا) للعمل فيما بعدها(١). وما يصدق على (إلا) يصدق على (غير)، إذ إنهما يتقارضان(٢)، قال ابن الخباز:"وحيث يُفرّغ العامل ويعمل فيما بعد (إلا) يعمل في (غير)"(٣).

---

(١) انظر المرتجل ص١٨٧، وتوجيه اللمع ص٢٢٠، وشرح المقرب (المنصوبات) ٢/ ٨٣٢، وشرح جمل الزجاجي لابن هشام ص٣١٠، وشرح شذور الذهب ص٢٨٨، وشرح قطر الندى ص٣٣٦، وشرح الآجرومية ص١٠٦، والكواكب الدرية ص٣٩٧.

(٢) انظر المقتضب ٤/ ٤٢٢، والتخمير ١/ ٤٧١، وشرح الأنموذج ص٥٦، وشرح التسهيل ٢/ ٢٩٨، وارتشاف الضرب ٣/ ١٥٢٦، وهمع الهوامع ٣/ ٢٧١، ودلائل الإعجاز ص٣٤٩، والإيضاح في علوم البلاغة ص١٢٨.

(٣) توجيه اللمع ص٢٢٢.

وهناك من النحاة من أخرج هذا الأسلوب من باب الاستثناء، وقصر دوره على إفادة الحصر، قال القرشي الكيشي:"وعندي أن هذا ليس باستثناء لعدم انطباق حد الاستثناء عليه، وإنما جيء بـ (ما) و(إلا) للحصر "(١).

وتجدر الإشارة إلى أمرين: الأمر الأول هو أن الاستثناء المفرغ يأتي في جميع المعمولات، من فاعل، ومفعول به، ومفعول له، وجار ومجرور، وحال، وتمييز، ومبتدأ، وخبر،.... إلى آخره(٢)، بيد أنه لا يدخل التوابع(٣).

والأمر الثاني أن أكثر النحاة اشترطوا في الاستثناء المفرغ أن يقع بعد نفي أو شبهه(٤)، فالنفي ظاهر، ويشمل كل أدوات النفي، نحو: ما، لا، لم، لن، إنْ، ليس.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾(٧).

---

(١) الإرشاد إلى علم الإعراب ص١١٧.

(٢) انظر شرح المقرب (المنصوبات) ٢/ ٨٣٨، وشرح الرضي ٢/ ١٠١، وارتشاف الضرب ٣/ ١٥٠٢، وشرح المكودي ص١٣٤، وحاشية الصبان ٢/ ٢١٢، وهمع الهوامع ٣/ ٢٥١.

(٣) انظر شرح المقرب (المنصوبات) ٢/ ٨٤٣، والكواكب الدرية ص٣٩٨.

(٤) انظر شرح المقرب (المنصوبات) ٢/ ٨٤٥، وشرح الكافية الشافية ١/ ٣١٨، وشرح التسهيل ٢/ ٢٦٤، وارتشاف الضرب ٣/ ١٥٠٢، ١٥٠٣، وأوضح المسالك ٢/ ٢١٢، ٢١٣، وشرح المكودي ص١٣٢، وحاشية الصبان ٢/ ٢١٢، وهمع الهوامع ٣/ ٢٥١، والكواكب الدرية ص٣٩٧.

(٥) الأنبياء: ١٠٧.

(٦) الفرقان: ٣٣.

(٧) هود: ١٦.

وشبه النفي يقصد به النهي، والاستفهام الإنكاري[١]، والشرط الذي فيه معنى النهي[٢]. فمثال النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[٣]، ومثال الاستفهام قوله: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[٤]، ومثال الشرط قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾[٥]، "فإن معناه: لا تولوا الأدبار إلا متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة"[٦].

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾[٧] وما جاء على غرارها فيعدّ من قبيل النفي المؤول؛ لأن (يأبى) بمعنى (لا يريد)، فحُمل عليها[٨]. ومثله قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٩]، "لأن المراد بالكبيرة هنا الصعوبة، فكأنه قال: لا تسهل إلا على الخاشعين"[١٠].

---

(١) انظر شرح التسهيل ٢/ ٢٦٩، ٢٧٠، وأوضح المسالك ٢/ ٢١٢، وحاشية الصبان ٢/ ٢١٢.

(٢) شرح التسهيل ٢/ ٢٧٠، وشرح المقرب (المنصوبات) ٢/ ٨٤٥.

(٣) النساء: ١٧١.

(٤) آل عمران: ١٣٥.

(٥) الأنفال: ١٦.

(٦) شرح التسهيل ٢/ ٢٧٠.

(٧) التوبة: ٣٢.

(٨) انظر شرح التسهيل ٢/ ٢٧٠، وشرح المقرب (المنصوبات) ٢/ ٨٤٥، وأوضح المسالك ٢/ ٢١٣.

(٩) البقرة: ٤٥.

(١٠) شرح التسهيل ٢/ ٢٧٠، وانظر وشرح المقرب (المنصوبات) ٢/ ٨٤٥.

ومما ورد في أدب الرافعي من هذا الطريق من طرق القصر قوله:

ولَمْ تُخْلَقِي إِلَّا نَعِيمًا لِبائِسٍ فمَنْ ذا يَرَىٰ أَنَّ النَّعِيمَ عَذابُ؟(١)

الحديث هنا موجه إلى المرأة الأديبة الجميلة (ربة الحسن والقلم)، ويريد الشاعر أن يغري تلك المرأة بالمحافظة على طبيعتها، فيلفتها إلى الأصل في خلقتها التي فطرها الله عليها، وهي أنها سكن ونعيم لزوجها، وقد لجأ إلى أسلوب القصر بالنفي والاستثناء ليثبت لها ذلك الأصل، وينفي ما عداه، فهي لم تخلق مثلا للأدب، أو للفن، أو لمزاحمة الرجال في ميدان العمل.

وقد ناسبت تلك الأداة "ذات النبرة الحادة"(٢) المقام؛ لأنها عبرت عن انفعال الشاعر بتلك القضية الاجتماعية المهمة، كما أنها ساعدته بتلك الحدة في محاولته لنفي ما شاع من أفكار ومعتقدات في أذهان تلك الفئة من النساء المثقفات.

ومنه قوله:

وعِشْتُ بِلا قَلْبٍ، وعِفْتُ هَوَىٰ الدُّمَىٰ ولا يَرْدَعُ الإِنْسانَ إِلَّا تَجارِبُهْ(٣)

جاء هذا البيت ختاما لقصيدة قالها الشاعر في غادة صادفها في حافلة الترام، وكان البيت ختاما أيضًا للقصة التي جرت بينهما، وقد أتى التعبير بالقصر ليثبت أن الرادع الحق للمرء هو تجاربه، ولا شيء غيرها.

ويُلحظ أن التعبير هنا قد جاء موافقا لحال المتكلم؛ إذ إنه ليس بصدد مخاطب منكر أو متشكك أو غير عالم بالخبر، ولكنه بصدد معنى قد تقرر في نفسه، وتمكّن منها، فأخرجه بتلك الصورة المؤكدة. وقد أجراه مجرى الحكمة التي تلوح فيها مرارة التجربة التي مر بها، وأوصلته إلى تلك النتيجة.

---

(١) ديوان الرافعي ٢/ ٣٩.

(٢) دلالات التراكيب ص١١٥.

(٣) ديوان الرافعي ١/ ١١٧.

ومنه قوله:

"وليس أشقىٰ ممن مُنع السعادة وأُعطي الرغبة فيها إلا الذي أُعطي السعادة ومُنع اللذة منها!."[١].

يضرب الكاتب بقوة (وهم التعاسة)، ويقرر حقيقة ربما تعتقد النفوس خلافها، هذه الحقيقة هي أن الشقاء الحق لمن في يده السعادة ولكنه حرم الاستمتاع بها، وليس كما يُتوهم ويُظن أنه لمن لم يُعط السعادة أصلا؛ إذ إن الأخير ما زال يحيا وعنده الأمل قائما بأن يرزق بتلك السعادة في أي وقت، وحينها يتمتع بها كما يشاء، فهو قد (أُعطي الرغبة فيها)، أما الأول فقد انقطع عنده الرجاء في المتعة بها، إذ هي بين يديه بالفعل، ولكنه (قد مُنع اللذة منها).

وقد صاغ الكاتب تلك الحقيقة بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ليصحح خطأ الاعتقاد لدىٰ المخاطبين، ويسرّي عن قلوب أولئك المحرومين من السعادة بأن أكد لهم أنهم ليسوا هم الأشقياء كما يظنون، وإنما الأشقياء غيرهم، كما أن السعادة الحقيقية ليست في امتلاكها أو الحصول عليها، بل في اللذة والمتعة بها. ولعله يقصد بالسعادة هنا (المال والغِنىٰ).

ومنه قوله:

"فلم تجد لها غِواثا إلا في الموت يحول بينها وبين أبيها"[٢].

---

(١) كتاب المساكين ص٧٧.

(٢) كتاب المساكين ص٧٩.

يحكي الكاتب قصة فتاة صغيرة أعطاها أبوها الفقير عشرة قروش، وأرسلها تبتغي بها طعاما، فأضاعتها المسكينة،"**فجرعت من (الفنيك) جرعة كانت فيها نفسها**"(١).

وقد أكد الكاتب من خلال النفي والاستثناء سيطرة مشاعر الخوف والفزع من جراء ما (ارتكبت)، لدرجة جعلتها تلوذ بالموت، وترىٰ فيه النجاة من (أبيها)!.

وقد استدعىٰ المقام هذا التوكيد الشديد لما يتضمنه الخبر من غرابة قد تدفع عقل السامع إلىٰ عدم التصديق، أو توهّم المجاز؛ إذ كيف يرىٰ الإنسان الغوث في الموت؟!.

ومن هنا أراد الكاتب أن يدفع عن خبره تلك الغرابة، ويرفع عنه احتمال المجاز، فجاء في تلك الصورة المؤكدة التي تقرر أن هذا الأمر قد حدث بالفعل.

ومنه قوله:

"**وما جمال النفس الإنسانية إلا خلق وفكرة وفضيلة مؤمنة**"(٢).

يقصر الكاتب جمال النفس علىٰ ثلاثة أمور: الأخلاق، والفكر، والإيمان. ويبدو أنه لا يراعي حال مخاطب منكر أو شاكّ أو جاهل بالخبر، ولكن الغرض البادي من التوكيد هو إظهار المتكلم لمعتقده في هذا الموضوع، وأنه عنده بمنزلة اليقين، ثم رغبته في نقل هذا المعتقد إلىٰ المخاطب وتقريره له، وتمكينه من نفسه بصورة توازي تمكّنه من نفسه هو.

---

(١) السابق ص٧٩.

(٢) رسائل الأحزان ص٦٧.

ومنه قوله:

"**هل تعيش المرأة إلا في انتظار الكلمة التي تحكمها بلطف، وفي انتظار صاحب هذه الكلمة؟**"(١).

يتحدث الكاتب إلى إحدى نساء الفن (المتحررات)، ويسخط في حديثه على هذا التحرر، "**فقبّح الله هذه الحرية التي يريدونها للمرأة**"(٢).

ثم يؤكد بأسلوب القصر القاطع أن المرأة تظل منتظرة من (يقيد) حريتها، ولكن بألطف قيد، يعني قيد الزواج.

وقد فضل الكاتب أن يكون أسلوب القصر بالاستفهام والاستثناء دون النفي والاستثناء أو إنما؛ لأنه لا يريد أن يفرض رأيه على"المخاطبة"، ولكنه يريد أن يشركها معه في الأمر، وفي ذلك إعلاء من قدرها، واستمالة لنفسها حتى تتقبل نصحه وتوجيهه.

وكأنه إذ يفعل ذاك يستنطقها بالإقرار والتصديق على رأيه الذي قدم، وبالفعل قد أصاب فيما رمى بدليل قوله على لسانها ردا على كلامه:"**قالت: إن هذا حق لا ريب فيه، وأوسع النساء حرية أضيعهن في الناس**"(٣).

ومنه قوله:

"**إنه ليس معي إلا ظلالها**"(٤).

---

(١) من وحي القلم ١/ ٢٦٧.

(٢) السابق ١/ ٢٦٧.

(٣) من وحي القلم ١/ ٢٦٧.

(٤) أوراق الورد ص١٨٦.

يؤكد الكاتب عن طريق القصر بالنفي والاستثناء وجود ظلال المحبوبة في ذاكرته، وذهاب كل ما عداها، وقد ذكر ذلك بعد أن تغاضبا "**وكرَّ هجرها على وصلها**"(١).

وتوكيد الخبر هنا بهذه الصورة يدل على تحسره على الحال التي انتهى إليها، ويصور مشاعر الأسى على ما مضى وانقضى. ولو أنه قد أرسل حديثه دون توكيد لم يجد من ينكره عليه، أو يشك فيه، كما أنه ليس بمستغرب من القول، ولكن الشعور الداخلي هنا هو الذي حكم التركيب اللغوي لبناء العبارة على هذا النحو.

ومنه قوله: "**وما أريد من الحب إلا الفن، فإن جاء من الهجر فنّ فهو الحب**"(٢).

يقصر الكاتب مراده من الحب على الفن فحسب، نافيا أي رغبة وراء ذلك، ومؤكدا أن تلك إرادته أيا ما كان السبيل إليها، حتى ولو كان هذا السبيل هو الهجر.

ومن الواضح أن الباعث على استخدام القصر بطريق النفي والاستثناء هو حال الغضب الذي استحكم على وجدانه؛ إذ إن من المعلوم أن غايات الحب لا تنقضي، فحين يأتي الكاتب وينفي عن نفسه طلب كل غاية من الحب سوى غاية الفن، فإن هذا كلام يحتاج إلى إمعان النظر في بواعثه. ويُعينني على هذا الفهم بعض أقواله في مواضع أخرى، مثل:

- "**ولن أطلب الحب إلا في عصيان الحب**"(٣).
- "**كلا كلا، ما ذهب الحب، وإن الذي يكذّب حبه بإظهار غيظه من الحبيب ليكذّبه**

---

(١) السابق ص١٨٣.

(٢) السابق ص١٨٦.

(٣)أوراق الورد ص١٨٨.

الغيظ، وإذا انتهىٰ أمر من الأمر وبقي في نفسك حيا فما انتهىٰ"(١).

فذلك الكلام يوضح أننا بإزاء محب غاضب مندفع بـ (غيظه) من هاجرته، فخرج كلامه بتلك اللهجة الحاسمة ثأرا لكرامته الجريحة.

ومنه قوله:

"**فلن تجد الأخلاق علىٰ أتمها وأحسنها إلا في المرأة ذات الدين والصبر والمدافعة**"(٢).

يقصر الكاتب وجود الأخلاق الحسنة علىٰ المرأة المتدينة الصابرة المدافعة دون سواها من النساء. وأتىٰ بالقصر في صورة النفي والاستثناء؛ إذ إنه بحاجة إلىٰ أداة تجمع إلىٰ جانب التوكيد"النبرة العالية، والنغمة الحاسمة، والتعبير الشديد"(٣)، وذلك لأنه ينافح عن رأيه هذا بقوة في زمن غابت فيه المفاهيم التي يتضمنها حديثه، وانقلبت الموازين لدىٰ فئة عريضة من الفتيات المتعلمات. وقد ذكر ذلك مؤكدا في قوله:"**وقد مُحق الدين والصبر، وتراخت قوة المدافعة في أكثر الفتيات المتعلمات**"(٤).

وعلىٰ هذا كان المقام يستدعي ذلك الحسم وتلك الشدة في التصدي لهؤلاء، ومحاولة ردهن إلىٰ صوابهن، إن أردن أن يعرفن طريق الفضيلة والأخلاق ويتّسمن بها.

هذا، ويلاحظ في النماذج السابقة غلبة وقوع الاستثناء المفرغ بعد النفي دون شبهه، وقد تنوع هذا النفي بـ (ما، لا، لم، لن، ليس). وربما كان النفي أدل في موقعه

---

(١) السابق ص١٨٩.

(٢) من وحي القلم ١/ ١٧٣.

(٣) دلالات التراكيب ص١١٤.

(٤) من وحي القلم ١/ ١٧٣.

من شبهه، إذ يستبعد ما ذُكر أولا بصورة قاطعة، ثم يثبت ما بعد أداة الاستثناء، ولا يتأتى ذلك مع شبه النفي من نهي أو استفهام، وإن كان لكل دلالته.

كما يلاحظ تنوع تلك النماذج بين المعمولات من فاعل ومفعول به ومبتدأ وخبر وجار ومجرور وحال.

القصر بـ (إنَّما)

يرى البلاغيون أن دلالة (إنَّما) على القصر دلالة وضعية، وأنها تفيد القصر في كل صورة من صوره[1].

ومعنى (إنَّما) في كلام العرب الحصر والتخصيص بأحد الخبرين، ومن كلامهم: إنما الكريم يوسف[2].

ويدل على إفادة (إنَّما) القصر أمور عدة، من أهمها:

- نصُّ أهل العربية عليه، قال السكاكي:"وترى أئمة النحو يقولون: (إنَّما) تأتي إثباتا لما يذكر بعدها، ونفيا لما سواه، ويذكرون لذلك وجها لطيفا يسند إلى علي بن عيسى الربعي، وأنه كان من أكابر أئمة النحو ببغداد، وهو: أن كلمة (إنَّ) لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة، لا النافية على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو، ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر؛ لأن قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد"[3].

---

(١) دلالات التراكيب ص١٤٦.

(٢) رصف المباني ص١٢٤.

(٣) مفتاح العلوم ص٢٥٩، ٢٦٠، وانظر الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٧٩، و الإيضاح في علوم البلاغة ص١٢٢.

- قول النحاة والبلاغيين بتضمنها معنى (ما)، و(إلا)(١).

- وقيل: الحصر من اجتماع (إنَّ)، وهي للإثبات، و(ما)، وهي للنفي(٢)، قال الأصوليون: ومن المحال تواردهما على شيء واحد، فتكون (إنَّ) لإثبات المذكور، و(ما) لنفي ما عداه، وهو القصر(٣).

- وقيل: لاجتماع مؤكدين: (إنَّ) و(ما) الزائدة(٤).

- ولصحة انفصال الضمير معها(٥)، كقول الفرزدق:

أَنَا الذَّائِدُ الحامِي الذِّمارَ وإِنَّما ... يُدافِعُ عَنْ أَحْسابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي(٦)

قال أبو علي الفارسي في الشيرازيات:"... إلا أن المعنى لما كان (ما يدافع إلا أنا) فصلت الضمير كما تفصله مع النفي إذا ألحقت معه (إلا) حملا على المعنى... لأن (إنَّما) تأتي إثباتا لما يذكر بعدها، ونفيا لما سواه"(٧).

---

(١) انظر حاشية الصبان ١/ ٤٤٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٩١، والكواكب الدرية ص٢٩٦، ومفتاح العلوم ص٢٥٩، والإيضاح في علوم البلاغة ص١٢١.

(٢) حاشية الصبان ١/ ٤٤٣، وانظر الكواكب الدرية ص٢٦٨.

(٣) انظر الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٧٩.

(٤) حاشية الصبان ١/ ٤٤٣.

(٥) انظر مفتاح العلوم ص٢٦٠، والإيضاح في علوم البلاغة ص١٢١، والجوهر النفيس ص٩٩.

(٦) البيت في ديوانه ص٤٨٨ برواية: (أنا الضامن الراعي عليهمْ وإنما)، وبرواية المتن في التخمير ٤/ ٣٨، والإيضاح في علوم البلاغة ص١٢١، والجوهر النفيس ص٩٩، ودلائل الإعجاز ص٣٢٣.

(٧) انظر دلائل الإعجاز ص٣٢٨.

وما ذكر من إفادة (إنَّما) الحصر هو قول الأكثرين، وأنكره طائفة يسيرة، منهم أبو حيان[١].

وتفيد (إنَّما) التوكيد كإفادتها القصر، أثبت ذلك فريق من النحاة، قال ابن عطية: "(إنَّما) لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع، ويصلح مع ذلك للحصر "[٢].

وقال ابن يعيش: "(إنَّما) زادت (إنَّ) تأكيدا على تأكيدها، فصار فيها معنى الحصر "[٣]. فنرى في النصين السابقين أن هذين النحويين يقدمان إفادة (إنَّما) التوكيد على إفادتها الحصر. وقد نحا هذا المنحى الدكتور تمام حسان مفصلا القول فيه، فجاء في البيان: "ولقد جاء التأكيد بإنما من جهتين: أولاهما: أن (إنَّ) في أصلها للتأكيد، وأن زيادة المبنى بواسطة (ما) تدل على زيادة المعنى، والثانية: أن (إنَّ) بدون (ما) كما في قولنا: إن زيدا قائم تؤكد إسناد خبرها إلى اسمها، دون إشارة إلى تفرّد الاسم بالاتصاف بالخبر، أما (إنَّما) ففيها هذه الإشارة، وهي التي نسميها القصر ..."[٤].

وتجيء (إنَّما) لخبر معلوم للمخاطب، لا يجهله ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، ويكون المراد تنبيهه إلى معنى آخر وراءه يلوح به إليه[٥].

كقول الشاعر:

إِنَّما أَنتَ والِدٌ والأَبُ القا ... طِعُ أَحْنَى مِنْ واصِلِ الأَوْلادِ[٦]

---

(١) انظر همع الهوامع ٢/ ١٩٢، وانظر رأي أبي حيان في ارتشاف الضرب ٣/ ١٢٨٥.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٠، وانظر الجنى الداني ص٣٩٦.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٥٦.

(٤) البيان في روائع القرآن ٢/ ١٣٦.

(٥) انظر دلائل الإعجاز ص٣٣٠، ٣٥١، والتخمير ٤/ ٣٨، والبلاغة العالية ص٥٥، ٥٦.

(٦) البيت للمتنبي في ديوانه ٢/ ٣٣، وفي دلائل الإعجاز ص٣٣٠.

فلم يُرد أن يعلم كافورا أنه والد، ولكنه أراد أن يذكّره منه بالأمر المعلوم ليبني عليه استدعاء ما يوجبه كونه بمنزلة الوالد[١].

هذا في الأمر الأكثر، وقد تأتي إعلاما لأمر لا يعلمه السامع[٢]، فيكون ذلك إعلامًا أوليًّا[٣].

ولذا فإن أحسن مواقعها إذا عُرّض بها عن أمر آخر[٤]، يقول عبدالقاهر:"اعلم إذا استقريتَ وجدتها أقوىٰ ما تكون، وأعلق ما ترىٰ بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه"[٥].

"ومن ذلك قوله:

وإنّما يَعْذُرُ العُشَّاقَ مَنْ عَشِقَا

يقول: إنه ليس ينبغي للعاشق أن يلوم من يلومه في عشقه، وأنه ينبغي أن لا ينكر ذلك منه؛ فإنه لا يعلم كُنه البلوىٰ في العشق، ولو كان ابتُلي به لعرف ما هو فيه فعذَره"[٦]، ولا يحصل هذا التعريض من دون (إنّما).

---

(١) انظر دلائل الإعجاز ص٣٣٠، والبلاغة العالية ص٥٥.

(٢) انظر دلائل الإعجاز ص٣٥١.

(٣) انظر دلالات التراكيب ص١٤٧.

(٤) انظر الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٨٢، والجوهر النفيس ص١٠٣، والبلاغة العالية ص٥٥.

(٥) دلائل الإعجاز ص٣٥٤.

(٦) دلائل الإعجاز ص٣٥٥، وانظر الإيضاح في علوم البلاغة ص١٢٥، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٨٢.

وإضافة إلىٰ ما سبق يذكر البلاغيون للقصر بـ (إنَّما) مزيّة علىٰ العطف، وهي أنه يُفهم منها الإثبات للشيء والنفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف، فإنه يفهم منه الإثبات أولا ثم النفي، أو العكس(١).

وهناك من ذهب إلىٰ أنها "تفيد معنىٰ التوكيد بدرجة أكبر من التوكيد بـ (إنَّ) وحدها، وغالبا ما تكون في سياق فيه إنكار وجحد يحتاج إلىٰ درجة عالية من توكيد الخبر"(٢).

وقد استند هذا الرأي إلىٰ القول بأن أصل هذه الأداة (إنَّ) بكسر الهمزة وفتحها، زِيد عليها (ما).

وأود أن أنوّه إلىٰ أن (إنَّما) قد جرىٰ لها ذكر في فصل آخر من فصول هذا الكتاب، وهو فصل التوكيد بحروف الزيادة في النقطة الخاصة بـ(ما الزائدة)*، ولكني سأقتصر هنا علىٰ تحليل النماذج التي وردت بها (إنَّما) في هذا الفصل.

ومن النماذج التي وردت بها (إنَّما) في أدب الرافعي قوله:

قَلْبِي يُـحِبُّ وإِنَّما ... أَخْلاقُهُ فِيهِ ودِينُهُ(٣)

يريد الشاعر هنا في هذا البيت أن يثبت أمرا، وينفي آخر: يثبت لنفسه صفة المحب العاشق الملتزم، وينفي عن نفسه صفة المحب الآثم.

(١) انظر دلائل الإعجاز ص٣٣٥، والإيضاح في علوم البلاغة ص١٢٤، ١٢٥، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٨٢، والجوهر النفيس ص١٠٣، وجواهر البلاغة ١١٧.

(٢) أسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي في التحليل اللغوي ص٢٨، ٢٩.

* انظر مبحث (ما الزائدة) من الرسالة ص٩٢.

(٣) السحاب الأحمر ص٩١.

وقد أتاحت له الأداة (إنَّما) الجمع بين الأمرين: الإثبات والنفي في آن واحد، وهي مزية قد أشار إليها البلاغيون، لأنه يُعقل معها "إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة"[١].

ولعل الشاعر قد صاغ المعنى بأسلوب القصر هذا لأنه بصدد بيان هوية حبه، وتأكيد أنه من الحب الكريم النقي الذي ملؤه الدين والأخلاق، وذلك بعد أن ذكر أن "**الناس في هذا الحب أصناف**"[٢]، فكان عليه أن يميّز حبه من بين تلك (الأصناف)، لا سيما إذ عُلم موقع هذا البيت، فهو من قصيدة جاءت في مقدمة كتابه (السحاب الأحمر)، فكأنه كما ذكرت بيان وإعلان منذ البداية.

ومنه قوله:

وإنَّما يَتَسامَى لِلعُلَا رَجُلٌ ... ماضِي العَزِيمَةِ لا تُثْنِيهِ أَهْوالُ[٣]
وأَطْلَقَ النَّفْسَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ هَوَىً ... وإِنَّما شَهَواتُ النَّفْسِ أَغْلالُ[٤]
والمَرْءُ إِنْ كانَ إِنْسانًا بِزِينَتِهِ ... فإِنَّما هُوَ بَيْنَ النَّاسِ تِمْثالُ[٥]

وردت الأبيات الثلاثة ضمن قصيدة يصف فيها الرافعي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

(١) دلائل الإعجاز ص٣٣٥.
(٢) السحاب الأحمر ص٩٠.
(٣) ديوان الرافعي ١/ ١٤.
(٤) السابق ١/ ١٥.
(٥) السابق والصفحة نفسها.

وقد وقعت (إنَّما) متمكنة في موقعها بكل بيت؛ ففي البيت الأول جاءت (إنَّما) لتقرير أمر ظاهر معلوم لدىٰ المخاطب، لا يدفع صحته ولا يشك فيه؛ فالتسامي للعلا لا يكون إلا من رجل هذه صفاته.

وبما أنه قد عُلم أن تلك الأبيات تتحدث عن سيدنا عمر، فيكون الشاعر بذلك القصـر- قصر التسامي علىٰ رجل ماضي العزيمة...- قد مدحه أبلغ مدح؛ إذ إنه يكون قد قصر هذه الصفات عليه هو بطريق غير مباشرة.

وفي البيت الثاني وقعت (إنَّما) موقعا لطيفا؛ فقد صاغت المعنىٰ المراد توكيده: (شهوات النفس أغلال) في سياق عام يصلح أن يكون مثلا[1]، كما أنها جاءت بجملتها وكأنها تقدم جوابا لسؤال مفترض في الشطر الأول تقديره: ولماذا أطلق النفس مما تبتغيه هوىٰ؟.

وفي البيت الثالث أتت (إنَّما) جوابا منطقيا للشرط الواقع في الشطر الأول، وهو جواب متضمن في فحوىٰ الكلام السابق عليها، والذي أنبأ بها،"وكأن ما دخلت عليه (إنَّما) صياغة ثانية لمفهوم ما سبقها"[2]، وذكر الكلام السابق عليها"كأنه تهيئة للفكرة التي دخلت عليها وتمهيد له"[3]. وبذلك يكون المعنىٰ الذي أكدته (إنَّما) بطريق القصـر قريبا من النفوس لدرجة أنه يمكن أن يستنبط من قبل القراءة، وذلك من خلال ما سبق (إنَّما) من تمهيد.

---

(١) انظر دلالات التراكيب ص١٦١.

(٢) دلالات التراكيب ص١٥٨.

(٣) السابق ص١٥٧.

ومنه قوله:

تَتَأَبَّىٰ وإِنَّمَا لَذَّةُ الحُبْـ ـبِ إِذَا كانَ في الحَبِيبِ إِباءُ[١]

قصر الشاعر لذة الحب علىٰ وجود الإباء في الحبيب، وقد تطلب السياق هذا التوكيد الآتي من باب القصر؛ لأن الشاعر هنا بصدد تقرير أمر من أمور الحب يجريه مجرىٰ الحكمة. وهذا الأمر– وإن وجد من يعتقده معه– ربما لا يسلم له بإطلاق؛ فقد يجد من يعارضه فيه، ويرىٰ أن لذة الحب في الوصال، لا الإباء.

ولذا فقد عمد الشاعر إلىٰ (إنَّما) ليُنزل كلامه منزلة الخبر الذي لا يجهله المخاطب، ولا ينكره[٢]، فيكون حينئذ قريبا إلىٰ نفسه مأنوسا لها، فيأخذه بمأخذ القبول لأمر مسلّم به.

ومنه قوله:

فَلا تَتَوانَوْا إِنَّما العُمْرُ فُرْصَةٌ تَمُرُّ ومَرُّ الوَقْتِ غَيْرُ قَلِيلِ[٣]

بدأ الشاعر حديثه بالنهي لجماعة المخاطبين عن التواني، ولحرصه علىٰ امتثالهم لنهيه لأن فيه مصلحتهم تلطف بهم بتقديم بيان مؤكد لعلة ما نهاهم عنه، وهو قوله: (إنَّما العمر فرصة تمر)، وهو معنىٰ من المعاني المأنوسة، لذا ناسبه مجيء (إنما)، فهي "أداة رقيقة هامسة لا تنزعج النفوس لما دخلت عليه، ولا ترفض ما جاء في وعائها"[٤]. وهذه هي غاية الشاعر.

---

(١) ديوان الرافعي ٢/ ٣٨.

(٢) انظر دلائل الإعجاز ص٣٣٠، ٣٥١.

(٣) ديوان النظرات ١/ ٣٠.

(٤) دلالات التراكيب ص١٥٥.

ومنه قوله: "**والقلب الكريم لا ينسىٰ شيئا أحبه، ولا شيئا أَلِفه؛ إذ الحياة فيه إنما هي الشعور، والشعور يتصل بالمعدوم اتصاله بالموجود علىٰ قياس واحد**"(١).

يتحدث الكاتب عن تباعد الزمن بينه وبين حبيبته منذ أن فارقها، وأن ذلك لم ينتقص من رصيد حبها في قلبه (الكريم) ذرة واحدة. ثم يلتمس لذلك إقامة الدليل والبرهان، فبدأ بمقدمة ذكر فيه أن (القلب الكريم لا ينسىٰ ...)، وكأن هذه المقدمة قد أحوجته إلىٰ توكيد، فجاء التعبير بـ (إنَّما) في قوله: (إذ الحياة فيه إنما هي الشعور)، وفي ذلك قصر لحياة هذا القلب علىٰ الشعور دون سواه، وفي هذا ما فيه من المبالغة؛ إذ لا يتصور هذا عقلا، ولكنها مبالغة مقصودة أملاها السياق الذي يراد أن تبرز فيه قيمة (الشعور) من خلال التركيز عليه بالقصر؛ لأنه بعد ذلك يؤسس النتيجة التي يريدها، وهي أن (الشعور يتصل بالمعدوم اتصاله بالموجود)، ومِنْ ثَمَّ فذكره لحبيبته (الغائبة) عنه ليس بالأمر المستغرب بناء علىٰ ما تقدم.

وما كان الكاتب ليتوصل إلىٰ ذلك المعنىٰ الذي رامه من دون الجملة التي توسطت بين المقدمة والنتيجة، وهي جملة (إنَّما).

ومنه قوله: "**ذلك بأن عدل الله يقضي أن يكون للفقير قسمة من الثروة، وإنَّما الجزء المهم من هذه الثروة هو الإحساس في ضمائر الأغنياء**"(٢).

يلفت الكاتب نظر المخاطب إلىٰ أمر قد يكون بعيدا عن فكره كل البعد، وقد تدرّج معه في الحديث ليصل به إلىٰ ما يريد أن يوصّله إليه، فقدم له بمقدمة لا نزاع

(١) السحاب الأحمر ص٩٥.

(٢) كتاب المساكين ص٣٥.

فيها، وهي أن للفقير قسمة من ثروة الغني، وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة[١]، وبتلك المسَلَّمة يكون قد هيّأ نفسية مخاطبه لقبول ما سيلقي عليه، وهو أن الجزء المهم من الثروة هو الإحساس بالفقير، وليس العطية والمال!.

وقد أتى بالتعبير مؤكدا من خلال القصر بـ (إنَّما) التي أفادت إثبات ما بعدها - وهو المعنى المراد توكيده - ونفي ما سواه.

وربما حداه على استخدام هذا الأسلوب رغبته الصادقة في توكيد معنى إنساني عظيم قد لاحظ غيابه عن وجدان المجتمع.

ومنه قوله: "**يا بني، إنَّما قَرُبت النعمة من فلان لأن القدر يسوقها إليه، وإنَّما بَعُدت النعمة عن فلان لأن القدر يسوقها إلى غيره**"[٢].

ناسب السياق مجيء (إنَّما)؛ فقضية تقسيم الأرزاق بين الخلائق من المعاني البدهية المسلّم بها، والتي لا يخفى علمها على أحد، وهذا موضع من المواضع الأصيلة لـ (إنَّما) في الكلام كما سبقت الإشارة في قول عبدالقاهر إلى أنها تأتي لخبر يعلمه المخاطب، ولا يجهله، ولا ينكره، ومِنْ ثَمَّ كان دخول (إنَّما) على الكلام هنا ضربا من التعريض؛ فقد فُهم أنه "لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه"[٣].

---

(١) ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٦٠ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ المعارج: ٢٤ ، ٢٥.

(٢) كتاب المساكين ص١٤٦.

(٣) دلائل الإعجاز ص٣٥٤.

فالمقصود أن يُفهم مخاطبه من طريق التعريض بأنه ينبغي أن يأخذ نفسه مأخذ الرضا بما قسمه الله، وألا يشغل باله بالبحث والتفكير عن وجه الحكمة في (الحظوظ والأقسام).

ومنه قوله:

"سبحانك اللهم!. إنَّما هذه الأمراض أخلاق أنت تنشئ بها الرحمة في قلوبنا المتحجرة ..."(١).

"سبحانك!. إنَّما هذه الأمراض مواعظ منك تعلمنا كيف نضع شهواتنا في مواضعها من الضرورة ..."(٢).

"سبحانك اللهم!. إنَّما هذه الأمراض في الدنيا بعض مواد البحث الفلسفي العميق لدرس أساليب الطبيعة البشرية ..."(٣).

يعرض الكاتب فلسفته في المرض، وقد استدعىٰ المقام التوكيد؛ فهو يلفت إلىٰ معنىٰ دقّ علىٰ أفهام كثير من الناس، ويكشف عن وجوه مختلفة للمرض ربما لم تُر من قبل؛ فإن الوجه الظاهر للمرض هو السوء والبلاء والضعف، إلىٰ آخر ذلك، ولكن الكاتب يرىٰ المنحة التي تُخلق بالأمراض في رحم المحنة.

وقد استعان في توكيد فلسفته بـ (إنَّما)، ووجه صلاحها وملائمتها للمقام أنها ستتيح له المجال بأن يدعي أن آراءه من الأمور الظاهرة المعلومة للجميع الثابتة لهم التي لا يدفعها أحد(٤).

---

(١) أوراق الورد ص٢٨٠.

(٢) السابق ص٢٨١.

(٣) السابق ص٢٨٢.

(٤) سبق ذكر عبدالقاهر أن (إنما) تأتي لخبر معلوم للمخاطب، أو لما ينزل هذه المنزلة، وكلام الرافعي مثال لما ينزل هذه المنزلة.

ففي الجملة الأولى، يظهر الوجه الأول للأمراض، فهي (أخلاق) تربي النفوس التي جمحت في البعد عن خالقها حتى قست وتحجرت.

وفي الجملة الثانية، يظهر الوجه الثاني، فهي (مواعظ) تردّ النفس عن غيها، وتحدّ من انغماسها في شهواتها.

وفي الجملة الثالثة، يظهر الوجه الثالث، فهي بعض مواد البحث الفلسفي ... تختصر الأزمنة الطويلة التي قد تنفق بلا طائل لمعرفة أسرار الطبيعة البشرية وأساليبها، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

فالأمراض على هذا تعدّ ضرورة أخلاقية تربوية اجتماعية علمية، وقد صيغت تلك المعاني بأسلوب القصر بـ (إنّما) التي سمحت للكاتب أن يرسخ الأفكار التي طرحها في أذهان مخاطبيه بطريق مأنوسة لقلوبهم.

وينضاف إلى ما سبق ملمح مهم يُبِين عن سبب آخر في اللجوء إلى هذا الأسلوب من أساليب التوكيد، فالرافعي قد كتب كلامه هذا وهو في أعقاب علة أصابته، ثم برئ منها، أي أنه ليس كلاما نظريا من شخص لم يعرف المرض طريقه، بل كلام صاحب تجربة منفعل بها متأثر بنتائجها، فخرج منه الكلام على تلك الصورة المؤكدة باستخدام أسلوب القصر بـ(إنّما) التي من خصائصها إثبات ما يذكر بعدها، ونفي ما سواه، وما ذلك إلا انعكاس لغوي لمراعاة المتكلم حال نفسه.

وبذلك يكون القصر قد أدى دورا دلاليا مهما في التعبير عن خلجات المتكلم من جانب، وتوصيلها كما أحس للمتلقي من جانب آخر.

---

(١) الذاريات: ٢١.

الفصل الثالث

التوكيد بذكر المسند إليه

الفصل الثالث

(التوكيد بذكر المسند إليه)

"المسند إليه هو الركن الأول في تكوين الجملة، ويسمى المحكوم عليه، فهو المبتدأ، أو الفاعل ونائبه، أو اسم كان، أو اسم إن، أو المفعول الأول من باب ظن وأخواتها"[1].

وذكر المسند إليه قد يكون واجبا على اعتبار أن "الأصل في العبارة كما يقتضي العقل والإعراب أن يذكرفيها المسند إليه؛ لأنه الجزء الأهم الذي تنسب إليه الأحداث والصفات في الجملة، ولا يحذف إلا إذا كان هناك داع من الدواعي... فالأصل أن يذكر إذا لم يكن هناك مقتضى للعدول"[2].

يقول سعد الدين التفتازاني: "على أن المسند إليه هو الركن الأعظم الذي تشتد الحاجة إليه، حتى إنه إذا لم يذكر فكأنه أتي به ثم حذف"[3].

وكذلك يتعين ذكره حين تفتقد القرينة التي تدل عليه عند حذفه؛ لأنه حينها يكون الكلام معمّى مبهما لا يستبين المراد منه[4].

---

(١) علم المعاني دراسة وتحليل ص٤٦، وانظر الكتاب ١/ ٢٣، والمقتضب ٤/ ١٢٦، ومفتاح العلوم ص١٦٦، والإيضاح في علوم البلاغة ص٤٣.

(٢) خصائص التراكيب ص١٨١، وانظر شرح السعد ١/ ١٠٥، وعلم المعاني دراسة وتحليل ص٦٤، ٦٩، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٣٠.

(٣) شرح السعد ١/ ١٠٤.

(٤) انظر جواهر البلاغة ص٧٣، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٣٠.

وقد يذكر المسند إليه مع وجود قرينة تدل عليه، وتمكّن من الحذف، وذلك لنكتة بلاغية ترجّح ذكره على حذفه(١)، كما يذكر لأن وراء الذكر في هذه الحالة "دافعا نفسيا ومغزى يحرص المتكلم عليه، فالذكر يحقق قيمة معنوية في الأسلوب، وفوات هذه القيمة عيب في الكلام، وإخلال بالمطابقة"(٢)، يعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وتتعدد سياقات ذكر المسند إليه(٣)؛ فقد تتصل بظروف المخاطب، كأن يذكر احتياطا في إحضاره في ذهن السامع لقلة الاعتماد والثقة بالقرينة لضعفها، أو فيما قصد به التعريض بغباوة السامع، وأنه لا يفهم إلا بالتصريح، أو التسجيل عليه فيما ينكره؛ حتى لا يتأتى له إنكاره، أو لأن إصغاء السامع مطلوب للمتكلم، ومحبوب له، فيبسط الكلام، كما في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾(٤)، حين قال الله تعالى له: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾(٥)، وكان يتم الجواب بمجرد أن يقول: (عصا)، ثم ذكر المسند إليه، وزاد: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾(٦).

---

(١) انظر البلاغة العالية ص٦٣، وجواهر البلاغة ص٧٣.

(٢) خصائص التراكيب ص١٨٠.

(٣) انظر مفتاح العلوم ص١٦٥، ١٦٦، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٣١، والإيضاح في علوم البلاغة ص٤٣، ٤٤، وشرح السعد ١/ ١٠٥، ١٠٦، والبلاغة والأسلوبية ص٣٢٧، ٣٢٨، وجواهر البلاغة ص٧٣، ٧٤، وعلم المعاني دراسة وتحليل ص٦٩، ٧٠، ٧١، والبلاغة العالية ص٦٣، ٦٤.

(٤) طه: ١٨.

(٥) طه: ١٧.

(٦) طه: ١٨.

وقد يكون الذكر منصرفا إلى المتكلم فيما قصد تعظيم المسند إليه، وذلك في مقامات المدح أو الفخر أو نحوهما، كقول البارودي:

أنا مَصْدَرُ الكَلِمِ النَوادِي بَيْنَ الحواضِرِ والبَوادِي
أنا فارِسٌ أنا شاعِرٌ في كُلِّ مَلْحَمَةٍ ونادِي(١)

أو قصد تحقيره وإهانته، كما يكون في بعض الأسامي، والمقام مقام ذلك، أو قصد التبرك بالمذكور، نحو: محمد رسول الله، أو التلذذ به، كقول قيس:

ألا لَيْتَ لُبْنَى لَمْ تَكُنْ لِيَ خُلَّةً ولَمْ تَلْقَنِي لُبْنَى ولَمْ أَدْرِ ما هِيَا(٢)

وكقول الشاعر:

بِالله يا ظَبَيَاتِ القاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ؟(٣)

"وربما كان أهم سياقات الذكر ما يتصل بطبيعة الصياغة ذاتها، وذلك إذا كانت العلاقة بين الجملة تقتضي مزيدا من التقريروالإيضاح "(٤).

كما أن الرغبة في التقرير والإيضاح تأتي من أن"هناك بعض المعاني تكون أشد علقة بالنفس، فيحرص المتكلم على إبرازها وإشاعتها في جو كلامه"(٥).

---

(١) البيتان في ديوان البارودي ١/ ٢٤٢، ٢٤٣، وفي البلاغة العالية ص٦٤ برواية: (أنا مصدر الكلم البوادي بين المحاضر والنوادي).

(٢) البيت لقيس بن ذريح (قيس لبنى) في ديوانه ص١٢٢ برواية: (ولم ترني لبنى)، وبرواية المتن في خصائص التراكيب ص١٨٢، والبلاغة والأسلوبية ص٣٢٨.

(٣) روي لمجنون ليلى، وليس في ديوانه، ولذي الرمة، وليس في ديوانه أيضا، وللحسين بن عبدالله العريني وللعرجي. انظر البيت في علم المعاني دراسة وتحليل ص٧٠، وخزانة الأدب ١/ ٩٧.

(٤) البلاغة الأسلوبية ص٣٢٨، وانظر مفتاح العلوم ص١٦٥، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٣١، والإيضاح في علوم البلاغة ص٤٤، وعلم المعاني دراسة وتحليل ص٦٩، والبلاغة العالية ص٦٣.

(٥) خصائص التراكيب ص١٨١.

ومنه قول عمرو بن كلثوم:

وقَـدْ عَلِـمَ القَبائِـلُ مِـنْ مَعَـدٍّ ... إذَا قُبَـبٌ بِأَبْطَحِهَـا بُنِينَـا
بِأَنَّـا العاصِـمُونَ إِذَا أُطِعْنَـا ... وأَنَّـا العـازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
وأَنَّـا المانِعُـونَ لِـمَا يَلِينَـا ... إِذَا ما البِيضُ فارَقَتِ الجُفُونَا
وأَنَّـا المُنْعِمُـونَ إِذَا قَـدَرْنَا ... وأَنَّـا المُهْلِكُـونَ إِذَا أُتِينَـا
وأَنَّـا الحـاكِمُونَ بِـمَا أَرَدْنَـا ... وأَنَّـا النـازِلُونَ بِحَيْـثُ شِينَا
وأَنَّـا التـارِكُونَ لِـمَا سَخِطْنَا ... وأَنَّـا الآخِـذُونَ لِـمَا رَضِينَا
وأَنَّـا الطَّـالِبُونَ إِذَا انْتَقَمْنَـا ... وأَنَّـا الضـارِبُونَ إِذَا ابْتُلِينَـا
وأَنَّـا النـازِلُونَ بِكُـلِّ ثَغْـرٍ ... يَخَـافُ النـازِلُونَ بِـهِ المَنُونَـا[1]

"فتكرر المسند إليه (أَنَّا) لزيادة الإيضاح والتقرير"[2].

ومنه قول الآخر:

هُوَ الشَّمْسُ في العَلْيَا هُوَ الدَّهْرُ في السَّطَا ... هُوَ البَدْرُ في النادِي هُوَ البَحْرُ في النَّدَى[3]

ومنه في كتاب الله قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4] فتكرار المسند إليه "أولئك" يفيد التأكيد والإيضاح[5].

(١) الأبيات من معلقة عمرو بن كلثوم في ديوانه ص١٤٩، ١٥٠.

(٢) علم المعاني دراسة وتحليل ص٧٠.

(٣) انظر البيت في جواهر البلاغة ص٧٣.

(٤) البقرة: ٥.

(٥) انظر علم المعاني دراسة وتحليل ص٦٩.

وذكر السكاكي غرضا آخر من أغراض الذكر، وهو إفادة التخصيص، وذلك في حالة "أن يكون الخبر عام النسبة إلىٰ كل مسند إليه، والمراد تخصيصه بمعين، كقولك: زيد جاء، وعمرو ذهب، وخالد في الدار، وقوله:

اللهُ أَنْجَحُ ما طَلَبْتَ بِهِ   والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ(١)

وقوله:

والنَّفْسُ راغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا   وإِذَا تُرَدُّ إِلَىٰ قَلِيلٍ تَقْنَعُ(٢)(٣)

هذا، وهناك أغراض أخرىٰ لذكر المسند إليه تستنبط من داخل السياقات المختلفة التي يرد فيها، وتظهر من خلال التحليل لهذه السياقات.

وبما ورد من ذكر المسند إليه في أدب الرافعي قوله:

وما أَرَىٰ قَلْبَهُ يَرِقُّ لَنَا   كَأَنَّما قَلْبُهُ مِنَ الحَجَرِ(٤)

ذكر الشاعر المسند إليه (قلبه) في الشطر الثاني، وكان من الجائز إضماره تعويلا علىٰ ذكره إياه في الشطر الأول، ولكن الشاعر آثر ذلك الذكر رغبة منه في تأدية الجملة بهذه الصورة؛ لأنها التي تعبر عن مشاعر الاستياء التي يحملها في نفسه لهذا المحب القاسي، ففي ذكر (قلبه) توكيد لإسناد الخبر (من الحجر) إليه إسنادا واضحا

---

(١) البيت منسوب لامرئ القيس وليس في ديوانه، ولعله لامرئ القيس بن عابس، انظر مفتاح العلوم ص١٦٥، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٣٠، والبلاغة والأسلوبية ص٣٢٧.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/ ٣ برواية (فإذا ترد)، وبرواية المتن في مفتاح العلوم ص١٦٥، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص٣٠.

(٣) مفتاح العلوم ص١٦٥، وانظر البلاغة والأسلوبية ص٣٢٦، ٣٢٧.

(٤) ديوان الرافعي ١/ ٩٦.

لا خفاء فيه، ولا يُكتفىٰ فيه بالضمير وإن كان عائدا عليـه، "لأن التصريـح يعمـل في النفوس ما لا تعمله الضمائر"[١].

ومنه قوله:

وأَنْتَ الذِي قَرَّبْتَ مِنْ جِسْمِي الضَّنَا   وأَنْتَ الذِي باعَدْتَ ما بَيْنَ أَجْفانِي[٢]

عمد الشاعر إلىٰ ذكر المسند إليه في الشطرين، في الشطر الأول وجوبا، وفي الثاني جوازا، وكان يمكنه الاكتفاء بذكر الحدثين: تقريب الضنا من جسمه، والإبعاد ما بين أجفانه من غير إعادة المسند إليه، ولكنه لم يفعل ذلك حرصا منه علىٰ نسبة كل حدث إليه في استقلال ووضوح وتوكيد، وكأن هذه الإعادة جعلت كل جملة منفردة بنوع من الألم الذي أحدثه له الحبيب، وفي هذا تهويل ومبالغة لم تكن لتتأتي لو أنه قد قرن الحدثين معا، وأسندهما إلىٰ مسند إليه واحد دون تكرار، كما أن فيه ما يكشف عن المعاناة النفسية التي حدَته علىٰ أن يستأنف مع كل فعل جملة جديدة يذكر في صدرها ضمير المخاطب (أنت).

ومنه قوله:

هِيَ غُصْنُ الرِّياضِ والزَّهْرُ والوَرْ   دُ قَوَامًا ونَفْحَةً وخُدُودَا
وهي شَمْسُ السَّماءِ والظَّبْيَةُ الغَيْـ   داءُ وَجْهًا ومُقْلَتَيْنِ وجِيدَا[٣]

---

(١) خصائص التراكيب ص١٨٨.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ٨٣.

(٣) ديوان الرافعي ١/ ٨٢.

كرر الشاعر ذكر المسند إليه (هي) في البيت الثاني، ولم يقتصر علىٰ ذكره في البيت الأول، وهذا مناسب لمقام الغزل الذي ورد فيه البيتان، لاسيما إن كان يتغزل في حبيبة مُدِلّة بجمالها، فكأنه من خلال هذا التكرار لذكر الضمير العائد إليها يؤكد إقراره وتسليمه بحسنها وفتنتها، ولعلها ترضىٰ ويميل قلبها إليه. كما أنه لا يخفىٰ أن في ذكر ضمير المحبوبة ما يطيب به القلب ويسعد، وما يستعذبه اللسان، "وهكذا كل شيء له فضل تعلّق بالقلب تجد له فضل تعلّق باللسان"(١).

ومنه قوله:

يا مُحِبًّا يَمْشِي عَلَىٰ الأَرْضِ والأَرْ ... ضُ تَضُمُّ الحَبِيبَ تَحْتَ التُّرابِ(٢)

جاء ذكر المسند إليه (الأرض) لحاجة في نفس الشاعر المحب الحزين علىٰ موت حبيبه، فالأرض عنده عزيزة؛ لأنها تضم رفات الحبيب، فهي تتصل منه بسبب، ولذا فهو يتمسك بذكرها، ولا يكتفي بذكر الضمير العائد إليها، وكان بإمكانه هذا، لأنه سبق أن ذكرها قبل ذلك مباشرة، وكأن هذا اللفظ هو آخر ما بقي له، فهو يحرص عليه وعلىٰ ترداده.

ومنه قوله:

"قال أنا ابن المدير"(٣).

(١) خصائص التراكيب ص١٨٤.

(٢) ديوان النظرات ١/ ٣٣.

(٣) من وحي القلم ١/ ٦٣.

أملت الحالة الشعورية على المتكلم أن يلجأ إلى ذكر المسند إليه (أنا)؛ إذ جاء قوله: (أنا ابن المدير) جوابا لسؤال من سأله: ما اسمك؟ وكان يكفي للجواب أن يقول: ابن المدير، ولكن في ذكره المسند إليه جبرا لشعور الانكسار، ومداواة لإحساس الضعف الشديد الذي سيطر عليه حينما تكالب عليه جماعة الأطفال وضربوه حتى أبكوه، وذلك لأن في ذكر الضمير (أنا) توكيدا لحضور المتكلم، وإثباتا لذاته أمام الآخر، مع ملاحظة اختيار المسند (ابن المدير) بما يحمله المضاف إليه من دلالات القوة والمنعة للمضاف، وهو اختيار يرشّح ما ذهبتُ إليه من تحليل.

ما سبق من نماذج كان ذكر المسند إليه فيها جوازا مع وجود القرينة الدالة عليه التي تتيح الفرصة لحذفه، ولكن أُوثِرَ ذكره على حذفه لما يفيد من دلالات أُشِيرَ إليها عند التعرّض لتلك النماذج.

وفيما يلي بعض النماذج التي ورد فيها ذكر المسند إليه وجوبا، ولكنه لم يخل من دلالات أيضا، وإذا قيل: إن المتكلم هنا ليس أمامه إلا أن يذكره، أجيب بأنه كان أمامه أنماط مختلفة من التراكيب، ولكنه (اختار) من بينها التركيب الذي يجب فيه ذكر المسند إليه، فهذا (الاختيار) هو المعوّل عليه في إعطاء الدلالة.

يقول الدكتور/ تمام حسان في حديثه عن المؤشرات الأسلوبية:"إذا كان الأسلوب هو الطريقة المختارة للتعبير عن المعنى فإن لاختيار هذه الطريقة دون غيرها من الطرق الموصلة إلى هذا المعنى مقصدا معينا يقصد إليه صاحب الأسلوب يجعل العنصر المختار مؤشرا أسلوبيا يشير إلى قصد ما"[1].

---

(١) البيان في روائع القرآن ٢/ ١٢٣.

ومما ورد من ذكر المسند إليه وجوبا في أدب الرافعي

قوله:

أنا راضٍ بِكُلِّ ما يُرْضِيكَا فَإِلَى كَمْ هَذا التَّمَنُّعُ فِيكَا؟[1]

يريد الشاعر أن يثبت رضاه المطلق بكل ما يرضي الحبيب، ليتخذ من هذا الإثبات تُكأة يعتمد عليها في إلقاء العتاب إليه لتمنّعه عليه، مع أنه لا يستحق منه هذا التمنّع والتدلّل. وقد حرص الشاعر لتأدية هذا المعنىٰ الذي في نفسه علىٰ اختيار التركيب الذي يتعيّن فيه ذكر المسند إليه، وكأنه بذكر المسند إليه (أنا) يعرض ذاته عرضا صريحا علىٰ المخاطب/الحبيب ليكون المسند/الخبر أوقع في نفسه بما يحمله من دلالات الضعف والتسليم.

ومنه قوله:

أنا البَرِيءُ ولَمْ تَبْرَحْ تُعَذِّبُنِي فلَيْتَ لِي بَيْنَ أَبْناءِ الهَوَىٰ فادِي[2]

يقرر الشاعر أنه لم يقترف ذنبا، ولم يجنِ جناية، وقد ذكر المسند إليه (أنا) توكيدا لإسناد الخبر إليه، وفي هذا التركيب الإسنادي تظهر مشاعر الحيرة من هذا التناقض الواقع فيه؛ إذ لا يبرح يعذَّب مع كونه بريئا.

ومنه قوله:

يا نَسِيمَ الصَّبَا وفِيكَ التَّحايَا أَنَا مَيْتٌ مِنْ طُولِ صَدٍّ وهَجْرِ[3]

(١) ديوان الرافعي ٢/ ١١٥.

(٢) ديوان الرافعي ٢/ ٨١.

(٣) ديوان الرافعي ٢/ ١٠٦.

يشكو الشاعر لنسيم الصبا سوء حاله من الصد والهجر وأثرهما عليه، لدرجة أنه يقرر من خلال ذكر المسند إليه (أنا) الحكم علىٰ نفسه بالموت، وقد كان هذا التقرير تمهيدا لما التمسه في البيت التالي، وهو أن يحمل النسيم له تحية من الحبيب تبعث الحياة في الجسد الميت:

وأَرَىٰ هَذِهِ التَّحِيَّةَ رُوحًا فانْفُخِ الرُّوحَ يا نَسِيمُ بِصَدْرِي[1]

ومنه قوله:

أنا مَنْ عَلِمْتِ فَتَىٰ كَأَنَّ مَهَزَّهُ في الرَّوْعِ مَسْنُونُ الغِرارِ يَمانِي[2]

حرص الشاعر علىٰ أن يكون في كلامه ذكر المسند إليه؛ إذ إن المقام ليستدعي ذلك الذكر، فالشاعر يفخر بنفسه أمام حبيبته، والفخر من المقامات التي يحرص فيها المتكلم علىٰ إبراز ذاته، وتوكيد حضوره، لذا جاء المسند إليه (أنا) لتحقيق ذلك، ثم ليسند إليه الخبر في صورة واضحة.

هذا، ومعلوم أن ذكر المسند إليه ليس من مباحث التوكيد الاصطلاحية، كما أنه معلوم أيضًا أنه لا يخلو تركيب من ذكر المسند إليه، ولكني أدرجته ضمن فصول هذا المؤلف لِما رأيت من نماذج أفاد فيها ذكره الدلالة علىٰ التوكيد، سواء أكان هذا الذكر واجبا أم جائزا، وأنا إذ أفعل ذلك لا أتقيد بمباحث التوكيد المقررة في كتب النحاة، ولذا كانت جل مصادر هذا الفصل ومراجعه من الكتب البلاغية.

---

(١) السابق ٢/ ١٠٦.

(٢) رسائل الأحزان ص٦٤.

الباب الرابع

التوكيد بما يصلح فيه الإفراد والتركيب

وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: التوكيد اللفظي
- الفصل الثاني: التكرار
- الفصل الثالث: تضافر المؤكدات

عولجت تلك الفصول تحت هذا الباب لأن التوكيد اللفظي "يجري في كل لفظ"[1]، فهو "يتبع الاسم والفعل والحرف والجمل"[2].

والتكرار شأنه شأن التوكيد اللفظي، فقد تُكرَّر أي وحدة، ابتداء من أصغر وحدة صوتية إلى أكبر وحدة، وهي الجملة أو التركيب النحوي[3].

وأخيرًا تضافر المؤكدات، وهذا ليس عليه باب يحصره، فهو يجمع من صنوف المؤكدات: بالحروف والأسماء والضمائر والجمل.

---

(١) الكواكب الدرية ص٥٥٨.

(٢) المقدمة الجزولية ص٧٣.

(٣) انظر التكرار في الشعر ص٢٩.

الفصل الأول

التوكيد اللفظي

الفصل الأول

(التوكيد اللفظي)

التوكيد اللفظي: هو "إعادة اللفظ الأول بعينه"[1]، وهو أوسع مجالا من التوكيد المعنوي؛ فـ"ليس عليه باب يحصره؛ لأنه يكون في الأسماء والأفعال والحروف والجمل وكل كلام تريد تأكيده"[2].

فمن توكيد الأسماء قول الشاعر:

أَخاكَ أَخاكَ إِنَّ مَنْ لا أَخَا لَهُ ... كَساعٍ إِلَى الـهَيْجَا بِغَيْرِ سِلاحِ[3]

وقول علي رضي الله عنه:

تَيَمَّمْتُ هَمَدانَ الذِينَ هُمُ هُمُ ... إِذَا نابَ أَمْرٌ جُنَّتِي وسِهامِي[4]

---

(١) شرح قطر الندى ص٣٨٨، وانظر كشف المشكل ص١٩٢، والكناش في النحو والتصريف ١/ ١٦٧، وشرح ابن عقيل ٣/ ١٧٦.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٤١، وانظر الأصول لابن السراج ٢/ ١٩، وكشف المشكل ص١٩٢، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٩٤، وشرح الرضي ٢/ ٣٦٣، والأشباه والنظائر ٢/ ٩٧.

(٣) البيت لمسكين الدارمي في ديوانه ص٢٩، وفي الخصائص ٢/ ٣٣٢، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٥٧، والدرر اللوامع ٦/ ٤٤.

(٤) في ديوانه ص١١٨، برواية: (وحسامي)، وبرواية المتن في شرح التسهيل ٣/ ٣٠١، وهمع الهوامع ٥/ ٢٠٧، والدرر اللوامع ٦/ ٤٣.

ومن توكيد الأفعال قول الشاعر:

فأَيْنَ إِلَىٰ أَيْنَ النَّجاةُ بِبَغْلَتِي أَتاكَ أَتاكَ اللاحِقُونَ احْبِسِ احْبِسِ(١)

ومنه في الحروف قول الشاعر:

لا لا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ إِنَّها أَخَذَتْ عَلَيَّ مَواثِقًا وعُهُودَا(٢)

وأكثر وقوع التوكيد اللفظي بجملة، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

أَلَا حَبَّذَا حَبَّذَا حَبَّذَا حَبِيبٌ تَحَمَّلْتُ فِيهِ الأَذَىٰ(٣)

وقول الآخر:

أَيَا مَنْ لَسْتُ أَقْلاهُ ولا في البُعْدِ أَنْساهُ
لَكَ اللهُ علىٰ ذاك لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ(٤)

وقد يجيء العاطف مع التوكيد اللفظي، وأكثر ما يكون ذلك في توكيد الجمل(٥)، كما جاء في الارتشاف:"وإذا أكدت جملة بجملة وأُمن اللبس، كان الأجود الفصل بينهما بـ(ثم)، كقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا

(١) البيت بلا نسبة في الخصائص ٢/ ٣٣٢، وشرح الكافية الشافية ١/ ٥٣٠، وشرح التسهيل ٣/ ٣٠٢، وشرح الرضي ٢/ ٣٦٦، والدرر اللوامع ٦/ ٤٤، والأشباه والنظائر ٤/ ١٦٥، وأوضح المسالك ٢/ ١٦٣، وشرح ابن عقيل ٣/ ١٧٦.

(٢) البيت منسوب لجميل بثينة، وليس في ديوانه. انظر ارتشاف الضرب ٤/ ١٩٥٧، وشرح الرضي ٢/ ٣٦٦، وشرح قطر الندىٰ ص٣٩٠، والدرر اللوامع ٦/ ٤٧، وحاشية الصبان ٣/ ١٢٢.

(٣) البيت في ديوانه ص٦٣ برواية: (منه الأذىٰ)، وبرواية المتن في شرح التسهيل ٣/ ٣٠٢، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٥٨، ٢٠٦٣، وهمع الهوامع ٥/ ٥٠.

(٤) البيتان بلا نسبة في شرح الكافية الشافية ١/ ٥٢٩، وشرح التسهيل ٣/ ٣٠٢، وحاشية الصبان ٣/ ١١٨، وهمع الهوامع ٥/ ٢٠٨، والدرر اللوامع ٦/ ٤٨.

(٥) انظر شرح التسهيل ٣/ ٣٠٥، وأوضح المسالك ٣/ ٢٨٦، وشرح الرضي ٢/ ٣٦٨، وحاشية الصبان ٣/ ١١٩.

يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾[١]"[٢]. ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾[٤].

ومن توكيد المركب غير الجملة قول الكميت:

فَتِلْكَ وُلاةُ السُّوءِ قَدْ طالَ مُكْثُهُمْ ... فحَتَّامَ حَتَّامَ العَناءُ المُطَوَّلُ[٦]

وقد يكون التوكيد اللفظي بغير اللفظ بما يقويه وما يوافقه معنى، كتوكيد الضمير المستتر والبارز بالمنفصل، نحو: قم أنت، وقمت أنا[٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[٨].

وقد تحدث ابن الأثير عن توكيد الضمير، فقال:"إذا كان المعنى المقصود معلومًا ثابتًا في النفوس فأنت بالخيار في توكيد أحد الضميرين فيه بالآخر، وإذا كان غير معلوم، وهو مما يُشك فيه فالأولى حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه لتقرره وتثبته"[٩].

---

(١) الانفطار: ١٧، ١٨.

(٢) ارتشاف الضرب ٤/ ١٩٥٩.

(٣) النبأ: ٤، ٥.

(٤) القيامة: ٣٤، ٣٥.

(٥) وفي رواية: مُلْكُهُمْ.

(٦) البيت للكميت بن زيد الأسدي في القصائد الهاشميات ص٤٨ برواية: (ملوك السوء)، وبرواية المتن في شرح التسهيل ٣/ ٣٠٢، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٥٨، وحاشية الصبان ٣/ ١١٧، والدرر اللوامع ٦/ ٤٦.

(٧) انظر شرح التسهيل ٣/ ٣٠٢، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٥٨، والأشباه والنظائر ٢/ ٩٦.

(٨) البقرة: ٣٥.

(٩) المثل السائر ٢/ ٣، وانظر فن البلاغة ٢٢١.

وذكر سيبويه التوكيد اللفظي في الجار والمجرور، "وذلك قولك: فيها زيد قائما فيها"[١]. ومنه توكيد الجار والمجرور الظاهر بالجار والمجرور المضمر[٢]، كقوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٣]. كما ذكر سيبويه التوكيد اللفظي في الظرف، نحو: عندك عندك[٤]. وفي القسم أيضًا نحو: وحقك وحقك[٥].

وقد يكون في اسم الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[٦].

ومن خلال عرض تلك النماذج السابقة يثبت لدينا مدى اتساع التوكيد اللفظي، وشيوعه في أصناف الكلام.

هذا، وقد كثرت مقالة العلماء حول الغرض من مجيء التوكيد اللفظي في الكلام. وألخص ما قالوه في النقاط التالية:

- رفع توهم المتكلم أن السامع لم يسمع ما ذكر[٧]، أو سمعه ولكن لم يتبينه[٨].
- لمجرد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع، نحو: جاء الأمير الأمير[٩].

---

(١) الكتاب ٢/ ١٢٥.
(٢) انظر شرح الكافية الشافية ١/ ٥٢٩.
(٣) آل عمران: ١٠٧.
(٤) انظر الكتاب ٣/ ١٧٢.
(٥) انظر السابق ٣/ ٥٠٢.
(٦) المؤمنون: ٣٦. وانظر: فن البلاغة ص٢٢١.
(٧) شرح المقدمة الجزولية الكبير ٣/ ٦٨٤، وانظر التوطئة ص٢٠١.
(٨) النحو الوافي ٣/ ٥٢٦.
(٩) جواهر البلاغة ص١٠١، وانظر التوطئة ص٢٠١، وشرح الرضي ٢/ ٣٥٧، ٣٥٨.

- لإرادة انتقاش معناه في ذهن السامع، نحو: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[١]،[٢].
- تمكين المؤكَّد في نفس من يوجه له الكلام، وإزالة ما لديه من شبهة حوله[٣].
- الاعتناء بلفظ المؤكَّد[٤].
- التهويل، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾[٥]،[٦].
- التهديد، كقوله تعالى في خطاب المعاندين بالباطل: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾[٧][٨].
- التلذذ بترديد لفظ مدلوله محبوب مرغوب فيه[٩].

وهناك نص جامع للزمخشري يضم أغلب الأغراض السابقة يقول فيه: "وجدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكَّد وما علق به في نفس السامع، ومكَّنته من قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجته، أو توهمت غفلة وذهابا عما أنت بصدده فأزلته"[١٠].

---

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) جواهر البلاغة ص١٠١.

(٣) انظر البلاغة العربية ٢/ ١٠٩.

(٤) انظر شرح ابن عقيل ٣/ ١٧٦.

(٥) الانفطار: ١٧، ١٨.

(٦) النحو الوافي ٣/ ٥٢٦.

(٧) التكاثر: ٣، ٤.

(٨) النحو الوافي ٣/ ٥٢٦.

(٩) السابق ٣/ ٥٢٦.

(١٠) التخمير ٢/ ٧٨.

ومع وجاهة ما ذُكر من أغراض سالفة فإني أرىٰ أن الأمر يَعزُّ علىٰ الحصر، إذ إن مردّ الأمر ومرجعه إلىٰ السياق الذي يُستنبط منه الدلالات المختلفة التي من أجل أدائها يُجاء بالتوكيد.

وأود الإشارة إلىٰ أن التوكيد اللفظي– في رأيي– من أقوىٰ الأساليب قدرة علىٰ التعبير عن انفعالات المتكلم/ المبدع، والوقوف علىٰ خلجات نفسه؛ لأنه مع التوكيد اللفظي لم يلجأ إلىٰ أداة خارج محيط الجملة ليعبر بها عما يريد التعبير عنه، بل كفاه أن يعمد إلىٰ اللفظ ذاته ويكرره ثقة منه بأن ذلك يفي بحاجته، ويبلغه مرامه.

وسوف يلاحظ في تحليل النماذج التي ورد فيها التوكيد اللفظي في أدب الرافعي كيف أنه جاء ناقلا أمينا لما في نفس المتكلم، وموصلا جيدا للمخاطب.

ومما ورد من توكيد اسم الفعل في أدب الرافعي

قوله:"أف أف!. أتريدون أن أزوّج ابنتي من ابن أمير المؤمنين، فيخزيها الله علىٰ يدي؟"[1].

كثر كلام الناس حول رفض سعيد بن المسيب زواج ابنته من الوليد ابن عبدالملك، وقد تنامىٰ هذا الكلام إلىٰ سمع الإمام، فجاء قوله: (أف أف) معبرا عن أقصىٰ حالات الضيق والضجر التي وصل إليها من اعتراض الناس المنطوق وغير المنطوق علىٰ ما فعل، واتهامهم له بأنه جنىٰ علىٰ ابنته جناية كبرىٰ حين حرمها النعيم في قصر الخلافة، وألقىٰ بها إلىٰ الجحيم في دار طالب علم فقير!.

---

(١) من وحي القلم ١/ ١١٤.

وفي هذا التوكيد اللفظي ما ينفس به المتكلم عن الشحنة الانفعالية التي يحتبسها في صدره.

ومنه قوله: **"آه آه حتىٰ زواج المرأة بالرجل هو في معناه مرور المرأة المسكينة في دُنيا أخرَىٰ إلىٰ موت آخَر، ستحاسَب عنده بالجنة والنار ..."**(١).

يُظهر التوكيد اللفظي في قوله: (آه آه) رحمة الكاتب وشفقته وتعاطفه مع المرأة، لا سيما حين تصير زوجة، فهو يكرر توجعه لها لما يُلقىٰ علىٰ عاتقها من مسؤولية أمام الله تجاه زوجها. وفي تكرار تأوهه ما يؤكد عِظم تلك المسؤولية التي لا يناسبها تأوه واحد، كما يؤكد رقة قلبه الشفوق.

ومنه قوله: **"وي منكَ!. وي منكَ!. لقد ضربتَ علىٰ رأس المسمار كما يقولون"**(٢).

يعبر التوكيد اللفظي في قوله: (وي منك وي منك) عن شدة التعجب من فهم الكاتب (المخاطب) لصديقه (المتكلم)، ذلك الفهم الواضح. ومن انفعال المتكلم طفق يؤكد ويكرر اللفظ الدال علىٰ التعجب مع الجار والمجرور الذي بعده، وكان يكفي ذكره مرة واحدة لإنشاء معنىٰ التعجب، ولكنه اختار التعبير بهذه الصورة؛ لأنها تستوعب شدة انفعاله، وتستطيع أن تنقله إلىٰ المخاطب كما هو في نفسه ووجدانه.

ومما ورد من توكيد اسم الإشارة مع توكيد الضمير المتصل بالضمير المنفصل:

قوله: **"هذه هذه، لا أطلب في غيرها امرأة أجمل منها، فهذا كالمستحيل، ولكني ألتمس فيها هي امرأة أطهر منها ..."**(٣).

---

(١) السابق ١/ ١٢١.

(٢) من وحي القلم ٣/ ١٠٩.

(٣) السابق ٣/ ١١٠.

جاء التوكيد اللفظي لاسم الإشارة في قوله: (هذه هذه) معلنا عن صدق الرغبة في تلك المرأة، والحرص على طلبها، ثم جاء التوكيد للضمير المتصل بالضمير المنفصل في قوله: (فيها هي) ليدل على المعنى نفسه، ويدعم التوكيد الأول، ويوثق عراه، فقد قصر المتكلم التماسه للمرأة الطاهرة النقية على المرأة التي يحبها وحدها دون غيرها من النساء.وبذلك كله يثبت بالقطع تمسكه بها تمسكا لا معدل عنه، على ما فيها من السوء الذي يجعل القرب منها أشبه بالمستحيل، ولكنه يرجّي الطهر فيها، ولا يطلبه في سواها*.

ولو أنه "اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المكانة من التقرير "[1].

ومنه قوله: "**قلت: هذا هذا، إنه الحياء، الحياء لا غيره**"[2].

يدل التوكيد اللفظي في قوله: (هذا هذا) على وقوع المتكلم على مراده تماما، وأنه قد وجد طِلبته التي ينشدها، وحينها انفعل معبرا عن شعوره الذي اعتراه في تلك اللحظة بتكرار اسم الإشارة، وكأنها صيحة تكبير أو تهليل.

<u>ومما ورد من توكيد الضمير المنفصل بالضمير المنفصل</u>

قوله: "إنك لو أبصرت حينئذ قلب هذا المسكين لرأيته على زلزلة من شدة الخفقان، وكأنه في ضرباته متلعثم يكرر كلمة واحدة: هي هي هي"[3].

* يتحدث الكاتب عن امرأة تعمل راقصة.

(١) المثل السائر ٢/ ٤، ٥.

(٢) من وحي القلم ١/ ٢٦٨.

(٣) السابق ٣/ ١٠٧.

يصور الكاتب حال قلب صديق له حين رأىٰ من ملكت عليه فؤاده مقبلة عليهما بغتة. وقد نقل التوكيد اللفظي (هي هي هي) مشاعر الاضطراب الشديد الذي عرا قلب هذا المسكين، هذا الاضطراب الذي جعله يطلق الضمير العائد إليها (هي)، ويكرره مرارا دون وعي منه كأنه لا يصدق رؤيتها ماثلة أمام عينه.

ومما اجتمع فيه توكيد الضمير المتصل بالضمير المنفصل وتوكيد المركب غير الجملة

قوله: "وقامت حياتها علىٰ الأساس الذي وضعته أنا بيدي، أنا بيدي"[1].

يشف التوكيد اللفظي في قوله: (وضعته أنا بيدي، أنا بيدي) عن امتلاء نفس المتحدثة بشعور الاعتزاز والافتخار بقيمة ما قامت به من عمل نبيل، بل في غاية النبل، إذ إنها قد ضحت بحبها، وغلّبت مشاعر الإيثار علىٰ مشاعر الأثرة في قلبها، وأصلحت بين من تحب وبين زوجته، وأعادت الود والحب والحياة بينهما. وعندما نجحت في تحقيق ما رامت غمرتها سعادة عظيمة، فانطلقت تؤكد بالضمير المنفصل تارة، وبالتركيب تارة أخرىٰ نسبة هذا الفعل إليها، وأنه كان صنع يدها هي. ولا شك في ما في هذا التوكيد المتداخل من بلاغة أضافت إلىٰ تقرير المعنىٰ جمال التركيب في صورة اللفظ.

ومما ورد من توكيد الضمير المتصل بالضمير المنفصل

قوله:

وعَلامَ تَرْجُو الناسَ في الأَمْرِ الذِي ... يَعْنِيكَ أَنتَ وأَنْتَ بَعْضُ الناسِ؟[2]

(١) السابق ١/ ٣٠٦.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ١٨.

يستنفر الشاعر همة المخاطب، ويحثه بقوة على الاعتماد على نفسه في منافعه الشخصية، وذلك بعد أن استنكر عليه رجاءه الناس في أموره الخاصة تلك، في حين أن هؤلاء الناس لا يمتازون عنه بشيء. ويأتي التوكيد اللفظي في قوله: (يعنيك أنت) ليحقق من خلاله أكثر من هدف، فهو يحرك القوى الفاعلة داخل المخاطب ويثيرها، كما أنه يبرز له معنى اختصاصه بأموره وحاجاته، دون أي أحد غيره، في إطار واضح أمام عينيه، وأيضا يمكّن هذا المعنى من نفسه. ولو أن الشاعر قد اكتفى بالضمير المتصل في قوله: (يعنيك) دون أن يؤكده بالضمير المنفصل (أنت) لفقد المعنى الكثير من الدلالات التي اكتسبها مع التوكيد.

ومنه قوله: "**فانظر فإنك ما جئتَ لابنتي وابنه، ولكن جئت تخطبني أنا لبيعته**"[1].

جاء التوكيد اللفظي في قوله: (تخطبني أنا) يحمل لمحة دالة على فطنة المتكلم، وشدة إدراكه ووعيه بما تنطوي عليه نفس المخاطب من النوايا، ولذا لم يكتف بذكر الضمير المتصل مع أنه يؤدي المعنى، حتى أتى بالضمير المنفصل الذي يؤكده، وقد أضاف التوكيد اللفظي ما يشبه القصر الذي يوصد معه كل باب لاحتمال الشركة، وكأن المعنى: ما جئت إلا لتخطبني أنا فحسب لبيعة الخليفة دون ابنتي لابنه، وبذلك كله يفند المتكلم زعم المخاطب، ويطّرح صدق دعواه.

---

(١) من وحي القلم ١/ ٩٩. الحديث هنا بين الإمام سعيد بن المسيب ورسول عبدالملك بن مروان، حول خطبة الوليد بن عبدالملك لابنته.

ومما ورد من توكيد الضمير المستتر بالضمير البارز

قوله:

كَمْ واجِدٍ مِنَّا تَقاذَفَ قَلْبَهُ ... ذاتُ الدَّلالِ فَإِنْ دَنَا هُوَ تَبْعُدِ(١)

جاء التوكيد اللفظي للضمير المستتر في الفعل (دنا) بالضمير البارز (هو) لأن الشاعر يريد بذلك توكيد إسناد الفعل إلى المحب الواجد، وصولا إلى بيان مدى عذاب هذا المحب الذي يجتهد في القرب، ويتكلف له، وفي المقابل استغنى عن مجيء هذا التوكيد للضمير المستتر في الفعل (تبعد)، وكأنه بذلك لا يريد أن يُجري ذكرا البتة لتلك التي- بكل سهولة- تبعد، غير متكبدة أي مشقة، ولا متكلفة أي عناء لهذا البعد. وصَوْغ هذا البيت على هذا النسق من التوكيد تارة وطرحه تارة أخرى يُكسب الشاعر تعاطف المتلقي معه.

ومنه قوله: "**وأعيش أنا في مثل هذا الهجر على المعنى الذي لا يتغير كمعنى البِلَى، ولا يتسامح كمعنى الضغينة، ولا يترخص كمعنى العقيدة**"(٢).

ذكر الكاتب الضمير (أنا) توكيدا لفظيا للضمير المستتر وجوبا في الفعل (أعيش) ليبرز ذاته في صورة واضحة يؤكد من خلالها المعاناة التي هو فيها بسبب الهجر الذي جره عليه سمو نفسه وعزتها، كما أنه يُشتم من هذا التوكيد اللفظي بهذا الضمير رائحة الاختصاص، أي أنه يختص نفسه بهذا العيش المرير دون حبيبته، وفي ذلك تضعيف منه لحجم المعاناة التي يقاسيها.

ومنه قوله: "**فما أهنأني أن يجيئني من نسيانها شيء تبته هي في حياتي**"(٣).

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٥٢.

(٢) أوراق الورد ص٢٩٠.

(٣) رسائل الأحزان ص٤٣.

يستروح الكاتب هنا أي نفحة تأتيه من قِبل الحبيبة التي تحول حبها إلىٰ مجرد ذكرىٰ، ويأتي التوكيد اللفظي للضمير المستتر في الفعل (تبث) بالضمير البارز (هي)- مع إمكان الاستغناء عنه- لأنه يؤكد نسبة هذا الفعل إليها، الأمر الذي يوضح أهمية ما يمكن أن تقوم به في حياته، حتىٰ وإن كانت بعيدة في غيهب النسيان، ولا شك فيما يحمله لفظ (حياتي) من دلالات تعمق من دور الفعل، فهو لم يجعل هذا (البث) في أي شيء، بل في (حياته).

وهناك أيضًا دلالة نفسية يحملها هذا التوكيد اللفظي، وهي الكشف عن رغبة دفينة داخل المتكلم لاستحضار تلك الذات المحبوبة، ولو كان هذا الاستحضار باستدعاء الضمير العائد إليها في ذهنه – إذ هو مستتر في اللفظ - ثم توكيده دون ذكر اسمها الصريح بله شخصها، وكأن ضميرها هو آخر ما بقي له منها، فهو لذلك يتمسك به، ويحرص علىٰ ذكره وإبرازه؛ لأنه ضمير محبوب بعوده إلىٰ المحبوبة.

ومنه قوله: "**ماذا أنت قائل يا صاحب المشكلة لو أن زوجتك هذه المسكينة المظلومة التي بنيت بها، كانت هي التي أُكرهَت علىٰ الرضا بك، وحُملَت علىٰ ذلك من أبيها، ثم كنت أنت لها عاشقا، وبها صبا، وفيها متدلّها، ثم كانت هي تحب رجلا غيرك، وتصبو إليه، وتُفتتَن به ...**"[1].

يعالج الكاتب مشكلة شائكة، وهي عزوف الرجل عن زوجته بحجة أنه لا يحبها، ولكنه يحب امرأة أخرىٰ. وفي هذا السياق يحرص الكاتب علىٰ توكيد الضمير المستتر/ اسم كان بالضمير البارز (هي) مرتين، ليستدعي بذلك شخص الزوجة، ثم يسند إليها الأخبار التي ذكرها: (التي أُكرهت...)، (تحب رجلا...) في صورة مؤكدة

---

(١) من وحي القلم ١/ ٣١٠.

مقررة، هادفا من وراء ذلك إلى إعظام الأمر في نفس المخاطب/ الزوج بما يثير نخوته ومروءته ويحرك ضميره، لعله في النهاية يراجع نفسه، ويعيد ترتيب أوراقه.

ومنه قوله:"**ولا يرضى لنفسه أن يكون هو والذل يعملان في نساء أمته عملا واحدا، وأن يصبح هو والكساد لا يأتي منهما إلا أثر متشابه، وأن يبيت هو والفناء في ظلمة واحدة كظلمات القبر**"(١).

يعرّض الكاتب بمن أطلق عليه (أرملة الحكومة)، ويقصد به"**الرجل العزب يكون مطيقا للزواج، قادرا عليه، ولا يتزوج،...**"(٢)، ويرى أنه يُحسب في الرجال كذبا وزورا؛ لأنه يفتقد أخص معاني الرجولة التي منها ما ذكر في الفقرة السابقة، ويأتي التوكيد اللفظي للضمير المستتر/ اسم كان بالضمير البارز (هو) في قوله: (أن يكون هو والذل...)، و(أن يصبح هو والكساد...)، و(أن يبيت هو والفناء...)، وقد ركّب الكاتب جمله بصورة توجب مجيء هذا التوكيد اللفظي، إذ فيها عطف على ضمير مستتر(٣)؛ لأنه أراد أن يستحضر هذا العزب في الكلام، حتى ولو بذكر ضميره، ليعطف عليه كلا من (الذل والكساد والفناء) بشكل صريح وواضح ومؤكد، يجعل نقده له أشد وقعا وأعمق أثرا في نفس المتلقي.

ومما ورد من توكيد الجمل

قوله:"فما عاد بعد ذلك يا أمير المؤمنين، ما عاد بعد ذلك، وترك لي ندامتي وكلام دموعه، وليتني لم أفعل، ليتني لم أفعل"(٤).

---

(١) السابق ١/ ١٨٩.

(٢) السابق والصفحة نفسها.

(٣) انظر المستوفى في النحو ٢/ ١٩، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٢.

(٤) من وحي القلم ١/ ٩٦.

تحكي جارية الخليفة يزيد بن عبدالملك بين يديه ما كان من أمرها مع الرجل الذي أحبته من شغاف قلبها. وقد جاء التوكيد اللفظي في قولها: (فما عاد بعد ذلك... ما عاد بعد ذلك) لتطلق من خلاله تلك الحسرة التي تهد من أركان فؤادها هدا على ذهاب ذلك الحبيب دون عودة، كما أنها بهذا التكرار تدفع مظنة أي تجوّز في كلامها، وتقرر بالقطع عدم عودته بتة من بعد آخر لقاء بينهما.

وهناك شيء يستلفت النظر في هذا التوكيد؛ فالمتكلمة جارية، وتقول ما تقول بين يدي الخليفة مالكها، وهي تعي ذلك تماما بدليل النداء في قولها: (يا أمير المؤمنين)، وهذا يدل على أن الألم الشديد في نفسها أفقدها السيطرة على لفظها، فعاودت تكرر الجملة الأولى وتؤكدها بعد أن فصل النداء بين الجملتين، غير ملقية بالا لمن تتوجه إليه بالحديث.

ثم يأتي التوكيد اللفظي في قولها: (وليتني لم أفعل، ليتني لم أفعل) ليؤكد بشدة شعور الندم القاسي على ما قامت به من قول أو فعل كان سببا في صرم حبل وصلها مع ذلك الرجل، ووقوع القطيعة بينهما، كما أنه يُظهر أنها محمِّلة نفسها المسؤولية كاملة عما حدث، فلم تقل مثلا: ليتنا لم نفعل، أو: ليته لم يفعل، أو غير ذلك.

ويلاحظ هنا عدم الفصل بين الجملتين، كما في أول الحديث، وكأنها قد تناست تماما أن أمامها مخاطبا، فما بها أذهلها عن كل من حولها وما حولها.

ومنه قوله: "**وظهر لي وجه الشيخ، وما أدراك من الشيخ، ثم ما أدراك من هو؟**"[1].

---

(١) السحاب الأحمر ص١٣٤.

يتحدث الكاتب عن الشيخ محمد عبده، ويكشف من خلال التوكيد اللفظي في قوله: (وما أدراك... ثم ما أدراك) عن مشاعر التعظيم والإكبار التي يكنها في نفسه للشيخ الجليل، تلك المشاعر التي أجرت على لسانه هذا التكرار الذي لا يخلو من التهويل والمبالغة.

كما أن في هذا التوكيد إثارة التشويق لدى السامع مما يجعله يقبل على تلقي نبأ هذا الشيخ بشغف واهتمام. وقد أسهم في تلك الإثارة ذكر العاطف (ثم) بين الجملتين، مما يجعل السامع مترقبا لما يليه من المعطوف، فإذا به يجده هو المعطوف عليه نفسه، فيزيد ذلك من فضوله وإقباله على معرفة من هذا الشيخ.

ومما ورد من توكيد المركب الذي يتردد بين الجملية والإفراد قوله:

يا نَاعِسَ الطَّرْفِ كَمْ أَشْكُو ... رُحْماكَ يا ناعِسَ العَيْنَيْنِ رُحْماكَا[1]

جاء التوكيد اللفظي في قوله: (رحماك... رحماك) تأكيدا على طلب الرحمة من هذا الحبيب الظالم القاسي، وفي تكرار طلب الرحمة والتأكيد عليه ما يظهر ضعف الشاعر أمام ذاك الحبيب. كما أنه أكد النداء له توكيدا لفظيا مع تغيير طفيف في لفظ المضاف إليه دون تغيير معناه، وذلك قوله: (يا ناعس الطرف، يا ناعس العينين)، وتكرار هذا النداء جاء خادما للغرض نفسه الذي جاء له التكرار الأول؛ إذ إنه يحمل التوسل والاستعطاف اللذين يتوصل بهما إلى الرحمة.

ومنه قوله:

أَمْسَيْتُ مِنْ يَوْمِ النَّوَىٰ فَزِعا ... وَيْلِي عَلَىٰ يَوْمِ النَّوَىٰ وَيْلِي[2]

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ١٣٦.

(٢)ديوان الرافعي ١/ ١٣٦.

يظهر الشاعر من خلال التوكيد اللفظي في قوله: (ويلي... ويلي) عمق الألم الذي في نفسه من يوم النوىٰ، ولذا لم يكن ذكر الويل مرة واحدة كافيا لإفراغ شحنة مشاعر الألم والعذاب التي يجد حرها في قلبه.

كما أنه ذكر (يوم النوىٰ) غير مرة لما يجد له من مرارة في داخله؛ فهو اليوم الذي يفترق فيه الأحبة إلىٰ غير موعد، وربما إلىٰ غير أمل في اللقاء بعده. وفي تكراره لذكره ما يشبه حال المتوجع من شيء، إذ نجده يكرر هذا الشيء مرارا لشدة توجعه منه.

ومنه قوله:

يا عَرُوسَ الشِّعْرِ أَهْلًا ثُمَّ أَهْلًا بِالنَّجِيبَهْ[1]

جاء التوكيد اللفظي في قوله: (أهلا ثم أهلا) ليعبر عن مشاعر الفرح والابتهاج المسيطرة علىٰ الشاعر وهو يؤرخ ميلاد ابنته وهيبة. ومن فرط تلك المشاعر السعيدة لم يكتف بترحيب واحد بها، بل تلاه بترحيب ثان، وكأنه إذ يفعل ذلك يستشعر أن ترحيبا واحدا لا يكفي لتأدية الاحتفاء الواجب لتلك الابنة الغالية، أو أنه قاصر عن حمل ذلك الفيض من المشاعر الجياشة.

ويأتي العاطف (ثم) ليظهر معه الترحيب الثاني (المعطوف)، وكأنه إنشاء جديد، وليس تكرارا للأول، فيعطي معنىٰ: أرحب بك ترحيبا بعد ترحيب.

ومنه قوله: "**ألا بُعدا، ألا بُعدا!. ولعمري أي سخرية أقبح من إرسال الجميلة لتُقلّم بألحاظها أظفار الوحش**"[2].

---

(١) السابق ٣/ ١٣٩.

(٢) حديث القمر ص٧٧.

يأتي التوكيد اللفظي في قوله: (ألا بعدا ألا بعدا) ليعبر به الكاتب عن سخطه الشديد، وحنقه على تلك الصفقة الخاسرة التي يشتري فيها الغني القبيح قلب الحسناء بماله، وهي له كارهة، وعليه مكرهة. وفي تكرار (ألا) تنبيه مؤكد يمثل إطلاق صيحة معلنة عن شيء ذي خطر بعدها، وفي تكرار (بعدا) إظهار لأعلى درجات الغضب والرغبة في بعده وانزوائه إلى أقصى مدى.

ومنه قوله:"**عزاء عزاء، فقد كتب لك القدر – يا روضة الورد – أن يأخذ إليك طريقه ذلك المحتطب الجافي**"[(١)].

الحديث هنا موصول في الموضوع نفسه، وبعد ثائرة الغضب التي تملّكت الكاتب في النص السابق يتوجه إلى تلك الجميلة التي ستباع باسم الزواج!. فيرثي لها أشد الرثاء. وقد جاء التوكيد اللفظي في قوله: (عزاء عزاء) معبرا عن مدى أساه وأسفه لها، مما جعل لسانه يلهج بتكرار العزاء، وكأنه لعظم المصيبة التي ألمت بها، قد رأى أنه لا يكفي بحال تقديم عزاء واحد لتلك المسكينة، وكأنه يحاول بهذا التكرار أن يخفف عنها شيئا ما.

<u>ومما ورد من توكيد الحرف</u>

قوله:"لا لا، يا رجال الجامعة، إن كان هناك شيء اسمه حرية الفكر، فليس هناك شيء اسمه حرية الأخلاق"[(٢)].

يؤكد الكاتب من خلال التوكيد اللفظي في قوله: (لا لا) رفضه التام لما يتبناه مسؤولو الجامعة من مبادئ وأفكار لا يرضاها، ولا يقرها، كما أنه بذلك يعلن تأييده

(١) السابق ص٧٨.

(٢) من وحي القلم ٣/ ١٤٤.

وضم صوته إلى شباب الجامعة المصرية الذين طالبوا بإدخال التعليم الديني في الجامعة، والفصل بين الشباب والفتيات.

ومنه قوله:"لا لا، بل قطرة واحدة من هذه القطرات تجعل حنظلتي كلها يا حبيبتي قرصا من العسل ما دامت منكِ"[1].

جاء التوكيد اللفظي للحرف (لا) ليقرر الكاتب نفيه ما سبق من كلام وجهه للحبيبة، وهو"**وتركتِني لآلامي كالحنظلة المرة: لو أنك أمسَسْتِها قطرات من العسل لما أحْلتها، ولا بقيت حلوة**"[2]. وكأنه لما قال هذا الكلام استشعر أنه ربما أحزنها منه، فسارع إلى نفيه تطييبا لخاطرها، وكان من الطبيعي في هذا الموقف أن يكرر حرف النفي ليُعفِّي آثار ما سبق.

وتحسن الإشارة إلى أن ما أورده بعد ذلك من مؤكدات: النعت المؤكد (واحدة)، والتوكيد المعنوي (كلها) كان في سبيل تحقيق الغرض نفسه.

وهكذا نلحظ من خلال النماذج السابقة كيف تنوع مجيء التوكيد اللفظي في أدب الرافعي ما بين اسم الفعل والضمائر والجمل والتراكيب التي تتردد بين الجملية والإفراد، وهو في كل ذلك يلبي حاجة الكلام إليه.

---

(١) أوراق الورد ص٨٦.

(٢) السابق ص٨٥.

الفصل الثاني

التكرار

الفصل الثاني

(التكرار)

التكرار لغة: الإعادة والرجوع، قال الجوهري: "كررت الشيء تكريرا وتَكرارا، قال أبو سعيد الضرير: قلت لأبي عمرو: ما الفرق بين تِفعال وتَفعال؟ فقال: تِفعال بالكسر اسم، وتَفعال بالفتح مصدر. وتكركر الرجل في أمره: أي تردد"[1]. وفي اللسان: "كرّر الشيء: أعاده مرة بعد أخرى، ويقال: كررت عليه الحديث، وكركرته إذا رددته عليه، وكركرته عن كذا إذا رددته، ومنه التكرار"[2]. وجاء في القاموس المحيط: "كرره تكريرا وتكرارا وتكِرَّة كتحِلَّة، وكركره: أعاده مرة بعد أخرى، والكرّ: الرجوع عن الشيء، ومنه التكرار"[3].

وأما التكرار مصطلحا فنيا فلا يبعد عن ذلك كثيرا، إذ يتحدد مفهومه بـ"أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ أو المعنى"[4] لغرض يستدعي ذلك التكرار، وحدَّه ابن الأثير بأنه "دلالة اللفظ على المعنى مرددا"[5].

والتكرار من الأساليب الشائعة في العربية "تثيره في الغالب حاجة المتكلم إلى الاهتمام باللفظ المكرر وتقرير المعنى الذي يتضمنه الكلام في نفوس متلقيه، حتى قيل:

---

(١) الصحاح للجوهري (كرر) ٢/ ٨٠٥، وانظر مادة (كرر) في مختار الصحاح ص٥٦٧.

(٢) لسان العرب (كرر) ١٣/ ٤٦، وانظر مادة (كرر) في المعجم الوسيط ٢/ ٧٨٢.

(٣) القاموس المحيط (كرر) ٢/ ١٣٠.

(٤) معجم البلاغة العربية ص٥٧٣، وانظر البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٠.

(٥) المثل السائر ٢/ ١٣٧.

إن الكلام إذا تكرر تقرر"(١)، أي أنه ظاهرة لغوية الغرض منها توكيد الألفاظ التي تخضع للتكرار، وكذلك توكيد معانيها(٢)، كما أنه"أداة بيانية عريقة راسخة في موقعها بين أدوات البيان، وهو فن بلاغي أصيل قريب من الفطرة، يستخدم في مقامات لا يسد غيره مسده، وفي أغراض لا يحققها سواه"(٣)، إضافة إلىٰ ما له من تأثير مباشر علىٰ السامع، إذ إنه"في أعلىٰ صوره انبعاث وجداني يفيض علىٰ السامع حرارة يتحرك له قلبه، وإلا كان صورة باردة تفقد نبض الحياة"(٤).

ونظرا لأهميته وشيوعه في القرآن الكريم وفي الشعر العربي، فقد أولاه العلماء عناية ملحوظة في مصنفاتهم، فتحدث عنه الفراء، وذكر أن العرب تكرر علىٰ التغليظ والتخويف(٥)،"وقد عبر الفراء بالتغليظ والتخويف؛ لأن المقام مقام تهديد ووعيد يحمل في طياته التوكيد"(٦). ويرىٰ ابن قتيبة أن التكرار مذهب من مذاهب العرب في كلامهم، ويقصد به التوكيد والإفهام:"ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز؛ لأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلىٰ شيء أحسن من اقتصاره في المقام علىٰ فن واحد"(٧)، وكذا يرىٰ الرازي أن"سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية

(١) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ص٣٢٠، وانظر البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٠.

(٢) انظر التكرار في الشعر ص٢٩، والبرهان في علوم القرآن ٣/ ١٠، والبيان في روائع القرآن ١/ ١٣٥.

(٣) التكرار في القرآن الكريم ص٨.

(٤) التكرير بين المثير والتأثير ص٩٠.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٨، ومعجم المصطلحات البلاغية ١/ ٢٣٦.

(٦) أثر النحاة في البحث البلاغي ص١٤٣.

(٧) تأويل مشكل القرآن ص٢٣٥.

بالأمر"[١]. ويبين الزركشـي فساد رأي من يقول بقبح التكرار، ويقرر أنه من أساليب الفصاحة ومحاسنها:"وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنا أنه لا فائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيدا"[٢]. ويوضح الجاحظ قيمة التكرار، ويعلي من شـأنه، فيقول:"وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهى إليه، ولا يُؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص"[٣]. ويذكر أبو هلال العسكري الغرض من التكرار، وكثرة مجيئه في القرآن الكريم والشعر، فيقول:"وكلام الفصحاء إنما هو شوب الإيجاز بالإطناب... حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع، وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر منه شيء كثير"[٤]. ويقول عنه ابن الأثير:"اعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ"[٥]. ويقول عنه العلوي:"وليس يخفى موقعه البليغ، ولا علو مكانه الرفيع، وكم من كلام هو عند التحقيق طريد حتى يخالطه صفو التأكيد، فعند ذلك يصير قلادة في الجيد وقاعدة في التجويد"[٦].

ويلاحظ أن التكرار قد ارتبط "في التراث النحوي بالتوكيد اللفظي، وفي التراث البلاغي بالتوكيد لنكتة، كتأكيد الإنذار أو الإيغال، أو زيادة المبالغة، أو غير ذلك مما

---

(١) الصاحبي ص٢١٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٩.

(٣) البيان والتبيين ١/ ١٠٥.

(٤) كتاب الصناعتين ص٢١٢.

(٥) المثل السائر ٢/ ١٣٧.

(٦) الطراز ٢/ ٩٤.

نص عليه البلاغيون، وأوردوا عليه الشواهد"[1]. بيد أن التكرار أوسع نطاقا من التوكيد اللفظي، فالتوكيد اللفظي لا تتجاوز صوره ثلاث مرات، ولا يفصل بينه وبين المؤكد[2]، والتكرار ليس كذلك، فهو يأتي علىٰ مستويات عديدة يصعب حصرها حصرا كاملا"نتيجة لارتباطه بقدرات الشعراء المستمرة علىٰ الابتكار والتجديد والتجريب بما يناسب طبيعة التجربة الشعرية ووحدتها"[3].

ومِنْ ثَمَّ فقد تباينت نظرة الباحثين في معالجة أنماط التكرار، فقد رصد الأستاذ الدكتور محمد صابر عيد أهم أشكال التكرار وأوسعها انتشارا، بعد أن ذكر أن محاولة حصر أشكال التكرار المستخدمة في القصيدة الحديثة لا يعد أمرا سهلا وميسورا، ومن تلك الأشكال:

- التكرار الاستهلالي:"يستهدف التكرار الاستهلالي في المقام الأول الضغط علىٰ حالة لغوية واحدة، وتوكيدها عدة مرات بصيغ متشابهة ومختلفة من أجل الوصول إلىٰ وضع شعري معين قائم علىٰ مستويين رئيسين: إيقاعي ودلالي"[4].
- التكرار الختامي:"يؤدي التكرار الختامي دورا شعريا مقاربا للتكرار الاستهلالي،

---

(١) نحو أجرومية للنص الشعري ص١٥٧، وانظر أغراض التكرار في: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص١٣٨، والإيضاح في علوم البلاغة ص١٧٧، والبرهان في علوم القرآن ٣/ ١١: ٣/ ١٨، والعمدة ص٧٤، ٧٥، ٧٦، والطراز ٢/ ٩٥، ٩٨، والبيان في روائع القرآن ٢/ ٥٣، ٥٤، وجواهر البلاغة ص١٤٢، ١٤٣، والبلاغة العالية ص١٢٧.

(٢) انظر التوكيد وأثره في التراكيب النحوية لفتحي بيومي حمودة. رسالة ماجستير ص٢٢: ٣٨، وانظر حاشية الصبان ٣/ ١١٦، وشرح المكودي ص٢٢٤.

(٣) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ص١٨٣.

(٤) السابق ص١٨٦.

من حيث المدىٰ التأثيري الذي يتركه في صميم تشكيل البنية الشعرية للقصيدة، غير أنه ينحو منحىٰ نتاجيا في تكثيف دلالي وإيقاعي يتمركز في خاتمة القصيدة"(١).

- التكرار الدائري:"ينهض التكرار الدائري علىٰ تكرار جملة شعرية واحدة أو أكثر في المقدمة والخاتمة، ربما لا يجيء التكرار في جملة الخاتمة مطابقا تماما لجمل مقدمة القصيدة، إنما يتطابق في جزء كبير منه مع الحفاظ علىٰ روح التكرار ومناخه"(٢).

- تكرار اللازمة:"يقوم تكرار اللازمة علىٰ انتخاب سطر شعري أو جملة شعرية، تشكل بمستوييها الإيقاعي والدلالي محورا أساسا ومركزيا من محاور القصيدة. يتكرر هذا السطر أو الجملة بين فترة وأخرىٰ علىٰ شكل فواصل... "(٣).

ويعده الدكتور سعد مصلوح من أظهر وسائل السبك وأدناها إلىٰ الملاحظة، ويقسمه إلىٰ: التكرار الخالص (المحض)، والتكرار الجزئي، وشبه التكرار، وتوازي المباني، وتوازي التعبير(٤).

ويعني بالتكرار المحض **(full recurrence)**: "تكرار أعيان الألفاظ"(٥)، ويشير إلىٰ مظهرين من مظاهره: "أولهما التكرار مع وحدة المرجع (أي والمسمىٰ واحد)، وثانيهما مع اختلاف المرجع (أي والمسمىٰ متعدد)"(٦).

---

(١) السابق ص١٨٩، ١٩٠.

(٢) السابق ص١٩٩.

(٣) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ص٢٠٤.

(٤) نحو آجرومية للنص الشعري ص١٥٧.

(٥) السابق ص١٥٧.

(٦) السابق ص١٥٨.

- والتكرار الجزئي (partial recurrence):"ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة"[١].

- وشبه التكرار، يعد نوعا من التكرار،"وهو يقوم في جوهره على التوهم، إذ تفتقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض، كما تفتقد في الوقت نفسه العلاقة الصرفية القائمة على الاشتقاق أو تغاير صرفيات الإعراب،... ويتحقق شبه التكرار غالبا في مستوى التشكل الصوتي"[٢].

- والتوازي (parallelism): وهو"في ذاته نوع من التكرار ولكنه ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبنى. ويعتضد مفهوم التوازي بمفهوم الحذف، وهو تكرار المبنى مع إسقاط بعض عناصر التعبير"[٣].

ويذكر الدكتور سعد عبدالعظيم أن للتكرار المنظم في القرآن الكريم وفي الشعر العربي أنماطا كثيرة منها:

أولا: تكرار البداية[٤].

ثانيًا: تكرار النهاية[٥].

وهذان النمطان يقتربان شيئا ما من التكرار الاستهلالي والتكرار الختامي عند الأستاذ الدكتور محمد صابر عيد.

---

(١) السابق والصفحة نفسها.

(٢) السابق والصفحة نفسها.

(٣) نحو آجرومية للنص الشعري ص١٥٩.

(٤) التكرار المنظم بين القرآن الكريم والشعر العربي ص٩: ١٦.

(٥) السابق ص١٦: ٢١.

ثالثًا: تكرار النهاية والبداية(١).

رابعًا: تكرار ما بعد البداية(٢).

خامسًا: تكرار الحروف الهجائية(٣).

سادسًا: الجمع بين أكثر من نمط(٤).

سابعًا: تكرار ما قبل النهاية (وهو نمط انفرد به القرآن الكريم)(٥).

ثامنا: تكرار مقطع كامل داخل القصيدة(٦).

وترىٰ الدكتورة فاطمة محجوب أن الشاعر قد يكرر "وحدة ابتداء من أصغر وحدة صوتية وهو (الفونيم) إلىٰ أكبر وحدة وهي الجملة، أو التركيب النحوي، وقد يكرر أصواتا صامتة بعينها أو حركات بعينها، أو مقاطع بأكملها، أو يكرر ألفاظا أو تراكيب بعينها، بل قد يكرر شطر بيت كامل... كما يحدث التكرار في المعاني أيضا"(٧).

ويذهب إلىٰ قريب من هذا الدكتور عبدالحميد هنداوي، فيمضـي علىٰ ضوء النظرة الحديثة إلىٰ التكرار باعتباره ظاهرة تعم الأصوات والبنىٰ المعجمية، والوحدات الصرفية

(١) السابق ص٢١: ٢٥.

(٢) السابق ص٢٦، ٢٧.

(٣) السابق ص٢٩: ٣٢.

(٤) السابق ص٣٣، ٣٤.

(٥) السابق ص٣٥.

(٦) السابق ص٣٥.

(٧) التكرار في الشعر ص٢٩.

والنحوية، كما تعم اللفظ والمعنىٰ علىٰ السواء[١]. ويقدم استعراضا مفصلا يستقـصي فيه صور التكرار حسب اقتراح دراسته علىٰ النحو التالي:

القسم الأول: التكرار اللفظي، ويشمل[٢]:

١) التكرار الصوتي.

٢) التكرار المعجمي.

٣) التكرار النحوي.

القسم الثاني: التكرار المعنوي، ويشمل[٣]:

١) تكرار المعنىٰ المفرد.

٢) تكرار المعنىٰ الجملي.

٣) تكرار الدلالة الحالية أو المقامية.

القسم الثالث: التكرار الإيقاعي، ويشمل[٤]:

١) التكرار الصيغي.

٢) التكرار العروضي.

القسم الرابع: التكرار الموقعي[٥]:

١) تكرار استهلالي (في صدر البيت أو المقطع).

٢) تكرار ختامي (في عجز البيت أو المقطع).

---

(١) أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة ص٩٤.

(٢) السابق ص٩٤.

(٣) السابق ص٩٥.

(٤) انظر أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة ص٩٥.

(٥) السابق ص٩٥، ٩٦.

٣) تكرار موقعي غير استهلالي ولا ختامي، ويقصد به التكرار النحوي.

القسم الخامس: التكرار البديعي، ويشمل ثمانية عشر قسما[١]، منها:

١) الجناس.

٢) العكس أو التبديل.

٣) تشابه الأطراف.

٤) رد الأعجاز على الصدور.

٥) الترديد.

٦) التذييل.

٧) التصريع.

وقد ذكر بعد التقسيم أنه أراد استقصاء تلك الظاهرة العجيبة الفريدة، ولـمّ شعثها، وجمع شتاتها المبعثر بين شتى مباحث العربية كلها، وليس بين فنون البلاغة وحدها[٢].

وأرى أن هذا التقسيم قد شمل كل ما سبق من تقسيمات، وزاد عليه؛ فهو لم يترك شاردة ولا واردة تتصل بالتكرار إلا أحصاها[٣].

وقبل أن أدع الحديث في هذا الجانب النظري، وأنتقل إلى جانب التحليل، أود الإشارة إلى أن ظاهرة التكرار في الشعر قد لفتت انتباه النقاد من حيث صلتها بعاطفة الشاعر، وقد ربطوا بين تكرار بعض الألفاظ أو العبارات الشعرية وبين الحالة النفسية

---

(١) السابق ص٩٦.

(٢) السابق ص٩٧.

(٣) ثمة تفريعات كثيرة داخل التقسيمات، ولكن المقام لا يتسع لعرضها جميعا، وأحسب أن فيما ذكرت الكفاية.

للشاعر ومقاصده في التعبير، فقد فهم هؤلاء النقاد أن إعادة الألفاظ- التي هي رسل الضمير- في الشعر باعثها عمق في الإحساس، وصدق في الشعور، وكأن الشاعر يحس بقصور اللفظ الأول عن أداء ما يعتمل في نفسه، وعجزه عن تصوير جواه الدفين، فيعيد اللفظ أو العبارة، لعله يبلغ بكثافة العبارة وتركيز الصورة أن يعبر عن كثافة الشعور وعمق الإحساس، ولعله من المعروف أن هذا الذي كثر ترداد اللسان له قد استبدّ بالقلب، وحفر مسارب له في النفس[1].

ومن مجيء التكرار في أدب الرافعي قوله:

بُكائِي عَلَىٰ فِكْرٍ خَفَضْتَ جَناحَهُ ... عَلَىٰ المَوْتِ حَتَّىٰ عَيَّ بِالطَّيَرانِ
بُكائِي عَلَىٰ تِلْكَ الخَواطِرِ قَدْ هَوَىٰ ... بِها فَلَكُ الدُّنْيا مِنَ الدَّورانِ
بُكائِي عَلَىٰ ذاكَ اليَراعِ مُمَدَّدًا ... وكَمْ خَطَّ عَنْهُ لَفْظَهُ المَلَكانِ[2]

جاءت هذه الأبيات ضمن قصيدة يرثي بها الشاعر فقيد الحكمة الشيخ محمد عبده. وقد تكرر المركب الاسمي (بكائي) في صدر كل بيت من الأبيات الثلاثة متلوًّا بحرف الجر (علىٰ) ليؤكد الشاعر من خلال هذا التكرار المنظم أن بكاءه ليس علىٰ هيّن لا خطر له، بل علىٰ فكر وخواطر وقلم يحق لها الرثاء والبكاء، وكأنه بهذا يقدم مندوحة للقارئ في إطالة رثائه للشيخ، إذ بلغت القصيدة خمسة وعشرين بيتا، ويرشح ذلك النظر إلىٰ موقع الأبيات، فقد أتت الأبيات قبل ختام القصيدة بثلاثة أبيات فقط.

---

(١) انظر العاطفة والإبداع الشعري ص٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) ديوان الرافعي ٣/ ١٤٦.

كما يصور كل تكرار عبرة تنسكب من عين الشاعر لتنفّس عن شيء مما يجيش في صدره من حزن عميق على رحيل هذا الشيخ الذي يكنّ له كل تقدير وحب. وقد رأى النقاد أن"أولى الأغراض الشعرية بالتكرار هو غرض الرثاء، هذا اللون من الشعر الذي يبعث عليه في نفس الشاعر جزع عظيم، وحزن مقيم، لحلول خطب فادح من فقد حبيب أو نسيب أو عزيز، وكأن الشعراء قد أحسوا أن الكلمة الواحدة لا تحمل من فيض الحزن وسواد الكآبة إلا النزر اليسير، إذ يفضل في النفس بقية يستدعي إخراجها إعادة الكلمة أو العبارة"[1]، وكذلك فعل الرافعي، فلم يكفه بكاء واحد، فأعاده ثلاثا.

ويندرج هذا التكرار تحت ما يسمى بالتكرار الاستهلالي، أو تكرار البداية.

ومن مثله قوله:

رَأَىٰ قَلْبُهُ مِنْ قَلْبِها ما يُكابِدُ ... فنازَعَهُ فِيهَا الهَوَىٰ والمَقاصِدُ
رَأَىٰ حُبَّهُ مَعْبُودَهَا، وفُؤادُها ... يَدُقُّ كَما دَقَّ النَّواقِيسَ عابِدُ
رَأَىٰ دَمَها وَجْدًا رَأَىٰ وَجْدَها دَمًا ... فغَيَّبَ عَنْهُ الرَّأْيَ ما هُوَ واجِدُ
رَأَىٰ قَلْبَهَا كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ ناضِرًا ... فأَشْفَقَ أَنْ تُلْقَىٰ عَلَيْهِ الجَلامِدُ[2]

تتحدث القصيدة التي منها هذه الأبيات عن طلاق الإمبراطورة جوزفين من زوجها نابليون مع حبها الشديد، وذلك لانقطاع الأمل به من أن يأتيه أولاد منها،

(١) العاطفة والإبداع الشعري ص٢٠٥.

(٢) ديوان الرافعي ٣/ ٤٦.

ومصالح إمبراطوريته السياسية وإرادة شعبه تحتمان عليه أن يترك العرش لوارث يرث حب الأمة منه.

ويتكرر الفعل (رأىٰ) خمس مرات في مستهل القصيدة بهدف الكشف عن حالة الضيق الشديد الذي أطبق علىٰ هذا الزوج وهو ماض بحكم القدر لقطع آصرة الزواج، والتضحية بأشد عواطفه. فتكرار الفعل (رأىٰ) يؤكد علمه وإحاطته بمعمول هذا الفعل، وهو: ما يكابد قلبُها– حبَّه معبودَها– دمَها وجدا– وجدَها دما– قلبَها كاللؤلؤ الرطب، وهذا التوكيد مما يعظم بلواه؛ إذ إنه يفعل ما يفعل (أعني الطلاق) وهو يرىٰ، أي يعلم، ما يكابد قلبه، يفعل ما يفعل وهو يرىٰ، أي يعلم، أن حبه معبودها، إلىٰ آخر ذلك مما يهدر سيلا من مشاعر الإشفاق عليها وعلىٰ نفسه.

ومنه أيضًا قوله:

لماذا تُجافِينَ يا هِنْدُ عَنِّي ... هَبِيني ظِلًّا وَراءَكِ سارَا
هَبِيني نَسِيمًا تَلَطَّفَ يَوْمًا ... فحَرَّكَ مِنْ جانِبَيْكِ الإِزارَا
هَبِيني أَشِعَّةَ شَمْسِ الأَصِيـ ... ـلِ نُورٌ يُغادِرُ خَدَّيْكِ نارَا
هَبِيني مِنْ قَطَراتِ النَّدَىٰ ... إِذَا ما انْتَثَرْنَ عَلَيْكِ انْتِثارَا
هَبِيني أَخًا وهَبِيني طِفْلًا ... هَبِيني فَتًىٰ وهَبِيني جارَا
هَبِيني مِنْ بَعْدِ هذا وذاكَ ... غُبارًا عَلَىٰ قَدَمَيْكِ اسْتَثارَا[1]

---

(١) ديوان الرافعي ٢/ ٨١.

تكررت جملة الأمر (هبيني) تسع مرات على مدار ستة أبيات، مما خلق مناخًا من الإيقاع الأمري المتلاحق سيطر على هذا المقطع من القصيدة. وقد كرر الشاعر هذا الأمر بغرض استمالة الحبيبة النافرة، وذلك من خلال تأكيده رغبته في أن (تفترضه) ظلا أو نسيما أو أشعة شمس أو قطرات ندى أو أخا أو طفلا أو فتى أو جارا أو حتى غبارا!. فهو يرضى منها بأقل القليل. ويلاحظ هنا تنامي الشعور في الأبيات الذي بلغ ذروته عند البيت الخامس، حيث كرر الجملة: (هبيني) أربع مرات، وهو ما يعطي إحساسا بحرارة الطلب التي تقف وراء هذا الإلحاح الشديد، ثم يصل إلى المنتهى (بعد هذا وذاك) إلى (غبار على قدميها)، وهو ختام يتوج به الشاعر تنازله الشديد الذي عرضه من خلال مجموعة الاختيارات التي اقترحها عليها، والتي تمثلت في المفعول الثاني للفعل (هبْ).

ومنه أيضًا قوله:

ذَكَرْتُكِ في لَيْلٍ كَهَمِّي تَنَفَّسَتْ لَهُ كَبِدٌ مِمَّا عَلِمْتِ صَدِيعُ
ذَكَرْتُكِ والنَّجْمُ اضْطِبارِي عَلَى النَّوَى يُرَوِّحُ عَنِّي ساعَةً ويَضِيعُ
ذَكَرْتُكِ والصُّبْحُ ابْتِسامِي عَلَى الأَسَى وقَدْ مازَجَتْهُ مِنْ نَداهُ دُمُوعُ[1]

تكررت جملة: (ذكرتك) في صدر كل بيت من الأبيات الثلاثة، وهو تكرار استهدف به الشاعر توكيد مواصلة الذكرى من الليل إلى الإصباح، دون انقطاع في أي وقت بنسيان أو غفلة، وهو ما يظهر وفاءه لتلك الغائبة الحاضرة.

(١) ديوان النظرات ١/ ٥٤.

ومن أمثلة التكرار أيضًا قوله:

أَمَا أَنتَ أَخْضَعْتَنِي لِلهَوَىٰ ... وما كُنْتُ لَوْلَا الهَوَىٰ أَخْضَعُ؟
أَمَا قَدْ أَطَعْتُكَ فِي حُبِّهِ ... وكُنْتُ لَهُ العَبْدَ بَلْ أَطْوَعُ؟
أَلَمْ أَأْتَمِنْكَ عَلَىٰ أَضْلُعِي ... وكانَتْ مَغانِيكَ الأَضْلُعُ؟
أَمَا أَنتَ بَيْتُ حَياتِي وهَلْ ... لِنَفْسِيَ مِنْ بَعْدِها مَطْمَعُ؟[1]

يخاطب الشاعر قلبه الذي فارقه مع فراق الأحبة، ولم يعد إليه بعد، وتتكرر في هذا الخطاب صيغة الطلب الاستفهامية الداخلة علىٰ نفي، وقد أعقبها الاسم في البيت الأول والبيت الرابع: (أما أنت)، والجملة الفعلية في البيت الثاني والثالث: (أما قد أطعتك)، (ألم أأتمنك). والغرض من هذا الاستفهام هو تقرير مدخوله في كل بيت، وأما الغرض من تكراره فهو إظهار التعجب والدهشة من شأن هذا القلب المفارق، وقد تقرر خضوعه وطاعته له، مع كونه بيت حياته، فكيف والحال هذه يخلّفه ولا يرجع؟

ويمكن أن نسمي هذا النوع من التكرار بالتكرار الوظيفي.

ومن مثله قوله:

فَما العِزُّ فِي حُجُراتِ الكَعابِ ... ولا فِي الرِّياضِ ورَيْحانِهَا
ولا فِي الشُّعُورِ كَمَوْجِ السَّحابِ ... إِذَا ما ارْتَمَيْنَا علىٰ بانِهَا
ولا فِي الحَواجِبِ مِثْلَ الهِلالِ ... ولا فِي العُيُونِ وأَجْفانِهَا
ولا هُوَ فِي طَلْعَةِ النَّيِّرَيْنِ ... ولا فِي النُّجُومِ وكِيوانِهَا
ولا فِي جَمالِ زُهُورِ الرِّياضِ ... إِذَا اخْتَلَنَ فِي ثَوْبِ نَيسانِهَا[2]

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٨٩.

(٢) السابق ١/ ١٢٦، ١٢٧.

قرأ الشاعر إعلانا نشرته غادة يابانية تتصبى فيه الشبان، وتذكر صفة من تهواه منهم، بعد أن أفاضت القول في وصف جمالها وغناها، فقال بعض أصحابه: ليس ما يمنعني إلا بُعد الشُّقة، فأنشأ الشاعر قصيدة في ذلك، ومنها هذه الأبيات التي كرر فيها النفي مسبوقا بواو العطف، متلوا بحرف الجر (في)، وقد تتبّع بذلك كل ما من شأنه الإغراء والإغواء، ليسلبه صفة (العز).

وقد أراد الشاعر بتكرار النفي والجر على مسامع المخاطب ثماني مرات أن يمكّن هذا المعنى من قلبه وصولا إلى إثنائه بقوة عن التفكير في ذلك الموضوع. وسُبق التكرار بنهي وأمر في قوله:

فَلَا تَسْتَنِمْ لِنَؤُومِ الضُّحَىٰ ... ولَا تَرْجُ بِرَّةَ أَيْمانِهَا
ولا تَغْتَرِرْ بِالتِي خِلْتَهَا ... تُسِرُّ الغَرامَ (بِإِعْلانِهَا)
فَدَعْ غُصُنَ البانِ في أَرْضِهِ ... إِذَا ظَلَّلَتْهُمْ بِأَغْصانِهَا[1]

وكأن الشاعر قد استشعر أنه ربما ثقل على نفس صاحبه ما يدعوه إليه بصيغتي النهي والأمر، فراح يبين له علة ذلك بأسلوب التكرار المؤكِّد.

وقوله:

فيَا كَوْكَبَ الصُّبْحِ إِمَّا بَزَغْتِ ... تَأَلَّقَ تاجًا عَلَىٰ الأَرْؤُسِ
ويا طَلْعَةَ البَدْرِ إِمَّا سَفَرْتِ ... كَما تُسْفِرُ الخُودُ في المَجْلِسِ
ويا غادَةَ الرَّوْضِ إِمَّا جَرَرْتِ ... ذُيُولَ الحَرائِرِ والسُّنْدُسِ

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ١٢٦.

ويا أُذُنَ الرِّيحِ إِمَّا وَعَيْتِ سَلامَ ذَوِي الكَلَفِ البُؤَّسِ
ويا شَفَةَ الوَرْدِ إِمَّا لَثِمْتِ عُيُونًا تَفَتَّحُ فِي النَّرْجِسِ
ويا لِـمَّةَ الآسِ فَيْنانَةً كَلِمَّةِ ذِي الصَّيَدِ الأَشْوَسِ
ويا قُضُبَ البانِ مَيَّاسَةً تَرَنَّحُ كَالأَهْيَفِ الْمُحْتَسِي[1]

تكرر النداء بـ (يا) + إمَّا الشرطية في هذا المقطع عدا البيتين الأخيرين حيث تكررت (يا) وحدها. والغرض من هذا التكرار- كما هو واضح- تأكيد حرص الشاعر الشديد علىٰ إيصال سلامه إلىٰ العزيز الذي احتجب عن نواظره، وتبليغه رسالة عتاب رقيق:

خُذِي لِلْمُحَجَّبِ عَنِّي السَّلامَ وقُولِي نَسِيتَ فَتًىٰ ما نَسِي[2]

والذي يدل علىٰ هذا الحرص أنه لم يكتف بمنادىٰ واحد، بل توجه بالنداء لكل شيء حوله: لكوكب الصبح، لطلعة البدر، لغادة الروض، لأذن الريح، لشفة الورد، للِمَّة الآس (نبات الريحان المجتمع)، لقضب البان، إذ يمثل كل منادىٰ رسولا يبلغ عنه ما يريد.

وفي تكرار (إما) دلالة علىٰ رغبته القوية في استمرار هذا الإبلاغ، وكأن المعنىٰ: كلما كان منك يا صبح بزوغ فخذ عني السلام لهذا الحبيب، وكلما كان منك يا طلعة البدر سفور فخذي عني السلام لهذا الحبيب، وهكذا بقية الأبيات.

وقوله: "**ثم إنها وثبت فجاءت بمال في كيس، وقالت: يا سيدي، قد أحل الله لك معي ثلاث حرائر، وما آثرتَه من الإماء، وقد سوغتكَ تزويج الثلاث، وابتياع الجواري من مال هذا الكيس، فقد وقفته علىٰ شهواتك...**"[3].

---

(١) السابق ١/ ٩٢.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ٩٢.

(٣) من وحي القلم ١/ ١٣٧.

تكررت في هذه البنية النصية (قد) ثلاث مرات داخلة علىٰ فعل ماض في كل مرة: (قد أحل)، (قد سوغتك)، (قد وقفته)، والمتكلمة هنا في موقف نفسي استدعىٰ منها هذا التكرار الذي يهدف إلىٰ توكيد كلامها ليستقر في ضمير المخاطب بعد أن تردد علىٰ سمعه، فهي امرأة لم تُؤتَ من الجمال نصيبا، وقد رآها زوجها لتوِّه، فتملّكها الخوف من نفوره منها، وإعراضه عنها، ولذا استعانت بهذه الوسيلة اللغوية لكسب وده، والاحتفاظ به زوجا وسترا:"**ولست أطلب منك إلا ستري فقط**"[1]، فتلك أقصىٰ غايتها!.

ومن النماذج التي تكررت فيها البنية التركيبية قوله:

أَمَّا أَنَا فأَتاني البَدْرُ مُزْدَهِيًا ... وقالَ : جِئْتُ بِمَعْنًىٰ مِنْ مَعانِيهَا
فقُلْتُ: مِنْ خدِّها ، أَمْ مِنْ لَواحِظِها ... أَمْ مِنْ تَدَلُّلِها ، أَمْ مِنْ تَأَبِّيهَا
أَمْ مِنْ مَعاطِفِها ، أَمْ مِنْ عَواطِفِها ... أَمْ مِنْ مَراشِفِها ، أَمْ مِنْ مَجانِيهَا؟
أَمْ مِنْ تَفَتُّرِها ، أَمْ مِنْ تَكَسُّرِها ... أَمْ مِنْ تَلَفُّتِها ، أَمْ مِنْ تَثَنِّيهَا؟[2]

تكررت البنية التركيبية: أم العاطفة + مِن الجارة + مجرورها (اسم/ مصدر) مضافا إلىٰ ضمير الغائبة (ـها).

وفي مجيء هذه التركيبات علىٰ هذا النحو المتنوع الغزير مكررة ما يكشف عن مشاعر اللهفة والتعطش التي تملكت الشاعر، فهو ما إن سمع إخبار البدر له بمجيئه بمعنىٰ من معاني الحبيبة حتىٰ استطار فؤاده، وانطلق لسانه بسيل من الاستفهامات المتلهفة لجوابها.

---

(١) من وحي القلم ١/ ١٣٧.

(٢) أوراق الورد ص٧٤.

وفي خروج التكرار بهذا الانتظام دون أي خلل أو ارتباك ما يدل على استقرار هذه المعاني في وجدان الشاعر، وحضورها الدائم.

وقوله:

آهِ لَوْ أَسْطِيعُ أَنْ أُخْرِجَها مِنْ زَمانِي!. إِنَّنِي لا أَسْتَطِيعْ
آهِ لَوْ أَسْطِيعُ أَنْ أُدْخِلَهَا في حَياتِي!. إِنَّنِي لا أَسْتَطِيعْ
قَدَرَتْ قُدْرَتَها فِيَّ ، فلَا أَسْتَطِيعُ قُدْرَةً ، لا أَسْتَطِيعْ[1]

توزَّع التكرار بين الأبيات الثلاثة، ففي البيتين الأول والثاني تكررت: جملة (آه لو أسطيع)+ أنْ المصدرية+ فعل مضارع متصلا بضمير الغائبة (ـها) + حرف جر (مِن/ في) + مجرور مضاف لياء المتكلم + جملة (إنني لا أستطيع). وفي البيت الثالث تكررت جملة (لا أستطيع) مرتين.

وقد استخدم الشاعر أسلوب التكرار ليؤكد بصورة بارزة عجزه التام أمام تلك المحبوبة التي لا يملك معها حولا ولا طولا، فهو يتمنىٰ - عبثا- أن يخرجها من زمانه، أو يدخلها في حياته، ولكنه يرتد علىٰ عقبيه معلنا بكل تأكيد أنه لا يستطيع. ويدل علىٰ أن الشاعر قد بلغ من الضعف والعجز الدرجة القصوىٰ هذا التركيب العجيب: (آه لو أسطيع)، فـ (آه) توجع وألم من هذه الحال التي لا يملك فيها إلا أن يصرخ، و(لو) حكم مسبق بامتناع وقوع ما بعدها، و(أسطيع) بحذف التاء دلالة علىٰ خور قواه، فلم يقدر أن يكمل نطق عدد قليل من الحروف لثقته بأنه لا فائدة في تمنيه، علىٰ حين أنه أتم الفعل وهو يؤكد عدم استطاعته فعل شيء: (إنني لا أستطيع)، وذلك لأنه يقرر واقعا حقيقيا.

---

(١) أوراق الورد ص١١٧.

وقوله:

أَنَا أَضْنَىٰ أَنْ أُعَدِّدَهَا   مِنْ تَأَبِّيهِ إِلَىٰ خَفَرِهْ
أَنَا أَضْنَىٰ أَنْ أُعَرِّفَهَا   مِنْ تَصافِيهِ إِلَىٰ كَدَرِهْ
أَنَا أَضْنَىٰ أَنْ أُحِيطَ بِهَا   مِنْ تَغاضِيهِ إِلَىٰ حَذَرِهْ(١)

في هذه الأبيات، يتكرر في الشطر الأول التركيب: الجملة الاسمية (أنا أضنىٰ)+ أنْ المصدرية+ فعل مضارع+ لواحق، ويتكرر في الشطر الثاني التركيب: مِن الجارة+ مصدر مضاف إلىٰ ضمير الغائب (ـه)+ إلىٰ الجارة+ مصدر مضاف إلىٰ ضمير الغائب (ـه).

وبتأمل البناء التركيبي لهذا التكرار المنتظم يلاحظ فيه نوع من التوازي الذي "ينصرف إلىٰ تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبنىٰ(٢)"، وقد أحدث هذا التكرار المتوازي– إضافة إلىٰ تقرير المعنىٰ الوارد في الأبيات الذي هو غاية التكرار العظمىٰ(٣)– نسقا إيقاعيا موحدا أضفىٰ علىٰ الأبيات لونا من الخفة والعذوبة يختِل بها الشاعر متلقيه؛ إذ إن حديثه عن تعدد صور تيه حبيبه المدلل التي لا يقوىٰ علىٰ عدّها وتعريفها والإحاطة بها، وقرع الأسماع بجملة: (أنا أضنىٰ) المرة تلو الأخرىٰ، وهي جملة تحمل من معاني الضعف والنحول من اشتداد المرض ما تحمل، أقول إن هذا الحديث مع تكرار هذه الجملة ربما يكون له وقع غير محمود في نفوس المتلقين،

(١) ديوان الرافعي ٣/ ٩٨.

(٢) نحو آجرومية للنص الشعري ص١٥٩.

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٠.

فيعرضون عن سماعه، فكان من ثم لجوء الشاعر إلى هذا النمط التكراري المُمَوسَق الذي يشنف الأسماع فتقبل عليه.

ومنه قوله:

وَلَا أَقُــولُ شَــعْرُها لَيْــلٌ وحَــا ... شاهُ فتَحْتَ اللَّيْلِ صُبْحٌ أَشْيَبُ

وَلَا أَقُولُ وَجْهُهَـا شَـمْسٌ ومِثْـ ... ـلُ الشَّمْسِ عِنْدِي فَحْمَةٌ تَلَهَّـبُ

وَلَا أَقُــولُ خَــدُّهَا نــارٌ فَــإِنَّ ... كُــلَّ نــارٍ تَنْطَفِــي وتَرْطُــبُ

وَلَا أَقُــولُ ثَغْرُهــا دُرٌّ فَــإِنَّ ... الــدُّرَّ في أَيْـدِي الرِّجـالِ يُثْقَـبُ

وَلَا أَقُــولُ قَــدُّهَا غُصْــنٌ فَــإِنَّ ... الغُصْــنَ كَـيْفَما يَكُـونُ حَطَـبُ[1]

يتكرر في هذه الأبيات التركيب: الجملة الفعلية المنفية بـ (لا) والمسبوقة بالواو (ولا أقول) ثم جملة مقول القول: (جملة اسمية): مبتدأ اسم مضاف إلى ضمير الغائبة (ـها) + خبر مفرد نكرة.

وقبل استكناه دلالة التكرار هنا تجمل الإشارة إلى موقعية هذه الأبيات، إذ نجدها تحتل موضع القلب من القصيدة، فقد سُبقت بثلاثة أبيات، وتُليت بأربعة، مما يدل على أنها الشغل الشاغل للشاعر.

وبعد، فإن هذا التركيب المتكرر على هذا النحو الملتزم يحمل بين ثناياه الحيرة التي اعترت الشاعر عند إرادة وصف تلك المرأة، واعترافه ضمنا بقصور كل ما يتفتق عنه ذهنه من تشبيهات في رسم صورة لها. وفي حرصه على تكرار جملة (ولا أقول) بلفظها ومعناها في صدر كل بيت رغبة في تسجيل مؤكد لعدم القول بتشبيه شعرها بالليل، أو

(١) ديوان الرافعي ٢/ ٩٢، ٩٣.

وجهها بالشمس، أو خدها بالنار، أو ثغرها بالدر، أو قدها بالغصن؛ لأن في كل (مشبه به) جانبا من النقص، يصونها الشاعر أن يصل إليها بسبب من التشبيه.

وقوله: "**فهي تجمع على قلبها عذاب ثلاثة قلوب، وتتألم بنفسها الواحدة ألم الرثاء لزوجها الذي نزلت به العقوبة في جسمه وروحه، وألم الإشفاق على مجدها الذي نصب على أعين الشامتين في موضع الذلة، وألم الرحمة لطفلها الذي بلغ سن الهم وهو لا يزال في الثدي، وألم اللوعة لحياتها التي لم تعد الأيام تناجيها بغير لغة الدمع، وألم الأسى على شبابها الذي تساقطت آماله كما تحط الشجرة الخضراء أوراقها لتجف**"[1].

يقوم التكرار في هذا النص على إضافة (ألم) لمصدر معرفة+ حرف جر+ اسم مجرور مضاف إلى ضمير الغائبة (ـها)+ اسم موصول (يوضح صفة المجرور)+ صلة الموصول جملة فعلية فعلها ماض لفظا ومعنى (في كل الأفعال)، أو معنى فقط (لم تعد).

وبتكرار هذه التراكيب الأسلوبية استطاع الكاتب ببراعة أن يرسم صورة مجسدة للألم، مستقصيا فيها كل أبعاده، وينصبها أمام نظر المتلقي. ويلاحظ أنه قد ثبّت في هذه التراكيب لفظ (الألم) مع تغير باقي الألفاظ، ولعل الغاية من وراء هذا التكرار هي وضع تلك المرأة موضع الرحمة من نظر المجتمع، وإن كانت امرأة (سجين)، بدلا من وضعها موضع الظلم والاحتقار والضعة.

ومن أمثلة التكرار أيضًا قوله: "**آه، وأنا حين أقول: آه، أحسبها شعلة تتلوى ذاهبة ممتدة في قلبي!. آه، وأنا حين أقول: آه، أشعر أن قلبي يمدها طويلا طويلا لتصل إلى قلب آخر!. آه، وأنا حين أقول: آه، أراني كأن روحي طارت إلى آخر مدِّها ووقعتْ، آه!.** "[2].

---

(١) السحاب الأحمر ص١٠٤.

(٢) أوراق الورد ص٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٢.

ذُكر هذا المقطع في أول النص، ثم تكرر بنصه - مع زيادة لفظة (آه) في النهاية - في آخره، إضافة إلى التكرار القائم داخل المقطع نفسه: آه، وأنا حين أقول آه + فعل مضارع، ثم بعض اللواحق. وقد عمد الكاتب إلى هذا التكرار إذ يتيح له أن يطلق من خلاله أنات صدره وآهاته الحبيسة.

وفي جعل التكرار واحدا في البداية والنهاية حرص من الكاتب على أن تظل المشاعر التي يعبر عنها "مستمرة استمرارا لا نهاية له، فالنهاية تسلّم إلى البداية، والبداية تسلّم إلى النهاية"[1]، وكأن النص حلقة متصلة، وهذا ما يعرف بالتكرار الدائري[2]، أو تكرار النهاية والبداية[3].

ومن أمثلته أيضًا قوله: **"أيتها الشرقية، احذري احذري"**[4].

تكرر هذا النداء التحذيري ثلاث عشرة مرة، وقد أعقب في كل مرة نهاية فقرة من فقرات مقال بعنوان: (احذري...!.)، أجمع فيه الكاتب أن يضع كلمة "للمرأة الشرقية فيما تحاذره أو تتوجس منه الشر"[5]، كما أنه تكررت جملة (احذري) ست عشرة مرة في صدر معظم سطور المقال، من ذلك قوله:

---

(١) التكرار المنظم بين القرآن الكريم والشعر العربي ص٢٤.

(٢) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ص١٩٩.

(٣) التكرار النظم بين القرآن الكريم والشعر العربي ص٢١.

(٤) من وحي القلم ١/ ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦.

(٥) السابق ١/ ٢٣٢.

"احذري تمدن أوروبا أن يجعل فضيلتك ثوبا يوسَّع ويضيَّق، فلبس الفضيلة على ذلك هو لبسها وخلعها"(١).

"احذري تلك النسائية الغزلية، إنها في جملتها ترخيص اجتماعي للحرة ..."(٢).

"احذري وأنت النجم الذي أضاء منذ النبوة، أن تقلدي هذه الشمعة التي أضاءت منذ قليل"(٣).

"احذري من تقليد الأوروبية التي تعيش في دنيا أعصابها محكومة بقانون أحلامها"(٤).

"احذري خجل الأوروبية المترجلة من الإقرار بأنوثتها"(٥).

"احذري هوس الأوروبية في طلب المساواة بالرجل"(٦).

"احذري أن تخسري الطباع التي هي الأليق بأم أنجبت الأنبياء في الشرق"(٧).

"احذري هؤلاء الشبان المتمدينين بأكثر من التمدن"(٨).

"احذري أن تُخدعي عن نفسك، إن المرأة أشد افتقارا إلى الشرف منها إلى الحياة"(٩).

---

(١) السابق ١/ ٢٣٢.

(٢) السابق ١/ ٢٣٢.

(٣) السابق ١/ ٢٣٣.

(٤) السابق ١/ ٢٣٣.

(٥) السابق ١/ ٢٣٣.

(٦) السابق ١/ ٢٣٤.

(٧) من وحي القلم ١/ ٢٣٤.

(٨) السابق ١/ ٢٣٤.

(٩) السابق ١/ ٢٣٥.

وهذا التكرار الذي شكل محورا مركزيا وأساسا في بنية النص جاء لتأكيد أمرين: الأول هو خطر ما يحذّر منه المرأة الشرقية، إذ فيه ما يذهب بفضيلتها، ويودي بحياتها، والثاني حرص الكاتب البالغ علىٰ نصح المرأة الشرقية، وخوفه الشديد عليها من المدنية الغربية، ومن تقليدها للمرأة الأوروبية في رذائل الأمور، وذلك علىٰ اعتبار أن المرأة الشرقية لها مكانة عالية، فلا ينبغي لها التسفّل عنها، فهي "**استمرار متصل لآداب دينها الإنساني العظيم... هي الطهر والعفة، هي الوفاء والأنفة، هي الصبر والعزيمة، هي كل فضائل الأم**"[(١)]، كما أنها الأخت والزوجة والبنت. ويعد هذا التكرار صرخة مدوية في وجه الحضارة الغربية وغزوها لحياة المرأة الشرقية.

ويندرج هذا التكرار تحت ما يُعرف بتكرار اللازمة[(٢)] التي يؤدي تكرارها دورا وظيفيا مهما؛ لأن دخولها في بنية النص يضمن إنجازا واضحا لتوصيل مضمونها وتوكيده من خلال تواجدها بشكل مكثف علىٰ مدار النص من بدايته إلىٰ نهايته.

وأختم هذا الفصل بتحليل للنشيد المصري الوطني[(٣)]: (إلىٰ العلا)، الذي بناه الشاعر علىٰ التكرار، وهو ما يتناسب وروح الإنشاد، وقد تخلل هذا التكرار أحيانا شيء من التوكيد اللفظي.

---

(١) السابق ١/ ٢٣٣.

(٢) انظر القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ص٢٠٤.

(٣) يتكون هذا النشيد من اثني عشر مقطعا، وقد تناولت منه بالتحليل ستة مقاطع، وهي التي جاء فيها التكرار.

وقد بدأ المقطع الأول بالتكرار، فقال:

إِلَى العُلَا إِلَى العُلَا بَنِي الوَطَنْ
إِلَى العُلَا كُلُّ فَتَاةٍ وفَتَى
إِلَى العُلَا في كُلِّ جِيلٍ وزَمَنْ
فلَنْ يَمُوتَ مَجْدُنَا كَلَّا ولَنْ(١)

فكرر شبه الجملة (إلى العلا) أربع مرات ليشحذ همم (بني الوطن) للرفعة والرقي، وقد كررها مرتين في البيت الأول كقوة دافعة في مفتتح القصيدة، إضافة إلى أن توجُّه النداء كان لجماعة (بني الوطن)، ثم مرة في كل من البيتين الثالث والرابع؛ لأنها جاءت بمنزلة التفصيل بعد الإجمال: (كل فتاة وفتى)، (في كل جيل وزمن). وفي البيت الرابع كرر النفي في قوله: (فلن يموت مجدنا كلا ولن)، وكأنه بهذا النفي المتكرر يصرف بشدة عن الأذهان فكرة موت مجد الوطن؛ لأنها فكرة تثبّط العزائم، وتحبط أي مشروع للنجاح.

وفي المقطع الثاني:

إِلَى الأَمامِ لِلأَمامِ لِلأَمامْ
يا مِصْرُ والهِمَّةُ تَدْفَعُ الهُمامْ
لِمِصْرِنَا عَهْدٌ لِمِصْرِنَا ذِمامْ
لِمِصْرِنَا عَلَى بَنِي الدُّنْيَا المِنَنْ(٢)

كرر شبه الجملة (إلى الأمام) ثلاث مرات مع تغير في حرف الجر من (إلى) إلى (اللام) كلون من ألوان التخفف اللفظي، مع تحقق المعنى المراد باللفظين.

(١) النشيد المصري الوطني ص١٩.

(٢) النشيد المصري الوطني ص١٩.

ويدور هذا التكرار في نفس المضمار الذي دار فيه التكرار في المقطع الأول، وهو شحذ همم بني مصر للتقدم.

وكرر شبه الجملة (لمصر) مضافا إلى ضمير المتكلمين (نا)، وهو تركيب وقع خبرا مقدما، وفي تكراره لهذا التركيب: (لمصرنا) ثلاث مرات تذكير ملحّ بما لهذا البلد من حقوق: (عهد) و(ذمام)، وما له من فضل: (المنن)، الأمر الذي يدفع إلى الاضطلاع بأداء الواجبات اللازمة وفاء بتلك الحقوق، وعرفانا بذلك الفضل الذي ليس مقصورا على أبناء مصر فحسب، بل هو ممتد ليشمل (بني الدنيا) أجمعين.

وقد ساعد الشاعر على توكيد المضمون السابق تكرار الضمير (نا) الذي فيه إشعار بمدى الصلة الحميمة بين (مصر) وبنيها: متكلمين ومخاطبين.

ويكرر الشاعر هذا المقطع بنصه بعد المقطع الرابع والسادس والثامن والعاشر، فهذا المقطع يمثّل مظلة شعرية تخيّم على القصيدة على امتدادها من مبدئها إلى منتهاها.

ويدل انتخاب هذا المقطع لتكراره على أنه يمثل أهمية خاصة لما يحمل من معان يريد الشاعر أن يظل لها الحضور في أذهان متلقيه وأسماعهم.

وفي المقطع الخامس:

بِعَزْمِ مِصْرِ غالَبَ الدَّهْرُ الهَرَمْ
وشَمْسُ مِصْرِ تُضْرِمُ الذَّكَا ضَرَمْ
ونِيلُ مِصْرِ يَمْلَأُ النَّفْسَ كَرَمْ
وخِصْبُ مِصْرِ يُنْبِتُ الخُلْقَ الحَسَنْ(١)

---

(١) النشيد المصري الوطني ص٢٠.

كرر الشاعر المضاف إليه (مصر) في كل بيت من أبيات هذا المقطع، وكان بإمكانه أن يعوض عنه بذكر الضمير، كأن يقول: وشمسها، ونيلها، وخصبها، ولكن تكرار الذكر هنا يحقق غرضا لا يحصل بدونه، وهو الفخر والاعتزاز بما حُبيت به مصر من فضائل وخيرات: العزم والشمس والنيل والخصب، والرغبة في إضافتها لها إضافة صريحة لا خفاء فيها بإضمار ضمير، مع التلذذ بترداد هذا الاسم المحبوب.

وفي المقطع السابع:

هَيَّا إِذَنْ هَيَّا إِذَنْ إِلَى العُلَا
يا مِصْرُ لا نَفْسِي ولا مالِي ولَا
أَهْلِي ولَكِنْ أَنْتِ أَنْتِ أَوَّلَا
وأَنْتِ أَنْتِ كُلُّ سِرِّي والعَلَنْ[1]

يعود الشاعر أدراجه إلى ذكر شبه الجملة (إلى العلا)، ولكنه عاد إليها مع توكيد لفظي للتركيب: (هيا إذن)، وفي هذا التوكيد اللفظي دلالة على إحساس الشاعر أنه قدم خلال الأبيات السابقة القدر الكافي من جرعة التحميس، ومِنْ ثَمَّ فقد آن الأوان للنهوض (إلى العلا).

ويكرر الشاعر النفي بـ (لا) في قوله: (لا نفسي ولا مالي ولا أهلي) ثلاث مرات ليؤكد أنه لا يعبأ بكل هؤلاء- وهم أعز ما يملك المرء- أمام مصره، ولا يقدم عليها أيا منهم، ثم يؤكد هذا المعنى في توكيده اللفظي للضمير المنفصل (أنتِ) في قوله: (وأنت أنت أولا)، و(أنت أنت كل سري والعلن)، ولو أنه قد اقتصر على أحد الضمير ما استمد الكلام تلك القوة التي ظهرت مع التوكيد.

(١) السابق ص٢١.

وفي المقطع العاشر:

حُرِّيَّةُ البِلادِ عِزَّةُ الأُمَمْ
إنْ لَمْ تَنَلْهَا أُمَّةٌ عاشَتْ رِمَمْ
فِدَا النُّفُوسِ حُرَّةً فِدَا الذِّمَمْ
فِدَا بِلادِي أَنَا رُوحًا وبَدَنْ(١)

كرر الشاعر المسند/ الخبر المقدم (فدا) ثلاث مرات، وفي هذا التكرار بيان لصدق النية وإخلاص العزم علىٰ تقديم الفداء والتضحية بروحه وبدنه لكل مَفديّ ذكره: (النفوس الحرة– الذمم– بلادي)، وتأكيده أن الأمر ليس مجرد كلمة قالها مرة وسكت عنها خشية الإلزام له.

وفي تكرار المسند (فدا) مع عدم تكرار المسند إليه (أنا) تواضع جم بعدم تسليط الضوء علىٰ الذات، فقد اكتفىٰ بذكره مرة واحدة ضرورة؛ ليحقق الإفهام بذكر ركني الإسناد في الجملة، كما أنه أخره في الذكر، وكان بإمكانه التقديم.

وفي المقطع الثاني عشر وهو الأخير:

فَلْنُحْيِ في أَعْمالِنَا أَجْدادَنَا
ولْنُحْيِ في آمالِنَا أَوْلادَنَا
ولْنَحْيَ مِصْرِيِّينَ مَهْمَا اعْتَادَنَا
ولْنَحْيَ مِصْرِيِّينَ ولْيَحْيَا الوطَنْ(٢)

(١) النشيد المصري الوطني ص٢٢.

(٢) السابق ص٢٢.

كرر الشاعر في هذا المقطع الفعل المضارع المقترن بلام الأمر خمس مرات، وهو متعد في البيتين الأول والثاني (لنُحي)، ولازم في البيتين الثالث والرابع (لنَحيَ)، والدلالة الواضحة من تكرار هذا الفعل بصيغتي التعدي واللزوم هي إشاعة جو الحياة في هذا المقطع؛ ففي البيت الأول والثاني حث على بعث مآثر الأجداد وإحيائها في الأعمال، وإعاشة الأبناء في آمالنا، أي التخطيط لمستقبلهم، وفي البيت الثالث والرابع إثارة المشاعر الوطنية لدى جماعة المخاطبين بذكر (مصريين) مرتين، ثم الختام بـ(الوطن).

وهكذا يكون التكرار قد أدى وظيفة دلالية هي توكيد المعاني المراد توكيدها، وترسيخها في وجدان المخاطبين، وإلى جانب ذلك أدى وظيفة إيقاعية بإضفائه جرسا موسيقيا على أجواء النص.

الفصل الثالث

تضافر المؤكدات

الفصل الثالث

(تضافُر المؤكدات)

يأتي هذا الفصل ختامًا لما سبقه من الفصول، وفيه تحليل لنماذج من أدب الرافعي تضافُر فيها أكثر من مؤكِّد في بيت واحد من شعره، أو جملة واحدة من نثره، لتوكيد معنىٰ معين.

ويدل هذا التضافُر علىٰ عمق في المعنىٰ المؤكَّد، وإحساس الرافعي المبدع بقصور أداة واحدة أو أسلوب واحد من أساليب التوكيد في الدلالة علىٰ مراده.

وليس ثمة قاعدة تنتظم مجيء هذا التضافر في الشعر أو النثر، فكان وروده علىٰ حسب ما ارتأىٰ المبدع من مناسبة المتضافرات للسياق الذي سيضعها فيه، والمعنىٰ الذي سيضعها لأجله؛ فقد يجمع بين مؤكدين كـ (إنَّ) مع السين، والقصر بـ (إنما) مع التوكيد المعنوي، وقد يجمع بين ثلاثة مؤكدات كـ (لام التوكيد) مع (قد) والحال المؤكدة، والقسم مع القصر بـ (إنما) والتوكيد بـ (إنَّ)، وقد يجمع بين أربعة مؤكدات كـ (إنَّ) مع النعت المؤكد ولام التوكيد وضمير الفصل، وقد يصل الأمر إلىٰ أن يجمع بين ستة مؤكدات كالقسم مع (إنَّ) ولام التوكيد والنائب عن المفعول المطلق والعطف بـ (لا) الذي يفيد القصر والنعت المؤكد، إلىٰ غير ذلك.

وفيما يلي طائفة من النماذج التي تضافر فيها أكثر من مؤكد في أدب الرافعي:

تضافر القصر بالنفي والاستثناء مع (إنْ الزائدة) في قوله:

وما إنْ أَرَىٰ الأَحْبابَ إِلَّا وَدائِعًا تُرَدُّ فَإِمَّا بالرِّضاءِ أَو الغَضْبِ(١)

حزن الشاعر حزنا شديدا لرحيل حبيبته في سرب من الحسان، وقد أكد عن طريق القصر بالنفي والاستثناء، وبزيادة (إنْ) التي أكدت النفي في (ما) علمه بأن الأحباب ودائع لا مفر من ردها، وأكد نفي علمه بهم علىٰ غير هذا الوجه.

وبهذا التوكيد يعلل الشاعر نفسه الحزينة حين يذكر لها ما هو مقرر ثابت في رأيه وعلمه. كما أنه يقدم العزاء لكل من هو في مثل حاله.

تضافر القصر بـ (إنما) مع (كاف التشبيه الزائدة) في قوله:

إِنَّما العِلْمُ كَمِثْلِ المالِ لا تَنْفَعُ الأَمْوالُ حَتَّىٰ تُبْذَلَا(٢)

يؤكد الشاعر مماثلة العلم للمال، وأتىٰ بـ (إنما) التي تفيد قصر مثلية العلم علىٰ المال، وبالكاف الزائدة للمبالغة في تأكيد هذه المثلية. وكان بإمكان الشاعر أن يطرح التأكيد ويقول: (العلم مثل المال)، ولكنه لم يفعل، وتكلف التأكيد بمؤكدين ليرسخ معناه في ذهن المخاطب حتىٰ إذا ذكر له حكما خاصا بالمال: (لا تنفع الأموال حتىٰ تبذلا) انسحب ذلك الحكم علىٰ العلم ببساطة شديدة، وتأكد للمخاطب- بالقياس- أنه لا ينفع العلم حتىٰ ينفَق منه. وغاية ما يطمح إليه الشاعر من وراء ذلك كله هو الحث علىٰ نشر العلم والتحذير من كتمانه.

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ٦٩.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ٢٢.

تضافر (إنَّ) مع (السين) في قوله:

نَهْنِهْ دُمُوعَكَ يا حَزِينُ فَإِنَّهَا دُوَلٌ سَيُضْحِكُكَ الذِي أَبْكاكَا[١]

يتوجه الشاعر بالخطاب إلىٰ نفسه الحزينة علىٰ طريقة (التجريد)، آمرا إياها أن تكف دمعها الذي تسفحه علىٰ الحبيب الهاجر، وهو إذ يأمرها بذلك يسوق لها من البشرىٰ ما يُسرِّي عنها، ويدفعها للنزول علىٰ أمره، فيؤكد بـ (إنَّ) تقلّب الأيام والأحوال: (فإنها دُوَل)، فإن كان اليوم عليها فغدا يكون لها، ثم يأتي بالسين ليؤكد بها صراحةً المعنىٰ الذي أكده ضمنا في الجملة السابقة، وهو أن غدا- لا محالة- آتيها بالسرور والفرح. وقد تضافر مؤكدان علىٰ معنىٰ واحد لضرورة فرضتها حالة الحزن الشديد التي خيمت علىٰ نفس المتكلم، وتمكنت منها لدرجةٍ لم يفلح الصبر فيها، ولا مَرُّ الليالي، يقول الشاعر في مفتتح القصيدة التي منها هذا البيت[٢]:

لَمْ يَأْلُ صَبْرًا عَنْكَ حِينَ هَجَرْتَهُ لَوْ كانَ يَنْفَعُ صَبْرُهُ لَسَلاكَا

تَطْوِي اللَّيَالِي فِي هَواكَ حَياتَه وأَراهُ يَنْساهَا ولا يَنْساكَا

وقد تضافرت (**إنَّ**) مع (**السين**) في قول قريب من ذلك، وهو قوله:"**ابكِ أيها المحزون؛ فإنك ستجد من يكفكف دموعك كما وجدتَ من أرسلها**"[٣].

فهناك اتفاق إلىٰ حد كبير بين القولين في الصياغة والمعنىٰ؛ فقد بدأ هنا بالأمر أيضا: (ابك)، وإن كان الأمر بالبكاء ليس علىٰ معناه الحقيقي بالطبع، ثم جاء بـ (إنَّ)

(١) ديوان الرافعي ١/ ٩٩.

(٢) السابق والصفحة نفسها.

(٣) حديث القمر ص٦٢.

و(السين) ليؤكد لمخاطبه أنه واجد – لا بد – من يمدّ إليه يدا ليحبس دمعه، كما وجد من كان سببا لإرساله.

تضافر (ما الزائدة) مع (المفعول المطلق) في قوله:

إِذَا ما أَبْصَرُوا ذَا الهَمِّ فَرُّوا فِرارَ الرُّوحِ مِنْ وَجْهِ المَنُونِ[١]

يشكو الشاعر من قساوة القلوب، لا سيما على صاحب الهم المحتاج إلى العون، ويؤكد تلك القسوة من خلال زيادة (ما) بعد إذا الشرطية التي أفادت توكيد الجزاء، ثم من خلال المفعول المطلق (فرار الروح)، وقد آثر أن يكون مبينا للنوع؛ ليقدم صورة واضحة مؤكدة لهؤلاء القساة، فيبين أن فرارهم وبعدهم عن المهموم ليس فرارا عاديا، بل هو كفرار الروح الفزعة من لقاء الموت، وليس ثمة فرار أشد من ذلك على وجه الأرض.

كما أسهم المفعول المطلق من خلال الإضافة: (فرار الروح) في الكشف عن الشعور الداخلي لدى هؤلاء.

وفي قوله:

فَإِذَا ما الحَبِيبُ أَعْرَضَ عَنِّي فاهْجُرِيهِ هَجْرَ الطَّلاقِ البَتُوتِ[٢]

في هذا البيت يثور الشاعر المحب لكرامته، ويحرض على عزة النفس. وجاء بـ (ما الزائدة) بعد (إذا) لتوكيد الجزاء، وبالمفعول المطلق لتوكيد ثورته تلك، وقد وُفق في اختياره مبينا للنوع، كما وُفق في اختيار الإضافة (الطلاق البتوت)، فهذا هو الهجر

(١) ديوان الرافعي ٢/ ٣٦.

(٢) السابق ١/ ١٢٤.

المطلوب، الهجر الذي لا مجال للخضوع فيه ولا التردد أو مراجعة النفس، تماما كالطلاق المنبتّ الذي لا رجعة فيه، وهذا هو الهجر الذي يحفظ على المحب كرامته أمام الحبيب المعرض عنه.

تضافر القسم بـ (لَعمرُك) مع القصر بـ (إنما) والتوكيد بـ (إنَّ) في قوله:

لَعَمْرُكَ إِنَّمَا الأَمْوالُ حُزْنٌ فإنَّ العُمْرَ ثَوْبٌ مُسْتَعارُ[1]

يبين الرافعي هنا جانبا من فلسفته في الفقر والغنَى؛ فهو يرى أن الغنَى هَمٌّ وحَزَن، ولأن هذا الرأي على خلاف ما يُعتقد، احتاج المقام إلى التوكيد لدعم هذا الرأي المغاير الذي ربما يكون محطّ إنكار من المخاطب، لذا أتى بالقسم بـ (لعمرك)؛ لأن في إضافته لضمير المخاطب تحريك لمشاعره، عن طريق إظهار مدى اعتنائه به، وبيان مكانته عنده لدرجة أن يقسم بحياته، فتنفعل بذلك نفس المخاطب، وتتهيَّأ لقبول الكلام المسُوق لها قبولا حسنا، وقد جاء به مؤكَّدا بـ (لام الابتداء).

وإمعانا في إرادة التوكيد عمد الكاتب إلى إيراد المقسم عليه في صورة القصر بـ (إنما). ثم يأتي الشطر الثاني من هذا البيت ليقدم صورة ثابتة عقلا وواقعا مصدّرة بـ (إنَّ) المؤكِّدة في قوله: (إن العمر ثوب مستعار) لتكون بمثابة البرهان المنطقي على صدق ما ادَّعى؛ إذ لا أحد يماري في حقيقة الموت.

وبذا يكون قد أثر في مخاطَبه تأثيرا عقليا بعد أن أثّر فيه وجدانيا حين أقسم بحياته.

---

(١) السابق ٢/ ١٨.

ولو أنه أتىٰ بالكلام مجردا من التوكيد بهذا التضافر كأن يقول مثلا: (المال مجلبة لحزن الغني، لِـما سيخلّفه وراءه ساعة موته المحتوم) لم يكن كلامه جاريا علىٰ وفق مقتضىٰ المقام.

تضافر (إنَّ) مع (أنَّ) و(الباء الزائدة) في قوله:

قُلْتُ صِلْني فَإِنَّني لَكَ باقٍ وَلَوَ انَّ الكَثِيرَ لَيْسَ بِباقِ[1]

لما أمر الشاعر حبيبه بأن يصله، احتاج أن يقدم له ما يغريه لكي ينزل علىٰ أمره، فكان توكيده بـ (إنَّ) في قوله: (فإنني لك باق)، ولا شك أن هذا أعمق أثرا مما لو قال: (فأنا لك باق)، دون توكيد، ولكن هذا الحبيب مُدِلّ بجماله، عنيد في حبه، لا يُلقي بالا لبقاء عاشق، فغيره حوله كُثْر.

قالَ مَنْ كانَ في الجَمالِ وَحِيدًا لا يُبالِي بِكَثْرَةِ العُشّاقِ[2]

ومن هنا كان توكيده بـ (أنَّ) و(الباء الزائدة) عدم بقاء الكثرة الكاثرة التي يغتر بها، وبهذا يرفع رصيده عنده علىٰ غيره من العاشقين له، ويستميل قلبه إليه، وهكذا جاء التضافر إجابة لحاجة الكلام إليه.

تضافر القصر بـ (إنّما) مع التوكيد المعنوي في قوله:

"وهذه الطائفة من الملحدين وممن لا يلحد ولكنه يؤمن بلا إيمان، إنما هم أنفسهم بعض آلام الإنسانية"[3].

---

(١) ديوان الرافعي ١/ ١٠٩.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ١٠٩.

(٣) حديث القمر ص٦٧.

يريد الكاتب أن يكشف للناس حقيقة هؤلاء الملحدين، ويبصّرهم بسوء أثرهم، وذلك بأسلوب لا يخلو من تحقير شديد وتهوين من شأنهم، فجاء بـ (إنّما) ليُثبت أنهم ليسوا بشيء إلا أنهم بعض آلام الإنسانية، وجاء بالتوكيد المعنوي (أنفسهم) ليؤكد نسبة هذا الحكم إليهم نسبة حقيقة لا مجازية، كما أنه بذلك "يرفع توهّم مضاف إلى المؤكَّد"[1] حتى لا يظن أن المقصود أفعالهم أو أقوالهم أو معتقداتهم أو غير ذلك، فهؤلاء شر بذواتهم.

ومما دفع الكاتب إلى هذا التبيين المؤكد علمُه بأن هذا الأمر يدق على أفهام الكثيرين، يتضح ذلك من قوله: "على أن أكثر الناس لا يدركون هذه الحقيقة"[2].

تضافر النعت المؤكِّد مع الحال المؤكِّدة في قوله:

"ضل ضلالكم أيها الناس إذ تحسبون النعمة حق النعمة في الغنى وحده"[3].

ينعى الكاتب على من يعتقدون أن النعمة هي في المال والغنى، ويجحدون أي نعمة وراء ذلك، وقد أكد الكاتب من خلال النعت المؤكِّد (حق النعمة) والحال المؤكِّدة (وحده) أن سبب هذا الضلال هو الاعتقاد الفاسد بأن النعمة (الكاملة) قد (أُفرد) بها الغنى، وقد حرص على تضافر هذين المؤكِّدين ليوصل المعنى على الوجه الذي أراد، إذ بدونهما قد يُفهم خلافه، وذلك لأن النعمة (بإطلاق) تكون في الغنى (بغير إفراد) إذا

---

(١) شرح ابن عقيل ٣/ ١٧٠.

(٢) حديث القمر ص٦٧.

(٣) كتاب المساكين ص١١٩.

أُحسن توجيهه الوجهة الصحيحة النافعة، والاعتقاد بذلك لا شيء فيه أبدا، وإنما – كما ذكرتُ– الضلال هو من حصر النعمة الحقة في الغنىٰ فحسب.

تضافر (إنّ) مع القسم في قوله:

"أمَا إني– والله– لم أُرزأ منك في امرأة كالنساء، ولكني رُزئت في المخلوقة الكريمة التي أحسست معها أن الخليقة كانت تتلطف بي من أجلها"(١).

يتحدث المتكلم هنا إلىٰ مخاطب غائب: (زوجته الراحلة)، وجاء حديثه مؤكدا بـ (إنَّ) والقسم بلفظ الجلالة– الذي وقع معترضا بين اسم (إن) وخبرها– ليعبر عن مصابه الفادح في امرأته، ويصور ما ألمّ به من حزن، وما اعتلج في قلبه من ألم.

وكان يمكن اطّراح هذين المؤكدين؛ إذ إنه في الحقيقة خطاب إلىٰ نفسه، وليس ثمة من مخاطب، ومِنْ ثَمَّ دلّ مجيؤهما متضافرَين علىٰ مدىٰ استغراق المتكلم الهم في معنىٰ واحد من فقد المخلوقة الكريمة، وذلك لأن"الرثاء ظاهر الهدوء، لكنه مارق الألم"(٢).

ومِنْ ثَمَّ لا يتناسب معه في المقام الأول سوىٰ مراعاة حال المتكلم(٣).

تضافر لام التوكيد مع (قد) والحال المؤكدة في قوله:

"ولقد كان في تفسير كتاب الله رجلا وحده، علىٰ بُعد عصره من فجر الإسلام"(٤).

---

(١) من وحي القلم ١/ ١٩٦.

(٢) كتاب الصناعتين ص١٨٧.

(٣) انظر أثر النحاة في البحث البلاغي ص١٩٨.

(٤) السحاب الأحمر ص١٣٤.

يتحدث الكاتب عن الإمام الشيخ محمد عبده، ويؤكد تفرّده في مجال التفسير وتميّزه، ولفرط إعجاب الكاتب بالشيخ[1] لم يكتف بمؤكِّد واحد، فجاء بـ (اللام) و(قد) في أول حديثه كتوكيد ممهّد للمتلقي، ثم ذكر الحال المؤكِّدة (وحده) التي ناسبت مقام المدح والتقريظ، وهو قريب من قولهم: (نسيج وحده)، ولا معنىٰ له إلا الإضافة؛ لأنه يخبر أنه ليس علىٰ مثاله أحد[2].

وكأن الرافعي قد أراد بتكثيف العبارة بتلك المؤكدات أن يبلغ توفية الشيخ حقه وبيان قدره لجمهور القرّاء.

تضافر لام التوكيد مع (قد) والقسم في قوله:

"لقد كنت– والله– من وثاق المرض كالسجين المغلغل يحمل علىٰ أعضائه أعضاء من قيود وسلاسل"[3].

للقراءة الأولىٰ يبدو هذا الكلام غير محتاج إلىٰ التوكيد– فضلا عن تعدده– وذلك إذا روعي حال المخاطب فحسب، ولكن بنظرة متأنّية تراعي حال المتكلم تظهر الحاجة الداعية إلىٰ هذا التوكيد، فحين ذكر الكاتب مرضه استدعىٰ ذلك الذكر أحاسيسه حال كونه مريضا، وكيف كان ثقل المرض علىٰ نفسه وبدنه، وأراد أن يترجم أحاسيسه تلك إلىٰ كلمات وألفاظ فخرجت من ثم مثقّلة بالتوكيدات. وقد بدأ حديثه بمؤكدين:

---

(١) لقد أفرد الرافعي فصلا كاملا للحديث عن الشيخ محمد عبده في كتابه (السحاب الأحمر)، وجعل عنوان هذا الفصل: (الشيخ محمد عبده)، وأنشأ قصيدة في مدحه أيام كان مفتيا للديار المصرية من ثمانية عشر بيتا في ديوانه ١/ ٣٨، ٣٩، وعندما توفي رثاه بقصيدة من خمسة وعشرين بيتا في ديوانه ٣/ ١٤٦ .

(٢) انظر الكتاب ١/ ٣٧٧، والمقتضب ٣/ ٢٤٢، وشرح جمل الزجاجي لابن هشام ص٢٧٢.

(٣) أوراق الورد ص٢٧٠.

(اللام) و(قد) قبل جملة كان، وكأنه شعر بعدم كفاية مؤكِّدَين للتعبير عن هذا الإحساس (الثقيل)، فقطع كلامه دون الخبر (خبر كان)، وأكد بالقسم بلفظ الجلالة. وهكذا تضافرت المؤكدات الثلاثة على نقل أمين لما في داخل المتكلم، وإيقاع الكلام موقعا يَجمُل فيه القبول والتصديق من المخاطب.

تضافر القسم مع التوكيد بـ (إنَّ) والقصر بالنفي والاستثناء في قوله:

"أما والله إن الرجل الشرقي حين يأتي بالأجنبية لتلوين حياته بألوان الأنثى لا يكون اختار أزهى الألوان إلا لتلوين مصائب حياته!."(١).

يؤكد المتكلم الخطأ العظيم الذي يقع فيه الشرقي حين يقترن بزوجة أجنبية اغترارا منه بمعاني المرأة فيها، دون معاني الزوجة، وهو لا يدري حينذاك أنه قد أحضر من الخارج آلة تصنع له أحزانه ومصائبه.

وقد انتقى المتكلم لكلامه من المؤكدات أقواها، فبدأ بالقسم بلفظ الجلالة المعظم الذي يلقي منذ اللحظة الأولى في رُوع المخاطَب إحساسا بصدق المقسِم، ثم تلقَّى القسم بـ (إنَّ) التي تدعم توكيد المقسم عليه، ثم انتهى إلى القصر بالنفي والاستثناء الذي يفيد الإثبات بطريقة قطعية للمقصور والنفي لما سواه.

وفي تكلّف هذا التضافر من المؤكدات يظهر بجلاء أمران، الأمر الأول: صدور هذا القول عن ذي تجربة قد دُهي فيها بزوجة من هؤلاء الأوربيات، فيخبر عن بصيرة بالأمر، ولذا نحس بحرارة لفظه. والثاني: الرغبة الصادقة في إسداء النصيحة لجماعة

(١) من وحي القلم ١/ ٢٢٦.

المخاطبين، حتىٰ لا ينخدعوا بمثل ما انخدع به، ولا يقاسوا مرارة التجربة التي يعيشها؛ إذ لم يجد من يعظه وينصحه: "**ولم يكن وعظني أحد بما أعظكم به الآن**"(١).

تضافر الباء الزائدة مع القصر بالنفي والاستثناء والتوكيد بـ (أنَّ) في قوله:

"**وحسبكِ بشقاء الطفل الذي لم يعرف من حنان أمه إلا أنها لم تقتله، ولا من شفقتها إلا أنها طرحته في الطريق**"(٢).

يتحدث الكاتب عن (اللقطاء) الذين "**طُردوا من حقوق الطفولة كما طُردوا من حقوق الأهل**"(٣)، وقد أكد شقاءهم بأكثر من مؤكد، أولا بالباء الزائدة الداخلة علىٰ شقاء لتؤكد بلوغهم درجة الكفاية للسائلة عنهم، ثم قصر معرفتهم من حنان الأم علىٰ عدم قتلها لطفلها، ومن شفقتها علىٰ طرحها له في الطريق، ويدخل التوكيد بـ (أنَّ) في جملة القصر الذي نلمح في التوكيد بهما نبرة عالية من السخرية والتهكم بتلك "الأم".

وفي هذا التوكيد المتضافر يُظهر الكاتب تأثره الشديد بحال هؤلاء الأطفال المساكين، وتعاطفه معهم، كما أنه حين أكد شقاءهم بهذه الصورة من التوكيد، يكون قد وجّه رسالة غير مباشرة إلىٰ المجتمع الذي ينظر إليهم علىٰ أنهم– وإن كانوا لا ذنب لهم– هم أنفسهم ذنوب، وقد ذكر طرفا من نظرة المجتمع لهم علىٰ لسان سائق عربة اللقطاء إذ يقول: "**أنا**

(١) من وحي القلم ١/ ٢٢٣.

(٢) السابق ١/ ٢٧٦.

(٣) السابق ١/ ٢٧٦ .

والله يا أبا هاشم ضائق الصدر كاسف البال من هذه المهنة، ويُخيّل إليّ أني لا أحمل في عربتي إلا الجنون والفجور والسرقة والقتل والدعارة والسُّكْر وعواصف وزوابع"[١].

وهكذا اللقطاء في عين الاجتماع، ومِنْ ثَمَّ يهيب الكاتب بالناس أن يرحموهم، ويعطفوا عليهم.

تضافر (إنَّ) مع القصر بالنفي والاستثناء والحال المؤكِّدة في قوله:**"أما إني لا أرىٰ العبودية إلا لله وحده"**[٢].

يؤكد الكاتب اعتقاده بأن العبودية الحقة تقتصر علىٰ كونها لله عز وجل متفردا في ذلك. وقد أملىٰ المقام الذي جاء فيه الكلام هذا التوكيد المتعدد من (إنَّ) والقصر والحال المؤكدة؛ إذ أراد الكاتب إظهار معتقده الصحيح في قضية العبودية بصورة قاطعة لا يأتيها شك من بين يديها ولا من خلفها، في مواجهة الاعتقادات الفاسدة التي يستعبد أصحابها لصفات الله في أهل الأرض،"فالجبروت في الملوك، والكبرياء في الحكام، والتقديس في القوانين عادلة وظالمة، والعزة في القوة"[٣].

تضافر (لام التوكيد) مع (قد) مع التوكيد اللفظي للضمير المستتر بالضمير البارز في قوله: **"ولقد ذهبت هي كالسعادة، فلا أطمع أن يتنفّس قلبها علىٰ قلبي، أو يتنهّد صدرها لصدري"**[٤].

---

(١) من وحي القلم ١/ ٢٧٤.

(٢) حديث القمر ص٢٢.

(٣) السابق ص٢٢.

(٤) رسائل الأحزان ص٤٣.

ثمة قسم محذوف دلت عليه لام القسم أو لام اليمين[١]، والمراد منه إظهار مشاعر الحزن والأسىٰ علىٰ ذهاب تلك التي ولّت عنه، تماما كما تولي السعادة. وفي حذف جملة القسم ما ينم عن مدىٰ سيطرة هذه المشاعر عليه بما لا يدعه يفكر في المقسم به، كما أنه يكشف عن مراعاة المتكلم حال نفسه، فكأنه بهذا التوكيد المستفاد من أسلوب القسم مع (قد) المفيدة ببنيتها التحقيق[٢] يحاول أن يقنع نفسه بأن تقطع الرجاء والطمع في الوصال، فـ (لقد ذهبت)، وزاد من التوكيد ذكر التوكيد اللفظي للضمير المستتر بالضمير البارز (هي) الذي يضاعف الإحساس بالحزن حين أكد إسناد الفعل إليها، فهي التي (ذهبت) وتركت، دون أن يريد ذلك أو يشارك فيه، فمن ذا الذي يتمنىٰ زوال السعادة عنه؟!.

تضافر (إنَّ) مع النعت المؤكِّد ولام التوكيد وضمير الفصل في قوله:

"وإنَّ مرض يوم واحد تتوجّه فيه النفس إلىٰ الله، وتعرف كيف تتنزه عن دنايا الأرض وشهواتها، لهو أجدىٰ لها وأردّ عليها بفضيلة الإنسانية من قطع دهر في دراسة كل ممتع من كتب الفلسفة"[٣].

يعتقد الكاتب أن المرض سبيل موصل إلىٰ فضيلة الإنسانية تقف دونه سبل كثيرة؛ لأن ألم المرض يصفّي النفس، ويقطعها من شهواتها، ويدفعها للتوجّه إلىٰ ربها.

---

(١) نصّ الزمخشري علىٰ أن هذه اللام "تدخل علىٰ الفعل الماضي ... والأكثر أن تدخل عليه مع (قد)" التخمير ٤/ ١٦٧، ١٦٨، وانظر شرح الكافية الشافية ١/ ٢١٧، والبسيط ٢/ ٩١١، والجنىٰ الداني ص١٣٦، ومغني اللبيب ١/ ٥١٧، والبهجة المرضية ص١٦٧.

(٢) انظر شرح التسهيل ٤/ ١٠٨، وشرح الرضي ٤/ ٤٤٤.

(٣) كتاب المساكين ص١١٩.

وقد استعان الكاتب بعدد من المؤكِّدات ليدعم رأيه حتىٰ يكون أكثر إقناعا للمخاطب، فابتدأ كلامه بـ (إنَّ) ليسجّل منذ اللحظة الأولىٰ توكيد ما يليها وإثباته، ثم يأتي بالنعت المؤكِّد (واحد) قاصدا به توكيد العدد، ليبيّن بذلك أثر المرض الفاعل في أقل زمن (يوم واحد)، وذلك في مقابل (دهر) يمضي هباء، ثم يأتي بعد ذلك بـ (اللام المؤكدة) وقد أدخلها علىٰ (ضمير الفصل)، ليؤكد بهما- بما يشبه القصر- جدوىٰ المرض ونفعه عن دراسة نظرية في الفلسفة تستغرق زمنا دونها فائدة.

تضافر القسم مع (إنّ) ولام التوكيد والنائب عن المفعول المطلق والعطف بـ (لا) الذي يفيد القصر والنعت المؤكد في قوله:

"**ولعمري إني لأريد أن أنساها ثلاث مرات، لا مرة واحدة**"(١).

يريد الكاتب أن يتخلص من حبه بالنسيان. وقد جمع حشدا من المؤكدات ليؤكد رغبته القوية في ذلك، فأقسم بعمره؛ لأنه قسم عزيز لديه، ثم جاء بجملة المقسم عليه مؤكدة بـ (إن) واللام، ليقوي معنىٰ الإرادة في نسيانه، وأكد بنائب المفعول المطلق (ثلاث مرات) أنه يريد إسقاط تلك المرأة من ذاكرته تماما، وقد ذكر أنها تمثل عنده ثلاث نساء: "**ولكنها في ذكراي كأنها ثلاث نساء: واحدة في الرضا، وثانية في الغضب، وثالثة بين ذلك**"(٢)، فدل العدد (ثلاث مرات) علىٰ تأكيد عدم رغبته في الاحتفاظ بأي منهن، بل يريد نسيان الثلاث، واحتياطا لتأكيد هذا العدد الدال، وأنه لم يذكر علىٰ سبيل المجاز جاء بالعطف بـ (لا) التي "معناها توكيد الإيجاب وتحقيقه للأول، والنفي عن

---

(١) رسائل الأحزان ص٤٣.

(٢) السابق ص٤٣.

الثاني"[١]، ثم تبعه بالنعت المؤكد (واحدة) الذي يؤكد نفي الوحدة في قوله (مرة)؛ إذ إن مرة (واحدة) لا تكفي لكي ينسىٰ تماما.

وعند التحقيق في حرص المتكلم علىٰ إيراد كل هذه المؤكدات في كلامه، ندرك أن ذلك انعكاس لمدىٰ تَمَكُّن تلك المرأة التي يريد نسيانها من قلبه، حتىٰ تمثلت فيه ثلاث نساء، وبالتالي مدىٰ المعاناة التي يعانيها للتخلص من سيطرتها عليه. كما أنه انعكاس أيضًا لحجم الإساءة التي أساءتها إليه، فحملته علىٰ الرغبة في نسيانها.

ومِنْ ثَمَّ نجده راح يلتمس من اللغة ما يقوي به عزمه وإرادته في اللفظ وصولا إلىٰ تقويته في الفعل.

ويطول بنا أمد القول إذا مضيت في تحليل كل النماذج التي وقع فيها تضافر المؤكدات، فأكتفي بذكر طائفة أخرىٰ من النماذج دون تحليلها:

- تضافر الباء الزائدة مع الحال المؤكدة (وحدها) في قوله:

كَفاكَ بِالنَّفْسِ وَحْدَها هِبَةً ... فإِنَّ نَفْسِي أَعَزُّ ما عِنْدِي[٢]

- تضافر (أنَّ) مع ضمير الفصل في قوله: "وكنت أرىٰ أنَّ الحب هو الطريقة **التي يعثر بها الإنسان علىٰ روحه وهو مغشّىٰ بباديته**"[٣].

(١) انظر نتائج الفكر ص٢٥٢٨، واللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٤٢٦، وتوجيه اللمع ص٢٨٥، وشرح الرضي ٤/ ٤١٦، والبسيط ١/ ٣٣٨، والإرشاد إلىٰ علم الإعراب ص١٧٨.

(٢) ديوان الرافعي ١/ ١٣٣.

(٣) أوراق الورد ص٦٠، ٦١.

- تضافر (إنّ) مع ضمير الفصل في قوله: **"إنَّ المستقبل هو أخوف ما نخافه على أنفسنا"**[١]. **وفي قوله:"إنَّ الأدب هو السموّ بضمير الأمة"**[٢].
- تضافر (أنَّ) مع القصر بالنفي والاستثناء في قوله:**"والذي أراه أنَّ نهضة هذا الشرق العربي لا تعتبر قائمة على أساس وطيد إلا إذا نهض بها الركنان الخالدان: الدين الإسلامي، واللغة العربية"**[٣].
- تضافر (أنَّ) مع القصر بـ(إنما) في قوله:**"واعلم أنَّ الآلة التي تدير هذا العالم إنما تدار من فوق"**[٤].
- تضافر (إنّ) مع الحال المؤكدة (جميعًا) في قوله:**"ثم إننا جميعًا مكرهات على هذه الحياة"**[٥].
- تضافر (إنَّ) مع (قد) في قوله: **"إنَّ الله قد ائتمنك على أثمن الفضائل وأعزها من الصبر والقناعة وشرف الضمير"**[٦].
- تضافر (قد) مع المفعول المطلق في قوله:**"وإنَّ في نفسي أشياء من كلمة بين الكلام قد ضل بها الناس ضلالا بعيدا"**[٧].

---

(١) من وحي القلم ١/ ٢٥٨.

(٢) السابق ٣/ ١٩٨.

(٣) السابق ٣/ ١٥٤.

(٤) حديث القمر ص٣١.

(٥) من وحي القلم ١/ ٢٦٤.

(٦) حديث القمر ص٣٠.

(٧) السابق ص٣٠.

- تضافر القصر بالنفي والاستثناء مع (مِن الزائدة) في قوله:"**ما مِن امرأة تفرط في فضيلتها إلا وهي ذنب رجل قد أهمل في واجبه**"[1].
- تضافر القصر بالنفي والاستثناء مع الباء الزائدة في قوله: "**ليس بجمال إلا ذلك الروح الذي يرفع النفس إلى أفق الحقيقة الجميلة... وليس بحب إلا ما عرفته ارتقاء نفسيا تعلو فيه الروح بين سماوين من البشرية...**"[2].
- تضافر (إنَّ) مع السين في قوله: "**اذهبوا أيها الملحدون إلى أجهل الناس من العامة وأشباه العامة، واقرؤوا الإيمان الإلهي في كتاب قلبه... وإنكم ستجدون في كلامه معاني سماوية، كما تجدون في الطبيعة نفسها**"[3].
- تضافر السين مع النائب عن المفعول المطلق في قوله:"**وسأتخيل ألف ألف مرة كيف أنت تُطرَب، وكيف تشتاق، وكيف تحزن، ...**"[4].
- تضافر (قد) مع (أنَّ) والقصر بالنفي والاستثناء في قوله:"**وقد نشأ على أنَّ حب المال لا يستقيم إلا ببغض النساء**"[5].
- تضافر (إنّ) مع القسم و(قد) في قوله:"**إنه والله قد حبّب إلي السوداء والقبيحة والدميمة**"[6].

---

(١) من وحي القلم ١/ ١٦٠.

(٢) السحاب الأحمر ص٩٥، ٩٦.

(٣) حديث القمر ص٤٨.

(٤) أوراق الورد ١/ ١٦٠.

(٥) كتاب المساكين ص١٠٧.

(٦) من وحي القلم ١/ ١٣٥.

- تضافر (إنّ) مع لام التوكيد والنعت المؤكد في قوله:"**إني لأبكي في غمضة واحدة بدموع أكثر عددا من كلماتكَ**"(١).
- تضافر (إنَّ) مع النعت المؤكد والسين والتوكيد المعنوي (كلها) في قوله:"**ضع اللغات كلها في فم المحب؛ فإنَّ خفقة واحدة من قلبه ستجعلها كلها بلا تأثير**"(٢).
- تضافر القسم مع لام التوكيد والتوكيد اللفظي للضمير المتصل بالضمير المنفصل والحال المؤكدة (جميعًا) في قوله:"**فوالله لكأن ساعة من ساعات الخلد وقعت في زمني أنا من دون الخلق جميعًا**"(٣).
- تضافر القسم مع (إنّ) والقصر بالنفي والاستثناء والباء الزائدة في قوله:"**والله إنَّ هذا المبلَّغ الذي هو أوعىٰ من السامع لن يكون في التاريخ بأدق المعنىٰ إلا أوروبا وأمريكا في هذا الزمن العلمي إذا نحن عرفنا كيف نبلغ**"(٤).

وبمطالعة النماذج التي ورد فيها التضافر، المحلل منها والذي ذُكر بغير تحليل، تظهر قدرة الرافعي علىٰ امتلاك ناصية اللغة، فهو يجمع من أصناف التوكيد ما شاء أن يجمع داخل الجملة الواحدة، نثرية كانت أم شعرية، ولا يُحَسّ مع هذا الجمع بأدنىٰ تكلف، أو ازدحام في اللفظ، أو تزيّد بلا فائدة، بل تأتي جميعها متسقة مع السياق الذي وُضعت فيه قائمة بأداء دورها الدلالي علىٰ الوجه الأتم.

---

(١) السابق ١/ ١٥١.

(٢) حديث القمر ص٩٣.

(٣) من وحي القلم ١/ ٣٠٩.

(٤) من وحي القلم ٣/ ٣٩.

الخاتمة

الخاتمة

وبعد الفراغ من معالجة أساليب التوكيد في أدب الرافعي في دراسة تجمع بين النحو والدلالة توصلت إلىٰ مجموعة من النتائج، منها ما يتصل بالتوكيد، ومنها ما يتصل بالرافعي، وكان من أهمها ما يلي:

- تفتقر المكتبة العربية إلىٰ مصنف جامع يحوي بين دفتيه شتات تلك الظاهرة اللغوية العظيمة المبثوثة في كتب النحو والبلاغة، مع الأخذ في الاعتبار بأن القيمة الدلالية للتوكيد تتجاوز نطاق ما عُرف في كتب النحو بالتوكيد الصناعي مرادا به اللفظي والمعنوي، بل تُلتمس تلك القيمة في كل ما يؤدي إليها من تراكيب وألفاظ وحروف.
- يأتي التوكيد استجابة لدواع نفسية ومعان كامنة داخل المتكلم، للتعبير عن مشاعره، أو إظهار معتقداته وآرائه، إلىٰ غير ذلك من أسباب، فهو من ثم يرتبط به ارتباطا قويا، كما يأتي مراعيا لحال المخاطب الذي قد يكون منكرا أو شاكا أو متعجبا من خبر ما يُلقىٰ علىٰ مسمعه، أو متطلعا لمعرفة علة أمر أو نهي أو غير ذلك، كما أنه يأتي تلبية لحاجة الكلام ذاته، لاحتوائه علىٰ غرابة أو مخالفة للفكر السائد لدىٰ جماعة المخاطبين، أو نحو ذلك مما يدعو إلىٰ مجيء التوكيد.
- تعزّ الأغراض التي يأتي لها التوكيد عن الحصر، وذلك لأنها تُستنبط من داخل النص، وترتبط بالسياق الذي ورد فيه، وتتحدد بمعونة القرائن التي تحيط به، ولا تتحدد بمنأىٰ عن النص، ثم تُفرض عليه من خارجه، وهكذا تتعدد الأغراض وتتنوع بتعدد المنتج الأدبي وتنوّعه.

- تعددت تعريفات التوكيد عند النحاة بشكل لافت، في حين لم يهتم البلاغيون بتقديم تعريف له، بل توجه اهتمامهم إلىٰ تناول أحكامه ومواضعه وفوائده.
- لم يعقد النحاة بابا يحمل عنوان التوكيد إلا للتوكيد اللفظي والمعنوي، فقصرهم للتوكيد علىٰ هذين القسمين يبين مدىٰ أهمية هذا الأسلوب بين باقي أساليب التوكيد الأخرىٰ التي أقروا بإفادتها التوكيد.
- تؤدي (إنّ) وظيفة الربط التي تقوم بها الفاء، وتفوقها في أداء تلك الوظيفة، إضافة إلىٰ وظيفتها الأصلية الدلالية، وهي التوكيد.
- يكثر وقوع (إنّ) عقب أمر أو نهي معللة وموضحة لهذا الأمر أو النهي أو مخففة من وطأتها علىٰ نفس المخاطب، وكل ذلك في إطار رعاية المتكلم للسامع، وحرصه علىٰ كسبه وإفادته، وذلك لأن ذكر الشيء معللا أوقع في النفوس من ذكره بلا علة.
- تفيد (لا النافية للجنس) التوكيد كما تفيده (إنّ) مع اختلاف الجهة بينهما من حيث النفي والإثبات.
- يحمل الاستثناء بعد (لا النافية للجنس) دلالة النفي العام ودلالة الإثبات، فيشبه من ذلك أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء.
- تشترك السين وسوف في الدلالة علىٰ التوكيد، وإن كانت (سوف) أبلغ في التوكيد من السين، وأوسع منها في الزمان، ومع كونها كذلك، فإن السين كانت هي الأكثر مجيئا في أدب الرافعي، ولعل ذلك يرجع لخفتها في اللفظ.

- تدخل (قد) على المضارع، وتفيد معنى التحقيق كدخولها على الماضي لإفادة ذلك المعنى، وقد أوردت أمثلة على ذلك من أدب الرافعي.
- رجّح البحث إفادة (لن) توكيد النفي، وتحفّظ على القول بتأبيده.
- (الزيادة) مصطلح نحوي يرتبط بانعدام الأثر الإعرابي لتلك الحروف الزائدة (باستثناء حروف الجر منها)، كما يرتبط بخروجها عن معانيها الأصلية التي تواضعت عليها اللغة، ولا يعني أنها فضلة لا فائدة من ذكرها في الكلام، فهي تؤدي دورا في إعطاء المعنى قوة وتوكيدا، وقد ظهر ذلك من خلال معالجة النماذج التي وردت فيها تلك الحروف في أدب الرافعي.
- يستقل مبحث المفعول المطلق عن غيره من مباحث النحو، كالتوكيد اللفظي والمعنوي، خلافًا لمن عده منهما.
- يفيد كل من المصدرين المبين للنوع، والدال على العدد التوكيد، زيادة على ما تدل عليه صورته، كإفادة المؤكد للعامل.
- أظهرت النماذج التي ورد فيها المفعول المطلق المبين للنوع كثرة استخدام الرافعي لهذا القسم لما له من مزية على المؤكد للعامل.
- من صور المفعول المطلق التي أفادت التوكيد مجيؤه على صورة المثنى، وقد جاء منها في أدب الرافعي: حنانيك ولبيك.
- مثّلت بعض النماذج من أدب الرافعي مجيء النائب عن المفعول المطلق بعدده واسم التفضيل المضاف إلى المصدر وغيرهما.

- (كافة) و(طرا) و(عامة) و(قاطبة) من الألفاظ التي اختلف النحاة حول توجيهها ما بين القول بالتوكيد، والقول بالحال، وتوصلت البحث إلى إمكان القول بجعل الفاصل بين الرأيين هو اتصال تلك الألفاظ بالضمير، فتكون بذلك توكيدا، أو عدم اتصالها، فتكون حينئذ أحوالا.
- وردت نماذج في أدب الرافعي لمجيء الحال المؤكدة لصاحبها بصورة المضاف إلى المعرفة (الضمير)، نحو: اجتهد وحدك.
- قد يأتي النعت في الكلام لإفادة معنى التوكيد فحسب، وأدرجه ابن جني تحت ما أسماه بـ"التطوع بما لا يلزم".
- كثر مجيء النعت المؤكد بلفظ (واحد) و(واحدة) في أدب الرافعي، كما أنه جاء بألفاظ خاصة مضافة إلى مثل المنعوت، نحو (كل) و(حق).
- لا تقف دلالة ضمير الفصل على تمييز الخبر عن الصفة، بل تتعدى إلى التوكيد الذي قد يكون بطريق القصر أحيانا، وإلى الدلالة على الاختصاص.
- يعد القسم من أقوى وسائل التوكيد لدلالة استخدامه على أن المتكلم قد بلغ درجة من الرغبة في توكيد كلامه، لا يصلح معها سوى القسم بمعظم.
- استخدم الرافعي في القسم جل الأنماط العربية التي وردت فيه، كما استخدم ما كان العرب يستخدمونه من الحلف بحياتهم.
- قد يجمع الرافعي أكثر من مقسم به في جملة واحدة.
- لم أعثر على نماذج انفردت بها باء القسم عن الفعل في أدب الرافعي.

- كثر مجيء واو القسم في أدب الرافعي، الأمر الذي يناظر الواقع اللغوي لهذا الحرف، فهو مع فرعيته عن الباء أكثر استعمالا منها، كما تعددت صور المقسم به بعد الواو في أدب الرافعي على النحو التالي:
  - القسم بذات الله بالعلم الصريح وهو اسم (الله) تعالى.
  - القسم بلفظ (الرب)، مريدا به الله عز وجل.
  - القسم بصفة من صفاته تعالى.
  - القسم بصيغة الاسم الموصول المتبوع بصلة فيها ذكر فعل من أفعاله عز وجل، أو صلة جملة اسمية تحمل خبرا متعلقا به سبحانه.
  - القسم بأبيك.
- أشار النحاة إلى وجود زيادة معنى في تاء القسم، وهو التعجب، وقد وافق ذلك مجيئها في أدب الرافعي.
- لم ترد تاء القسم في أدب الرافعي مع غير لفظ الجلالة، وهذا ما يتفق وما ذكره النحاة من اختصاصها باسم الله تعالى.
- وردت نماذج في أدب الرافعي حُذفت فيها جملة القسم، ونبهت عليها اللام المؤطئة.
- قامت (لا جرم) مقام الجملة القسمية في عدد من النماذج من أدب الرافعي، وقد عكس ذلك تأثره بالأسلوب القرآني في استعمال هذه اللفظة.
- أظهرت العديد من النماذج ولع الرافعي بإحداث علاقة ومواءمة بين المقسم به والمقسم عليه.

- تنوعت النماذج التي ورد فيها القصر بالنفي والاستثناء بين المعمولات من فاعل ومفعول به ومبتدأ وخبر وحال وجار ومجرور، كما غلب عليها وقوع الاستثناء فيها بعد النفي دون شبهه.
- تأتي (إنَّما) لخبر معلوم للمخاطب، أو لما ينزل هذه المنزلة، وهذا غالب الأمر فيها، وقد تأتي إعلاما أوليا لأمر لا يعلمه.
- يذكر البلاغيون للقصر بـ (إنما) مزية على العطف، وهي أنه يُفهم منها الإثبات للشيء، والنفي عن غير دفعة واحدة، بخلاف العطف، فإنه يفهم منه الإثبات أولا ثم النفي، أو العكس.
- قد يذكر المسند إليه مع وجود قرينة تدل عليه، لنكتة بلاغية ترجّح ذكره على حذفه.
- تتعدد سياقات ذكر المسند إليه، فقد تتصل بالمخاطب، وقد تنصرف إلى المتكلم، كما قد تتصل بطبيعة الصياغة، وربما كان هذا الأخير أهم سياقات الذكر.
- أفاد ذكر المسند إليه الدلالة على التوكيد سواء أكان ذكره واجبا أم جائزا، فيما ورد من نماذج من أدب الرافعي.
- دلت النماذج التي جاء فيها التوكيد اللفظي في أدب الرافعي على مدى اتساعه وشيوعه في أصناف الكلام، فقد تنوع مجيؤه في اسم الفعل والضمائر والجمل والتراكيب التي تتردد بين الجملية والإفراد.

- التوكيد اللفظي من أقوىٰ الأساليب قدرة علىٰ التعبير عن انفعالات المتكلم، لأنه لم يحتجْ إلىٰ أداة خارج الجملة، بل عمد إلىٰ اللفظ ذاته وكرره، فجاء ناقلا أمينا لما في نفسه، وموصّلا جيدا لمخاطَبه.

- التكرار من الأساليب الشائعة في العربية شعرا ونثرا، يأتي لغرض توكيد الألفاظ التي تُكرر، وكذا توكيد معانيها، كما أنه يؤدي وظيفة إيقاعية حين يضفي علىٰ أجواء النص جرسا موسيقيا.

- أولىٰ البلاغيون التكرار عناية ملحوظة في مصنفاتهم، فتناوله الفراء، وابن قتيبة والرازي والزركشي والجاحظ وابن الأثير والعلوي.

- لفَت التكرار انتباه النقاد من حيث صلته بعاطفة الشاعر، والحالة النفسية له، ومقاصده في التعبير، ورأوا أن أولىٰ الأغراض الشعرية به هو غرض الرثاء، لأنه من فيض الحزن يفضل في النفس بقية يستدعي إخراجها إعادة الكلمة أو العبارة.

- ارتبط التكرار في التراث النحوي بالتوكيد اللفظي، ومع ذلك لم يرد كلام مفصل عنه في كتب النحو، بل اكتُفي بإشارة سريعة إلىٰ كونه يأتي ثلاث مرات أو أكثر، ومِنْ ثَمَّ كان الاعتماد علىٰ كتب البلاغة والأبحاث الحديثة التي تناولت هذا الموضوع.

- تباينت نظرة الباحثين في معالجة أنماط التكرار، ورصدوا له أشكالا وصورا عديدة ذُكرت في موضعها من الدراسة، ومما ورد من هذه الصور في أدب الرافعي ما سُمي بالتكرار الاستهلالي أو تكرار البداية، والتكرار الوظيفي، والتكرار الدائري أو تكرار البداية والنهاية، وتكرار اللازمة، كما تكررت البنية التركيبية.

- وقعت كل أداة من أدوات التوكيد موقعها من الكلام، بحيث لا يغني غيرها غناءها، ولا يسد مسدها، مؤدية دورا دلاليا لم يكن يتأتى بدونها.

- قد يكون لحذف عنصر من عناصر التركيب دلالته المرشحة للتوكيد، فاهتمام المتكلم بالتركيز على المعنى المراد توكيده يدفعه إلى عدم الاهتمام بذكر العنصر المحذوف، والاستغناء عنه، والاكتفاء بذكر العنصر الذي يحقق معنى التوكيد الذي يعنيه، والتعويل من بعد ذلك على قدرة المتلقي في فهم المحذوف وتقديره، من أمثلة ذلك في أدب الرافعي: حذف اسم (لا النافية للجنس)، وحذف خبرها، وحذف فعل القسم، وحذف المقسم به، وحذف عامل المفعول المطلق.

- يدل تضافر المؤكدات في أدب الرافعي على عمق في المعنى المؤكد، إذ لا يكفي لأدائه أسلوب واحد من أساليب التوكيد، كما يدل على براعة الرافعي في الجمع بين عدد من المؤكدات قد يصل إلى ستة، وذلك في اتساق تام، مع القيام بالدور الدلالي المراد من جمعها.

- وقع تضافر المؤكدات بصورة لافتة في أدب الرافعي يعز معها الحصر.

- شكلت أساليب التوكيد ركنا أساسا من أركان البناء اللغوي في أدب الرافعي؛ لأنه يعينه على التعبير عن أحاسيسه وانفعالاته المختلفة، كما أنه يدعم رأيه فيما يتناوله من قضايا، وما يعرض له من أفكار قد لا تسلم له من الأخذ والرد والاعتراض والنقد.

- كشف البحث من خلال مرحلة الجمع أن العبرة ليست بوجود المؤكد في نموذج من النماذج حتى يُقطع بالحكم بوجود دلالة التوكيد في هذا النموذج،

ولكن المعوّل على السياق، وعلى نية المتكلم إرادة معنى التوكيد، وقد مثّلت لذلك في بعض المباحث، كمبحث (السين وسوف)، ومبحث (قد).

- كانت أحاسيس الرافعي المبدع تتحكم في اختيار أداة التوكيد الأنسب والأدل على ما يريد التعبير عنه، مع تقارب بعض تلك الأدوات من بعض في الدلالة، كالسين وسوف، وبعض ألفاظ التوكيد المعنوي، وبعض الألفاظ الخاصة بالنعت المؤكد.

- تفاوتت المؤكدات قلة وكثرة في أدب الرافعي، مما كان يدفعني أحيانا للعدول عن تناول أسلوب من الأساليب، من ذلك مثلا: القصر بطريق العطف، ونون التوكيد التي لم يرد لها في ديوانه بأجزائه الثلاثة إلا نموذج واحد، ولم يرد لها أي نماذج في ديوان النظرات.

وبعد، فالله يعلم كم بذلتُ في هذا المؤَّلف من جهد، وأنفقتُ فيه من وقت، فإن كنت قد أصبت فيما طمحت إليه فمِنَّة منه سبحانه، وإن تكن الأخرى فحسبي أجر مجتهد قد أخطأ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس الفنية

١) فهرس الآيات القرآنية.

٢) فهرس الأحاديث النبوية.

٣) فهرس الأشعار.

٤) فهرس المصادر والمراجع.

٥) فهرس الموضوعات.

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

﴿ ... مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾		
﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾	النساء: ٦٥	١٤٨
﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾	النساء: ٧٩	١١٤
﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ ﴾	النساء: ١٢٩	١٦١
﴿ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾	النساء: ١٥٢	٦٧
﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾	النساء: ١٧١	١٠٠
﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾	النساء: ١٧١	٢٥٨
﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾	المائدة: ١١٧	١٩٩
﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾	الأنعام: ٣٨	٢٤
﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾	الأنعام: ٥٣	١١٦
﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾	الأنعام: ٥٩	١٠٩
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾	الأنعام: ١٣٢	١١٦
﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾	الأعراف: ٥٩	١٠٨
﴿ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾	الأعراف: ١٤٣	٨٣
﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾	الأعراف: ٢٠٠	١٠١
﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾	الأنفال: ٤	١٩٨

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾	النمل: ٣٤	٢٢٦
﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾	القصص: ٢٨	١٠٢
﴿ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾	الروم: ٩	١٦١
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾	سبأ: ٢٨	١٦٨
﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾	فاطر: ٣	١١٠
﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾	الصافات: ٧٧	١٩٩
﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾	ص: ٨٨	٢٤٧
﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾	الزمر: ٣٦	١١٦
﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾	غافر: ٤٣	٢٥١
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	فصلت: ٢٠	١٠١
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	فصلت: ٤٦	١١٦
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾	الشورى: ١١	١٢١
﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾	ق: ٣١	١٦٧
﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	الذاريات: ٢١	٢٧٦

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثًا: فهرس الأشعار*

أول البيت	آخره	اسم الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
		الهمزة		
خابَ	الرَّجاءُ	الرافعي	١	١٢١
ولَعَمْرِي	الوَفاءُ	الرافعي	١	٢٢٤
فَلَا واللهِ	الحَياءُ	أبو تمام	١	٢٣٨
تَتَأَبَّى	إِباءُ	الرافعي	١	٢٧٢
		الباء		
فَقَدْ	الأَدَبْ	الرافعي	١	٧٨
سَلُوا	العَطَبْ	الرافعي	١	٧٨
ولَيْسَ	طَلَبْ	الرافعي	١	١٢٠
وأُقْسِمُ	أَرَبْ	الرافعي	١	٢٢٠
أَلا إِنْ	بِغَضُوبَا	مجهول	١	٩٧
قَلَّما	مُجِيبَا	مجهول	١	٩٩
يا عَرُوسَ	بِالنَّجِيبَهْ	الرافعي	١	٣١٠
وأَيُّما	تَنْسَكِبُ	الرافعي	١	٤٢
لا عَيْبَ	عَرَبُ	الرافعي	١	٦٢
يُرَجِّي	الخُطُوبُ	جابر بن رألان	١	٩٦
مَن	الأَدَبُ	الرافعي	١	١٢٦

* اعتمدت في وضع هذا الفهرس على الترتيب الألفبائي لروي الأشعار وفقا للنظام الآتي: السكون، فالفتح، فالضم، فالكسر.

النون

الهاء

الياء

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع

١) أثر النحاة في البحث البلاغي، د.عبدالقادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٣) الإرشاد إلى علم الإعراب، لمحمد بن أحمد بن عبداللطيف القرشي الكيشي (شمس الدين ت ٦٩٥هـ)، تحقيق د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤) الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد النحوي الهروي(ت ٤١٥هـ)، تحقيق عبدالمعين الملوحي، الط. الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٥) أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، تأليف عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الطبعة الثانية.

٧) أسس النقد الأدبي عند العرب، د.أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

٨) أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة- دراسة نظرية تطبيقية، بحث للدكتور عبدالحميد هنداوي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٩) أسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي في التحليل اللغوي، د.خليل أحمد عمايرة، جامعة اليرموك، دار الفكر، عمان- الأردن، د.ت.

١٠) الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ، وضع حواشيه غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١١) الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، د.أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٢) الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق د.عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م.

١٣) الأعلام، لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٨٤م.

١٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لجمال الدين بن عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، د.ت.

١٥) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ١٩٩٦م.

١٦) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، لمحمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت ٧٢٩هـ)، تحقيق د.عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٧) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥١٣هـ-٥٧٧هـ)، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

١٨) الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق د.مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (٦٦٦ - ٧٣٩هـ)، حققه وعلق عليه وفهرسه د. عبدالحميد هنداوي، مؤسسة المختار، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٠) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، بعناية صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢١) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٢٢) البسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن أبي الربيع عبيد الله بن محمد بن عبيد الله القرشي الإشبيلي السبتي (٥٩٩- ٦٨٨هـ)، تحقيق ودراسة د.عياد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٢٣) البلاغة العالية (علم المعاني)، تأليف عبدالمتعال الصعيدي، قدم له وراجعه وأعد فهارسه د.عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٤) البلاغة العربية- أسسها وعلومها وفنونها، تأليف عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

٢٥) بلاغة القسم في القرآن الكريم- دراسة أسلوبية، د.رفعت محمد الشرقاوي، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، سلسلة بحوث ومناظرات، ١٢، ١٣، ١٤ فبراير ١٩٩٣م الموافق ٢٠، ٢١، ٢٢ شعبان ١٤١٣هـ.

٢٦) البلاغة والأسلوبية، د.محمد عبدالمطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٢٧) بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ٢٠٠٣م.

٢٨) البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، د. تمام حسان، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م.

٢٩) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (١٥٠- ٢٥٥ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٠) تاج العروس، للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي (١١٤٥هـ- ١٢٠٥هـ)، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية، ١٣٠٦هـ.

٣١) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، شرحه السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٢) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (٥٣٨-٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٣٣) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٣٤) تراجم علماء طرابلس وأدبائها، عبد الله حبيب نوفل، المنشورات الجامعة- مكتبة السائح، طرابلس- لبنان، ١٩٨٤م.

٣٥) التكرار في الشعر- بحث للدكتورة فاطمة محجوب، مجلة الشعر، العدد الثامن، سنة ١٩٧٧م.

٣٦) التكرار في القرآن الكريم- بحث للدكتور سعد عبد العظيم، صحيفة دار العلوم، الإصدار الرابع، السنة الخامسة، العددان الأول والثاني يوليو- ديسمبر ١٩٩٧م، يونيو ١٩٩٩م، ربيع الأول- شعبان ١٤١٨هـ .

٣٧) التكرار المنظم بين القرآن الكريم والشعر العربي، بحث للدكتور سعد عبدالعظيم، صحيفة دار العلوم، الإصدار الرابع، السنة السابعة، العدد ١٣، ربيع الأول ١٤٢٠هـ، يونيو ١٩٩٩م.

٣٨) التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٣٩) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، الط. الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، الط. الثانية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٠) توجيه اللمع، لأحمد بن الحسين بن الخباز، شرح كتاب اللمع لأبي الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٤١) التوطئة، لأبي علي عمر بن محمد الشلوبين (٥٦٢- ٦٤٥هـ)، دراسة وتحقيق د.يوسف أحمد المطوع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، دار التراث العربي، القاهرة.

٤٢) التوكيد وأثره في التراكيب النحوية، فتحي بيومي حمودة، رسالة ماجيستير من جامعة القاهرة - كلية دار العلوم، ١٩٧٣م.

٤٣) الجمل المحتملة للاسمية والفعلية، د.محمد رزق شعير، مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة، د.ت.

٤٤) الجنىٰ الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة وأ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٥) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤٦) الجوهر النفيس في شرح كتاب التلخيص في علوم البلاغة، وهو تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، تأليف جلال الدين محمد بن عبدالرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، شرح وتحقيق د.عبدالحميد هنداوي، د.ناشر، د.ت.

٤٧) حاشية الخضري علىٰ شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك، ضبط وتشكيل وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٨) حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، د.ت.

٤٩) الحروف النحوية الزائدة وقيمتها في اللغة، د.عبدالعزيز محمد فاخر، د. ناشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٠) حياة الرافعي، محمد سعيد العريان، القاهرة، مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م.

٥١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبدالقادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠- ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٥٢) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٥٣) خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥٤) الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، لأحمد بن الأمين الشنقيطي، شرح وتحقيق د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٥٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق د.أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٥٦) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.

٥٧) دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥٨) ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

٥٩) ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٦٠) ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

٦١) ديوان الأعشى، شرح د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، شرح د.علي مهدي زيتون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦٣) ديوان امرئ القيس، حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٦٤) ديوان البارودي، ضبطه وصححه وشرحه علي الجارم بك ومحمد شفيق معروف، د.ناشر، د.ت.

٦٥) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، عني بتحقيقه د.عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي في سوريا، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٦٦) ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، شرح مجيد طراد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٦٧) ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، د.ت.

٦٨) ديوان عمر بن أبي ربيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

٦٩) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.

٧٠) ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى)، اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٧١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ت.

٧٢) ديوان مسكين الدارمي، جمعه وحققه عبد الله الجبوري وخليل إبراهيم العطية، مطبعة البصرى، بغداد، الط. الأولى، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

٧٣) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، د.ت.

٧٤) ديوان الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م.

٧٥) الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، تأليف مصطفى نعمان البدري، دار الجيل، بيروت ودار عمار، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٧٦) ردود وحدود، لعباس محمود العقاد، دار الثقافة العربية للطباعة، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

٧٧) رسالة في حروف العربية، لأحمد بن محمد بن المختار الرازي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٢٠، جزء ١، ربيع الآخر ١٣٩٤هـ، مايو ١٩٧٤م.

٧٨) رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد المالقي (ت ٧٠٢هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٧٩) روح المعاني، للألوسي، قرأه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت- لبنان، د.ت.

٨٠) سبك المنظوم وفك المختوم، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني، حققه وقدم له وعلق عليه د.عدنان محمد سلمان ود.فاخر جبر مطر، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، الط. الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٨١) سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، قدم له د. فتحي عبدالرحمن حجازي، حققه وعلق عليه أحمد فريد أحمد، د.ت.

٨٢) سر الفصاحة، للأمير أبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، تحقيق علي فوده، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. أولى، ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م، ط. ثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٨٣) شرح الآجرومية، لعبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين حفيد الأستاذ أبي اسحق الاسفراييني، تحقيق وتعليق أسامة بن مسلم الحازمي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لبهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ت ٧٦٩هـ، دار الطلائع.

٨٥) شرح الأنموذج في النحو، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ)، بشرح الأردبيلي جمال الدين محمد بن عبدالغني، حققه وعلق عليه د. حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، د.ت.

٨٦) شرح التسهيل لابن مالك، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك الأندلسي (٦٠٠-٦٧٢هـ)، تحقيق د. عبدالرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، دار هجر، الط. الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨٧) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، وهو شرح للشيخ خالد بن عبدالأزهري (ت ٩٠٥هـ)، على (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، لجمال الدين بن عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، إعداد محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٨٨) شرح جمل الزجاجي، لجمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، دراسة وتحقيق د.علي محسن عيسى مال الله، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨٩) شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، لعلي بن مؤمن بن محمد بن علي المعروف بابن عصفور الحضرمي الإشبيلي (٥٩٧- ٦٦٩هـ)، تحقيق د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩٠) شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

٩١) شرح السعد المسمى مختصر المعاني في علوم البلاغة، تأليف مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٩٢) شرح السيوطي على ألفية ابن مالك المسمى البهجة المرضية مع حاشيته التحقيقات الوفية بما في البهجة المرضية من النكات والرموز الخفية، تأليف محمد صالح بن أحمد الغرسي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩٣) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لجمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، د.ت.

٩٤) شرح قطر الندى وبل الصدى، لجمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ضبطه على المخطوطة وصححه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩٥) شرح الكافية الشافية، لجمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن مالك الأندلسي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الط. الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٩٦) شرح اللمع في النحو، تأليف القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي الضرير، تحقيق د.رجب عثمان محمد ود. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩٧) شرح المفصل، للشيخ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، مكتبة المتنبي، القاهرة

٩٨) شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، للقاسم بن الحسين الخوارزمي (٥٥٥- ٦١٧ هـ)، تحقيق د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط. أولى، ١٩٩٠م.

٩٩) شرح المقدمة الجزولية الكبير، لأبي علي عمر بن محمد الشلوبين (٥٦٢- ٦٤٥هـ)، درسه وحققه د.ترك بن سهو بن نزال العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٠٠) شرح المقرب لابن عصفور الحضرمي الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، د. علي محمد فاخر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، د. ن.

١٠١) شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو، لجمال الدين محمد بن مالك الطائي، وبهامشه حاشية الشيخ أحمد عبدالفتاح المكودي الأزهري، دار المعرفة، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٠٢) شعر أبي تمام (دراسة نحوية)، د.شعبان صلاح، دار الثقافة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، حققه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٠٤) الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط. أولى، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م، ط. ثانية، بيروت ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١٠٥) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط.أولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٠٦) العاطفة والإبداع الشعري- دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د.عيسى علي العاكوب، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٠٧) علم الجمال اللغوي (المعاني- البيان- البديع)، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.

١٠٨) علم المعاني دراسة وتحليل، د.كريمة محمود أبو زيد، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠٩) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (٣٩٠- ٤٥٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل.

١١٠) غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب، لجامعه وشارحه محمد خليل الخطيب، ١٩٥٠- ١٩٥١م. د.ناشر.

١١١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣- ٨٥٢ هـ)، تصحيح وتحقيق عبد العزيز بن عبدالله بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

١١٢) فن البلاغة، د.عبدالقادر حسين، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١١٣) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي (٧٢٩-٨١٧هـ) (١٣٢٩- ١٤١٤م)، دار الجيل، بيروت، د.ت.

١١٤) قراءة في الأدب القديم، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م.

١١٥) القسم في الحديث الشريف، دراسة تطبيقية على صحيح البخاري، تأليف سامي شهير خليل عساكر، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١١٦) القصائد الهاشميات، للكميت بن زيد الأسدي، اعتنى بتصحيحها وضبطها بالشكل التام وبيان معانيها محمد شاكر الخياط ، مطبعة الموسوعات، د.ت.

١١٧) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، أ.د. محمد صابر عبيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

١١٨) كتاب أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري (٥١٣هـ- ٥٧٧هـ)، تحقيق د. فخر صالح قداره، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١١٩) كتاب الجمل في النحو، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، د.ن.

١٢٠) كتاب سيبويه أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط. أولى، د.ت.

١٢١) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، حققه وضبط نصه د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط. أولى، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ط.ثانية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٢٢) كتاب العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠- ١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط.أولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٢٣) كتاب اللامات، لأبي القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي(ت ٣٣٧هـ)، تحقيق مازن المبارك، الط. الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، دار الفكر.

١٢٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧- ٥٣٨هـ)، وفي حاشيته كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي (ت ٦٨٣هـ)، وفي آخره كتابان:

١) الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، للحافظ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

٢) شرح شواهد الكشاف، للعلامة محب الدين أفندي، حقق وخرج الأحاديث عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٢٥) كشف المشكل، لأبي الحسن علي بن سليمان الملقب بحيدرة اليمني (ت ٥٩٩هـ)، قرأه وعلق عليه د.يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

١٢٦) الكناش في النحو والتصريف، لأبي الفداء (ت ٧٣٢هـ)، دراسة وتحقيق د. جودة مبروك محمد، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٢٧) الكواكب الدرية، شرح الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، على متممة الآجرومية، تأليف الشيخ محمد بن محمد الرعيني الشهير بالحطاب، ويليه ملحة الواهب العلية شرح شواهد الكواكب الدرية، تأليف عبدالله بن يحيى الشعبي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٢٨) لامية العرب (نشيد الصحراء) للشنفري، شرحها وحققها د. محمد بديع شريف، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م.

١٢٩) لا النافية بين الحذف والزيادة، د. علي محمد فاخر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، د. ناشر.

١٣٠) اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (٥٣٨- ٦١٦هـ)، تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، إعادة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٣١) لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط.أولى، ٢٠٠٠م.

١٣٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

١٣٣) اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٣٧هـ)، حققه وعلق عليه الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣٥) مجموع أشعار ا لعرب، وهو مشتمل علىٰ ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنىٰ بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي، برلين، ١٩٠٣م.

١٣٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق علي النجدي ناصف ود. عبدالفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٢م.

١٣٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٤٨١- ٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.أولىٰ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٣٨) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ترتيب محمود خاطر، مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣٩) المرتجل لابن الخشاب، تحقيق د.علىٰ حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

١٤٠) المستوفىٰ في النحو، لكمال الدين أبي سعد علي بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرحان قاضي القضاة، حققه وقدم له وعلق عليه د. محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٤١) مصطفىٰ صادق الرافعي (رسائل الأحزان، السحاب الأحمر، أوراق الورد)، قدم لها بدراسة د. عبدالقادر القط، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٤م.

١٤٢) مصطفىٰ صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا، د.مصطفىٰ الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٤٣) معاني الحروف، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي (٢٩٦- ٨٤هـ)، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

١٤٤) معاني القرآن للأخفش، تحقيق د.هدى محمود قراعة، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٤٥) معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور بالقاهرة، د.ت.

١٤٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق د.عبدالجليل عبده شلبي، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٤٧) معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، الط. الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، دار الفكر.

١٤٨) معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، تأليف عمر رضا كحالة، مكتبة المتنبي، لبنان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

١٤٩) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٥٠) معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمعه ورتبه يوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

١٥١) المعجم المفهرس في ألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. ثانية،١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٥٢) المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، اسطنبول- تركيا، الطبعة الثانية.

١٥٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين بن عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، وبهامشه حاشية الدسوقي، للشيخ مصطفى محمد عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠هـ)، ومعه كتاب السبك العجيب في نظم مغني اللبيب، لمولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب الأقصى (ت ١٣٥٦هـ)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٥٤) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد المعروف بالسكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق حمدي محمدي قابيل، قدم له وراجعه مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، د.ت.

١٥٥) المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠- ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٥٦) المقدمة الجزولية في النحو، لأبي موسى عيسى بن عبدالعزيز الجزولي (ت ٦٠٧هـ)، تحقيق وشرح د. شعبان عبد الوهاب محمد، راجعه د. حامد أحمد نبيل ود. فتحي محمد أحمد جمعة، د. ناشر، د.ت.

١٥٧) المقرب، لعلي بن مؤمن بن محمد المعروف بابن عصفور الحضرمي الإشبيلي (٥٩٧- ٦٦٩هـ)، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، د.ت.

١٥٨) المقرب ومعه مُثل المقرب، لعلي بن مؤمن بن محمد المعروف بابن عصفور الحضرمي الإشبيلي (٥٩٧-٦٦٩هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط. أولى، ١٤١٨هـ- ١٩٨٨م.

١٥٩) من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل (إن وأخواتها) في القرآن الكريم، د. هاشم محمد هاشم، ط. أولى، القاهرة، ١٩٩٤م، د.ن.

١٦٠) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ويليه ذيل ميزان الاعتدال للإمام أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، شارك في تحقيقه د.عبدالفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٦١) نتائج الفكر، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (٥٠٨- ٥٨١ هـ)، تحقيق د.محمد إبراهيم البنا، دار الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٦٢) نحو آجرومية للنص الشعري - دراسة في قصيدة جاهلية، بحث للدكتور سعد مصلوح، مجلة فصول، قضايا الإبداع، مجلد ١٠، عدد ١، ٢، سنة ١٩٩١م.

١٦٣) النحو المصفى، تأليف د. محمد عيد، مكتبة الشباب، طبعة أولى، ١٩٧١م.

١٦٤) النحو الوافي، تأليف عباس حسن، دار المعارف، الط. الرابعة عشرة، د.ت.

١٦٥) النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق ودراسة د.عبدالحسين الفتلي، كلية الآداب، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٦٦) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٦٧) وحي الرسالة (فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص)، أحمد حسن الزيات، دار الثقافة، بيروت- لبنان، الطبعة العاشرة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

خامسًا: فهرس الموضوعات

تَمَّ الكِتابُ

بِحَمْدِ اللهِ تعالىٰ ومَنِّهِ وتوفيقِهِ